الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية

وزارة التعليم العالي و البحث العلمي

جامعة الجزائر 1

كلية العلوم الإسلامية

قسم العقائد و الأديان

الوعد المقدس بين التوراة و القرآن الكريم
دراسة مقارنة

مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماجستير في العلوم الإسلامية

تخصص : مقارنة الأديان

إعداد الطالب:

عبد الله زغدان

السنة الجامعية:

1434/1433 هـ الموافق لـ: 2013/2012 م

الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعة الجزائر 1

كلية العلوم الإسلامية

قسم العقائد والأديان

الوعد المقدس بين التوراة والقرآن الكريم

دراسة مقارنة

مذكرة مُقدمة لنيل شهادة الماجستير في العلوم الإسلامية

تخصص: مقارنة الأديان

إعداد الطالب: عبد الله زغدان

تحت إشراف: أ.د .مسعود حايفي

السنة الجامعية:

1434/1433هـ الموافق لـ 2013/2012م

جامعة الجزائر 1

كلية العلوم الإسلامية

قسم العقائد والأديان

الوعد المقدس بين التوراة والقرآن الكريم

دراسة مقارنة

مذكرة مُقدمة لنيل شهادة الماجستير في العلوم الإسلامية

تخصص: مقارنة الأديان

لجنة المناقشة:

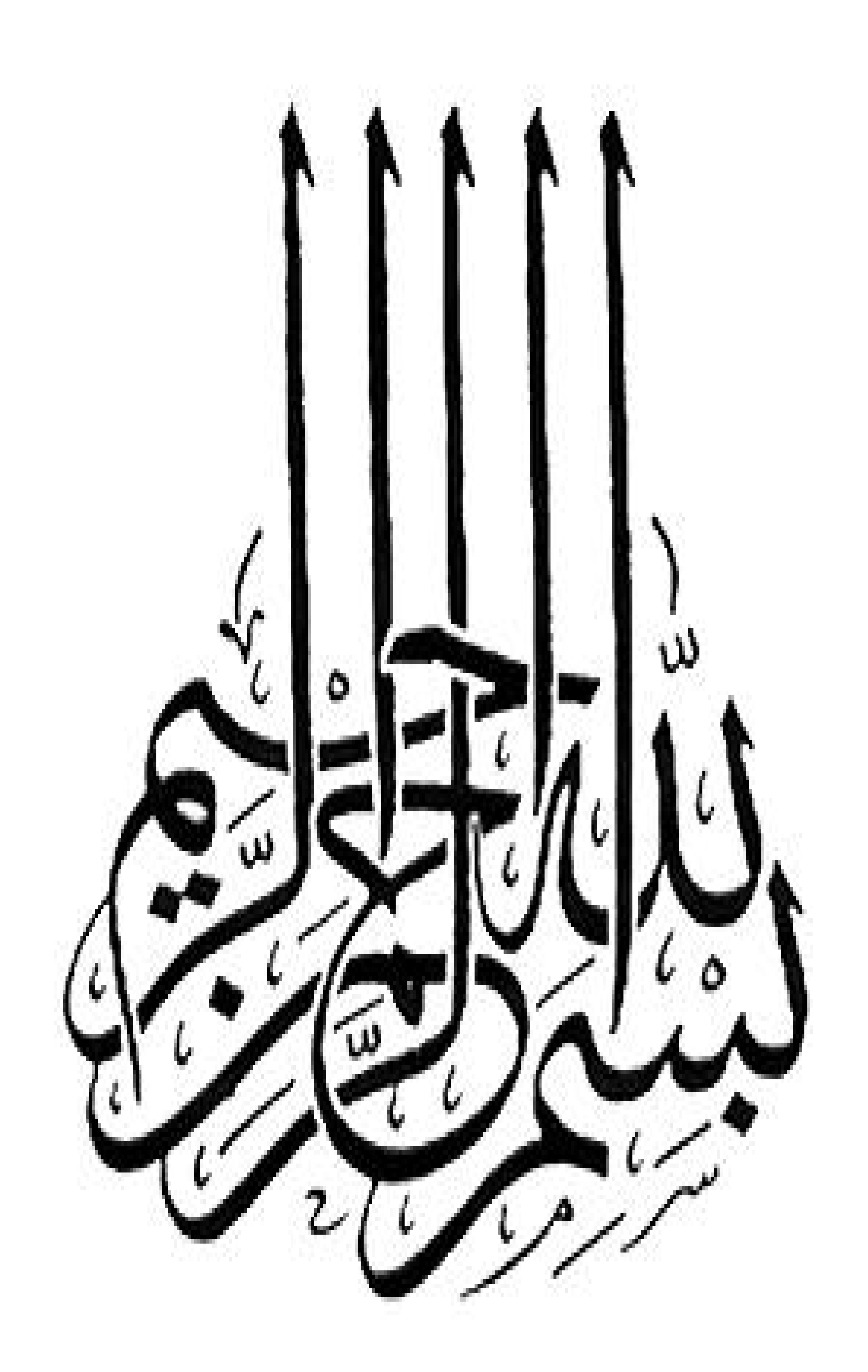
اسم الأستاذ	الصفة
أ.د: شافية صديق	رئيسا
أ.د: مسعود حايفي	مقررا
د: محمد مغربي	عضوا

إعداد الطالب:

عبد الله زغدان

السنة الجامعية:

1434/1433هـ الموافق لـ 2013/2012م


بسم الله الرحمن الرحيم

الإهداء

أهدي هذا البحث إلى :

والديّ الكريمين وإلى كل فرد من عائلتي

كل مسلم غيور على دينه

كل من بذل روحه في سبيل نصرة المسجد الأقصى والقصية الفلسطينية

طلبة المدرسة القرآنية مسجد عمر بن عبد العزيز برج الغدير

شكر وعرفان

أتقدم بخالص عبارات الشكر والعرفان إلى الدكتور مسعود حايفي الذي تفضل

بالإشراف على هذه المذكرة

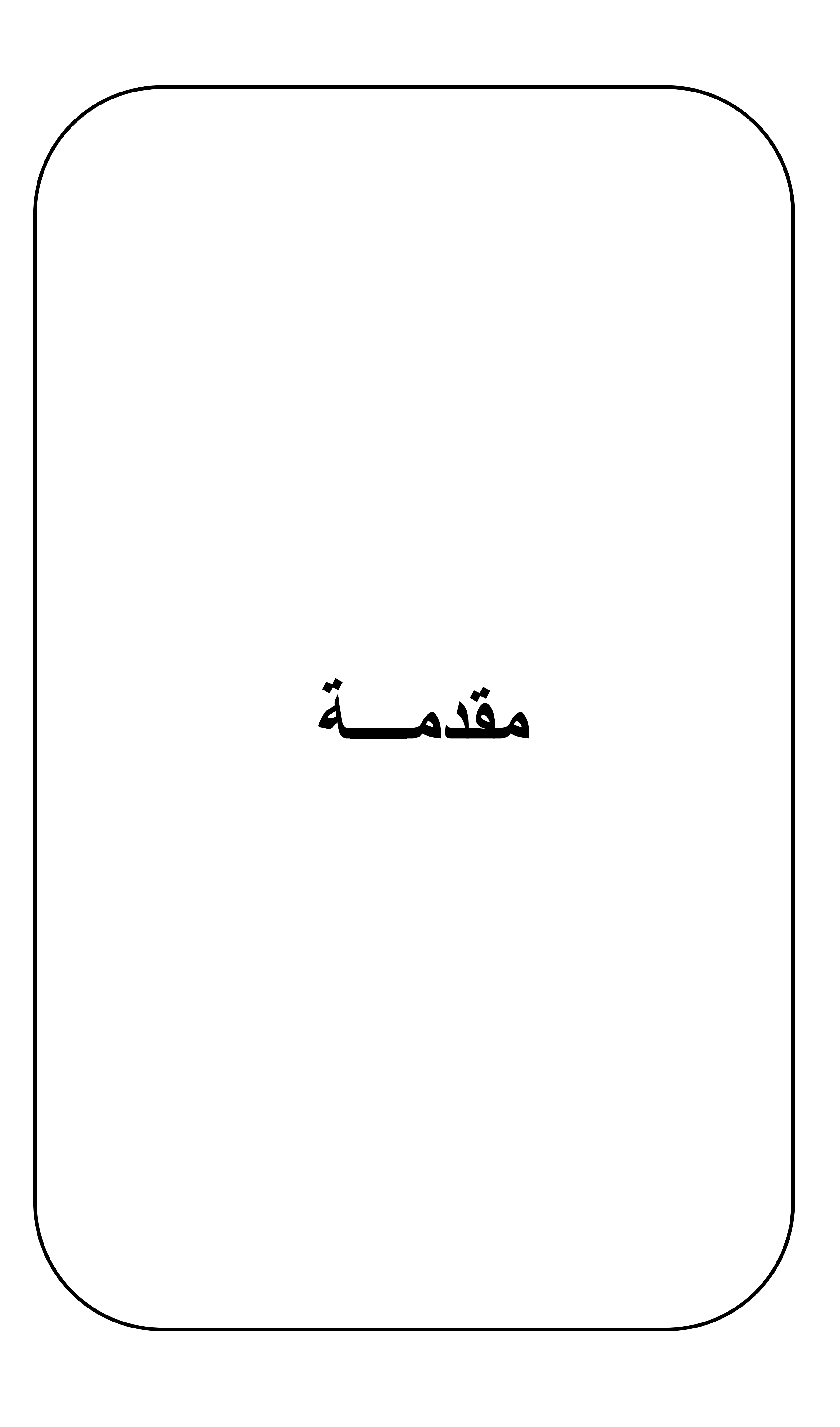
كما أشكر أعضاء اللجنة المناقشة والذين بذلوا جهدهم مشكورين في قراءة

المذكرة وتقييمها

ولا يفوتني في هذا المقام أن أشكر الأساتذة الذين درّسونا علم مقارنة الأديان

فلولاهم لما أبصر هذا العلم النور في الجامعات الجزائرية وعلى رأسها جامعة

الجزائر المباركة



مقدمـــة

المقدمة:

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وبعد:

العهد القديم من أهم الكتب الدينية التي تنتشر في العالم اليوم، حيث أن هذا الكتاب يقرؤه ويؤمن بمحتواه أتباع ديانتين لهما حضورهما القوي على مستوى العالم وهما الدّيانة اليهودية والدّيانة المسيحية، فاليهود يسمونه التوراة أما المسيحيون فيدعونه العهد القديم تمييزا له عن العهد الجديد.

وهذا الكتاب عند الاطلاع عليه نجده يؤصل لعقائد عديدة تهدف في مجملها إلى رفع مكانة اليهود وتفضيلهم على سائر البشر، ومن أهم هذه العقائد التي يتمسك بها اليهود ويؤمنون بها عقيدة العهد والوعد، فعلى حسب أسفار التوراة أن الله أعطى عهدا لبني إسرائيل بأن يكون إلههم وأن يجعلهم خاصة له من بين الشعوب ويعطيهم أرض فلسطين ملكا لهم ولأبنائهم من بعدهم إلى الأبد.

والوعد المذكور آنفا دفع اليهود والصهاينة إلى تجسيده على أرض الواقع وذلك منذ زمن بعيد يرجع إلى عصر السبي والشتات، فالحلم كان يراودهم لتحقيق هذا العهد الذي قطعه "يهوه" على نفسه في التوراة.

فاجتهد الصهاينة لجمع شتات اليهود من أصقاع العالم وجاءوا بهم إلى أرض فلسطين حيث قاموا بطرد سكان هذه البلاد المسلمة من أرضهم، وأقاموا على أنقاضها دولة سموها بدولة إسرائيل بإعانة من الاستعمار الغربي وخاصة البريطاني منه.

وكذا المسيحية الصهيونية كان دعمها قويا للكيان الصهيوني وعلى رأسها البروتستانتية، والذين يمهدون بفعلهم هذا على حسب اعتقادهم لعودة المسيح للمرة الثانية ليقيم مملكة الألف عام، فإقامة دولة إسرائيل وتجميع اليهود فيها يعجّل بزعمهم عودة المسيح.

ويطلق اليهود على احتلالهم لأرض العرب بالعودة، فعلى اعتقادهم أنهم عادوا إلى أرض أجدادهم وأنبيائهم إبراهيم وإسحاق ويعقوب وموسى و داوود وسليمان عليهم السلام التي أعطاها إياهم الرب بوعد مقدس والذي هو بمثابة صك تمليكي من الرب لا يقبل الطعن أو المناقشة من أي أحد مهما كان.

إذا فالعقيدة التوراتية هي الأساس الذي يحرك اليهود وأعوانهم وهي التي تسير حياتهم وأفكارهم السياسية وهي المنطلق الذي من خلاله يطمحون إلى توسيع رقعة دولتهم من النيل إلى الفرات باعتبارها أرض العهد والوعد .

وإذا كان هذا هو الحال بالنسبة للصهاينة واليهود فنحن المسلمين نجد في القرآن الكريم أن الله سبحانه وتعالى جعل محمد صلى الله عليه وسلم آخر الأنبياء والمرسلين وأمته آخر الأمم، وبالتالي كل الاستحقاقات انتقلت إلى هذه الأمة بما فيها الوعود والعهود التي أعطاها الله سبحانه وتعالى للأمم السابقة على لسان

الأنبياء لأن رسالة السماء واحدة في جوهرها والتي هي الدعوة إلى التوحيد الخالص وإنما الاختلاف كان في الشرائع فقط.

فالوعد بالتمكين في الأرض والنصر والاستخلاف في القرآن الكريم هو للمسلمين باعتبارهم حاملي لواء التوحيد الذي ورثوه عن الأنبياء عليهم السلام، لكن هذا الوعد له ثمنه وضريبته لكي يتحقق على أرض الواقع وأولها التمسك بالحبل المتين واتّباع الصراط المستقيم الذي خطه النبي المختار صلى الله عليه وسلم.

وإذا كان هذا هو الحال فنحن بين وعدين وعد توراتي يقدسه اليهود ويتمسكون به ووعد قرآني يقدسه المسلمون ويثقون في مصدره، وما دامت الرسالات السماوية في جوهرها واحده ومصدرها واحد فلا بد أن يكون الوعد واحد لكن الحق قد يلتبس أحيانا على أصحابه، والقرآن الكريم هو الكتاب الخاتم للكتب السابقة وهو الحاكم عليها والمصحح والمبين لما فيها من حقّ وباطل.

ولذلك سيكون موضوع دراستنا في هذا البحث هو استعراض النصوص التوراتية والتي يستند إليها اليهود والصهاينة في مطالبتهم بأرض فلسطين ثم نناقشها من خلال القرآن الكريم، فالمقارنة على هذا تبين لنا حقيقة الوعد التوراتي ومدى صدقه.

وقد وسمت بحثي هذا ب"الوعد المقدس بين التوراة والقرآن الكريم دراسة مقارنة".

إشكالية البحث:

انطلقت في هذا البحث من الإشكالية التالية:

هل العهد والوعد خاص ببني إسرائيل، أم أنه عام يشمل جميع بني آدم، يخضع لشروط معينة إذا لم تتحقق هذه الشروط لم يتحقق المشروط؟.

وتندرج تحت هذه الإشكالية عدة أسئلة فرعية منها:

_ما هي أوجه الاتفاق وأوجه الاختلاف بين التوراة والقرآن الكريم في هذا الموضوع؟.

_هل لليهود حق في فلسطين تضمنه نصوص التوراة والقرآن؟.

_ما هو موقف القرآن من وعود التوراة وما هو رده عليها؟.

_من هو صاحب الاستحقاق لموعود الله تعالى؟.

هذه الأسئلة وغيرها هو ما سنحاول الإجابة عليه من خلال هذا البحث إن شاء الله تعالى.

أهمية الموضوع:

تكمن أهمية البحث في أنه يركز الضوء على الصراع بين عقيدتين وديانتين، فاليهود يدعون أنهم أصحاب الحق في ملكيتهم لفلسطين لأنهم يزعمون أن الرب أعطاها لهم بمقتضى الوعود التوراتية فهم أصحاب الحق الديني في أرض الأنبياء والرسالات، والمسلمون يرون أنهم أصحاب الحق بنص القرآن الكريم باعتبارهم ورثة

الرسالات التوحيدية السابقة وأتباع خاتم الأنبياء والمرسلين وأن اليهود لا حظ لهم في ميراث النبوة لأنهم حرفوا التوراة وكفروا بما أنزل على محمد صلى الله عليه وسلم.

فطرق مثل هذه المواضيع يساهم في إبراز الحقائق الدينية والعقدية التي تسيّر الشعوب والأمم، كما أنه يبصّر الأمة الإسلامية لتكون على حذر مما يدعيه أعداؤها من دعاوى باطلة وليكونوا على ثقة في موعود الله، ويزيدهم تمسكا بالوحي الصحيح.

أسباب اختيار الموضوع:

دفعني إلى اختيار هذا الموضوع أسباب ذاتية وأخرى موضوعية :

_ محاولة فهم فحوى الصراع القائم بين المسلمين واليهود، وبيان أنه قائم على أسس عقدية ودينية بحتة، وأن القضية ليست قضية أرض فقط.

_ وجود بعض النقاط المشتركة بين التوراة والقرآن الكريم في موضوع الوعد أدى ببعض الكتاب العرب إلى إثبات حق اليهود في تملك فلسطين، فأردت أن أتحقق من الموضوع من خلال المقارنة.

_ رغبتي في التعرف على الشخصية اليهودية وفهمها بعمق من خلال هذا البحث.

_ المساهمة في نصرة القضية الأم في العالم الإسلامي وهي قضية فلسطين، ونسف المزاعم الصهيونية ولو بالشيء البسيط.

المنهج المتبع في الدراسة:

اتبعت في هذا البحث المنهج المقارن الذي يعتمد على الملاحظة والوصف والتحليل والمقارنة والترجيح، لأن هذا المنهج هو الأصلح لمثل هذه الدراسات التي تتعلق بمقارنة الأديان بهدف الوصول إلى مكامن الاتفاق والاختلاف.

إضافة إلى المنهج المقارن فإني لم أغفل المناهج الأخرى كالوصفي والاستقرائي والمنهج التاريخي وهذا الأخير الذي يفيدنا في نقد الأحداث التاريخية خاصة التي تعرضها أسفار العهد القديم حيث يضعها على المحك ويبين مدى مصداقيتها.

الدراسات السابقة:

هناك الكثير من الدراسات التي تناولت هذا الموضوع بالدراسة، ومن أهم ما عثرت عليه كتاب" أرض الميعاد" للمؤلف حسين فوزي النجار، وكتاب:"عقيدة اليهود في الوعد بفلسطين عرض ونقد" لمؤلفه محمد بن علي بن محمد آل عمر، بالإضافة إلى بعض المقالات التي تحدثت عن هذا الموضوع.

وهذه المؤلفات وغيرها اقتصرتْ دراستها للموضوع على النقد للنصوص التوراتية وإبطال الإدعاءات الصهيونية في زعمها الحق الديني والتاريخي في الأرض المقدسة بمقتضى الوعد، أما دراسة الموضوع بطريقة

مقارنة بين القرآن والتوراة مع التحليل والمناقشة للنصوص فإن البحث لم يطرق من قبل بهذه الكيفية في حدود اطّلاعي.

صعوبات البحث:

من أهم الصعوبات التي واجهتني في هذا البحث مايلي:

_الطريقة والكيفية التي يتم من خلالها إجراء عملية المقارنة، بحيث أن المقارنة الموازية تكون مستحيلة في بعض الأحيان مما دفع بي إلى اللجوء إلى المقارنة عن طريق النقد والمناقشة لأنه ليس كل عنصر في التوراة له ما يقابله في نصوص القرآن الكريم.

_عدم قدرتي على الاطلاع على الكتب التي باللغات الأجنبية وذلك لعدم تمكني منها، وهذا يعد عائقا في الحصول على المعلومة، فاقتصرت على المترجم منها.

أهداف البحث:

_ إبطال الوعود التوراتية وبيان أن التوراة الحالية محرفة وأنها لا تصلح لأن تكون من عند الله، وبالتالي ليس هناك أي حقّ للصهاينة يمكن أن يتمسكوا به في فلسطين أو غيرها من بلاد المسلمين.

_ تنبيه الأمة الإسلامية إلى حقيقة اليهود وخطرهم وأنهم ينطلقون من توراتهم في إقامة مشاريعهم العنصرية العدائية، وبالتالي لا ننخدع بشعارات السلام التي يطلقها الكيان الصهيوني.

_زرع الثقة بموعود الله تعالى الذي أطلقه في القرآن الكريم بالتمكين للصالحين الذين يتبعون النبي الأمي الذي بشرت به الكتب المتقدمة.

خطة البحث:

احتوى هذا البحث على مقدمة وخاتمة وخمسة فصول كل فصل ينقسم إلى مبحثين وكل مبحث ينقسم إلى أربعة مطالب، فجاءت خطة البحث كالتالي:

المقدمة: وفيها تعريف عام بالبحث

الفصل الأول: تعرضت فيه إلى أهم المصطلحات التي تخدم البحث حيث عّرفت بكّل من التوراة والقرآن الكريم ومفهوم القداسة، كما عرفت بالوعد في اللغة و الاصطلاح وبينت المقصود بالوعد في التوراة والقرآن الكريم.

الفصل الثاني: يتحدث هذا الفصل عن العهود في مرحلة إبراهيم وإسماعيل وإسحق ويعقوب عليهم السلام.

فجاء المبحث الأول متعلقا بالجانب التوراتي فذكرت فيه الوعود والعهود التوراتية التي حصل عليها الأنبياء والتي يتخذها اليهود ذريعة في تمسكهم بالحق الديني في تملك أرض الإسراء والمعراج، فالوعود في هذه المرحلة من أهم الحجج والمرتكزات التي يبني عليها الصهاينة ادّعاءاتهم.

أما المبحث الثاني: فكان خاصا بالجانب القرآني فأبرزت ما ورد في القرآن عن الوعود والعهود التي نالها الأنبياء عليهم السلام فكان العرض بمثابة رد ونقد على نصوص التوراة ومناقشة لها، وبينت أن الوعد ليس ميراثا عنصريا، وإنما هو عطاء من الله لمن يستحقه وحقّق ما أمر الله به من استقامة وصلاح وإيمان.

الفصل الثالث: ويتحدث عن الوعد في المرحلة التي تلي مرحلة الآباء وهي مرحلة موسى عليه السلام، والذي يعتبر أهم شخصية عند بني إسرائيل.

فتعرضت في المبحث الأول من هذا الفصل للوعود التوراتية في مرحلة موسى ويوشع بن نون ففي هذه الفترة تم خروج بني إسرائيل من مصر بعد اضطهاد الفراعنة لهم، وكان هذا الخروج بمثابة التحقيق الفعلي للوعود التي أعطاها الرب للآباء، وموسى هو المنفذ الفعلي للوعد والقائد المخلص لبني إسرائيل من العبودية، حيث يقف ببني إسرائيل على حدود أرض الميعاد فيموت هناك ليستكمل تلميذه يوشع بن نون المسيرة ويدخل ببني إسرائيل أرض الكنعانيين بعد أن قام بحروب إبادة قام بها ضد سكان هذه البلاد بتأييد من الرب ليحقق الوعود والعهود الأبوية.

وفي المبحث الثاني المتعلق بالقرآن الكريم أوردت ما كان في هذه المرحلة من أحداث وبينت أن بني إسرائيل كان تفضلهم على العالمين لما كانوا مؤمنين موحدين، فدخولهم للأرض المقدسة لم يكن نتيجة وعد عنصري أو تفضيل لجنس معين دون مقابل.

كما تخللت هذه المقارنة التعليق عل بعض الأحداث التي تساهم في بيان حقيقة الوعود التوراتية ومدى مصداقيتها كالتيه وتمرد بني إسرائيل على موسى عليه السلام.

الفصل الرابع: في هذا الفصل ذكرت أن معظم الوعود التي تحصل عليها بنو إسرائيل كانت مشروطة ومقيدة، وبينت أن بني إسرائيل لم يلتزموا بهذه الشروط فخسروا بهذا كل الوعود وأكبر دليل على ذلك هو المصائب التي نزلت بهم عبر الأجيال المتلاحقة.

الفصل الخامس:نتائج المقارنة

ذكرت في هذا الفصل أهم النتائج التي توصلت إليها من خلال المقارنة وهي بطلان وعود التوراة وعدم صلاحيتها أن تكون مصدرا يعول عليه في الحصول على شرعية الاحتلال.

الخاتمة:

عرضت فيها نتائج البحث على شكل نقاط مختصرة.

الفصل الأول

ضبط المصطلحات

ضبط المصطلحات

في هذا الفصل سأقوم بتفكيك عنوان البحث وأحاول أن أعّرف قدر المستطاع بكل جزئية من جزئياته، لأن المصطلحات تعتبر بمثابة المفتاح الذي من خلاله يمكن الدخول إلى صلب الموضوع، وقد قسمت هذا الفصل إلى مبحثين كالتالي:

المبحث الأول: التعريف بالتوراة والقرآن وتحديد مفهوم القداسة

المطلب الأول:التعريف بالتوراة

المطلب الثاني:سند وحجية التوراة

المطلب الثالث: التعريف بالقرآن الكريم

المطلب الرابع: مفهوم القداسة

المبحث الثاني: مفهوم الوعد المقدس

المطلب الأول:تعريف الوعد لغة واصطلاحا

المطلب الثاني:مفهوم الوعد المقدس في التوراة

المطلب الثالث: مفهوم الوعد المقدس في القرآن الكريم

المطلب الرابع: الوعد في الأديان

المبحث الأول: التعريف بالتوراة والقرآن وتحديد مفهوم القداسة

يعتقد اليهود كما النصارى أن العهد القديم هو كتاب سماوي منزل من عند الله على موسى عليه السلام والأنبياء من بعده، كما أن المسلمين يتمسكون بالقرآن الكريم ويسلّمون بعصمته وقطعية نسبته إلى الخالق سبحانه وتعالى، وما دمنا نتحدث في هذا البحث عن موضوع يتعلق بالقرآن والتوراة كان لزاما علينا أن نعرف بهذين الكتابين ومدى قطعية ثبوت نسبتها إلى مصادرها، كما سنذكر مفهوم القداسة التي تتعلق بكثير من عناصر البحث.

المطلب الأول: التعريف بالتوراة

أولا: لغة

"توراة " كلمة من أصل عبري مشتقة من فعل " يريه " بمعنى : يعلم " أو " " يوجه " وربما كانت مشتقة من فعل " باراة " بمعنى " يجري قرعة " ولم تكن : " توراة " ذات معنى محدد في الأصل إذا كانت تستخدم بمعنى " وصايا "، أو " شريعة "، أو "علم "، أو " أمر "، أو " تعاليم "[1] كما تأتي أيضا بمعنى " الناموس " ، أو " الهدى "،أو "القانون "[1]

وقد ناقش المؤرخون العرب أصل معناها ، فقال بعضهم : بأنها علم اخترع ، ووسع ليدل على الوحي الذي نزل على موسى - عليه السلام - ، ومنهم من قال : إنها مشتقة من" الورى " أي " الزند " ، يرى وريا إذا خرجت ناره ، إذ التوراة ضياء ونور معتمدا على قوله تعالى :إِنَّا أَنزَلْنَا التَّوْرَاةَ فِيهَا هُدًى وَنُورٌ "[1] ومنهم من قال بأن التوراة اسم عبراني بمعنى : " الشريعة "[1] .

ثانيا: اصطلاحا

المقصود بالتوراة في التقليد اليهودي: أسفار موسى الخمسة التي أنزلها الإله على موسى عليه السلام -على زعم اليهود- في سيناء وأملاها عليه حرفا حرفا، وهي تبدأ بسرد أحداث العالم منذ بدء الخليقة حتى وفاة موسى عليه السلام[1].

وهذه الأسفار الخمسة (التكوين ، الخروج ، اللاويين ، العدد ، التثنية) تمثل في مجموعها خمس أخماس الشريعة اليهودية، وتسمى في اليونانية ب: " البنتاتوك "="Pentateuch "، وهناك من الباحثين من يقصي "سفر التثنية " من أسفار التوراة، لانعدام الرابطة فيه بالأسفار الأربعة السابقة له من حيث المصدر، والبنية الأدبية، وبذلك يبقى عدد أسفار التوراة أربعة وتسمى حينئذ ب:" التيتراتوك"

1- عبد الوهاب محمد المسيري : موسوعة اليهود واليهودية والصهيونية ،ط1 ، القاهرة ، 1999م ، ج 5 ، ص2443.

1- عبد الوهاب عبد السلام طويلة : الكتب المقدسة في ميزان التوثيق ، ط1 ، دار السلام ، 1410 هـ، 1990م ،ص 62.

1- سورة المائدة: 44 .

1- سعدون محمد الساموك : مقارنة الأديان ، ط1 ، دار وائل ، عمان ، الأردن 2004 م ، ص(190 - 191).

1- عبد الوهاب محمد المسيرى : مرجع سابق ، ص 2439 .

"Tetrateuch"= ، وهناك من يعتبر "سفر يشوع" السفر السادس للتوراة، وبذلك تسمى ب: " الهكزاتوك" = "Hexateuch"، وذلك لأن "سفر يشوع " يحتوى على النتائج العامة للأسفار الخمسة[1].

وقد أطلق اليهود عليها قديما أسماء خاصة لا تشير إلى محتوياتها عامة بل هي عبارة عن الألفاظ التي يبدأ بها كل سفر من الأسفار الخمسة، فالسفر الأول يبدأ بلفظ " براشيت " = "في البدء " ، والثاني " شيموت" ="أسماء "، والثالث " ويقرا "="ودعا "، والرابع " بمدبر"= "برية " ، والخامس "دبريم"= "كلمات "[2] .

وفيما يلي تعريف بكل سفر من هذه الأسفار الخمسة:

1- سفر التكوين : (Genesis)

يسمى بالعبرية " برا شيت " أي "في البدء " نسبة إلى الكلمة الأولى التي يبتدئ بها، وفي اليونانية واللاتينية "جينزير" أي "خلق " أو "تكوين " ، وبهذه التسمية يعرف في الترجمة العربية[3] .

ويحتوي هذا السفر على خمسين فصلا ، أو إصحاحا تحكى في خطوطها العريضة قصة بدء الخليقة ، وقصص آدم ، ونوح ، والطوفان ، وماكان من أمر أبنائه بعد الطوفان : سام ، وحام ، ويافث ، ثم تصل إلى الجد الأعلى الذي ينتمي إليه اليهود وهو إبراهيم، وتتحدث عن سلالته، مركزة الحديث عن ابنه إسحق، ثم يعقوب بن إسحق الذي يسمى أيضا إسرائيل، ثم ابنه يوسف، ومجيئه إلى مصر، ولحاق يعقوب وأبنائه الأحد عشر به، واستقرارهم في أرض مصر، وينتهي هذا السفر بموت يوسف عليه السلام[4].

2- سفر الخروج : (Exodus)

ويسمى بالعبرية "وإله شموت" أي "أسماء" وهي الكلمة الأولى التي يبتدئ بها، وفي اليونانية واللاتينية " أكسودوس" أي "خروج "[5].

1- بشير كردوسي : نقد التوراة بين الفكر الإسلامي والفكر الغربي المعاصر، رسالة ماجستير، معهد أصول الدين، جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية، قسنطينة، 1413 هـ، 1993 م،ص12 .

2- فؤاد حسن علي: التوراة الهيروغليفية، ط1، دار الكتاب العربي ، القاهرة ، ت[] ، ص 39 .

3- أحمد حجازي السقا : نقد التوراة - أسفار موسى الخمسة ، السامرية ، العبرانية ، اليونانية - ، ط 1 ، مكتبة النافذة ، 2005 م ، ص42 .

4- حسن ظاظا: الفكر الديني اليهودي - أطواره ومذاهبه- ، ط4 ، دارا لقلم ، دمشق،سوريا ، والدار الشامية، بيروت، لبنان، 1420 هـ ، 1990 م ، ص 14 .

5- أحمد حجازي السقا: نقد التوراة، ص47.

ويحتوى هذا السفر على أربعين إصحاحا تتحدث في مجملها عن تكاثر اليهود في مصر، واضطهاد الفراعنة لهم.

وسمي ب: "الخروج" لأنه يتحدث عن خروج بني إسرائيل من مصر، وعن الوحي المنزل على سيدنا موسى عليه السلام في جبل سيناء، وقد دّونت فيه أحكام الشريعة، ومن ضمنها الوصايا العشر[1].

كما يروى السفر قصة موسى عليه السلام، من حيث نشأته، وصراعه مع فرعون، وخروج اليهود من مصر، وهلاك فرعون وجنوده، ويتحدث السفر عن تذمر اليهود وعصيانهم لموسى عليه السلام ، وارتدادهم بعبادتهم العجل، ويسجل حالة اليأس التي عاشوها وهم يرتحلون في الصحراء، ويسهب السفر في الحديث عن تفاصيل خيمة الاجتماع التي أمر اليهود بإقامتها لتكون هيكلا متنقلا للعبادة، وتقديم القرابين، وحفظ التابوت الذي يحتوي على التوراة ولوحي الوصايا العشر، كما يحتوى السفر على الكثير من القوانين المدنية والدّينية[2]، وطائفة من أحكام الشريعة اليهودية في العبادات، والمعاملات والعقوبات[3].

3- سفر اللاويين : (Leviticus)

اسمه في العبرية : "و يقرا " أي " ودعا " نسبة إلى الكلمة الأولى التي يبتدئ بها، وفي اليونانية واللاتينية "لفيتيكوس" أي "لاويين" نسبة إلى أسرة لاوي بن يعقوب عليه السلام[4]، ويسمى أيضا ب : " سفر الأحبار " ويحتوى هذا السفر على سبعة وعشرين إصحاحا، وهو ثالث سفر من أسفار موسى الخمسة، وفيه يتوقف السرد القصصي ليحل محله تناول شؤون العبادات وخاصة ما يتعلق بالأعياد، والأضحية والقرابين، والمحرمات من الحيوانات والطيور، وما يتعلق بالطهارة، وكذلك التعاليم الأخلاقية، والنظم الاجتماعية، والتعليمات الخاصة، بخيمة الاجتماع والوجبات الملقاة على عاتق الكهنة، وأحكام العشور والنذور [5].

كما أن نصوص هذا السفر تتكامل مع القسم الأخير من " سفر الخروج " الذي قبله، ومع جزء كبير من " سفر العدد " الذي بعده، من حيث وحدة الموضوع، ويسمى علماء الشريعة الإسرائيلية هذا الكل المتكامل باسم " القانون الكهنوتي " [6] .

1- رجا عبد الحميد عرابي: سفر التاريخ اليهودي، ط 1، دار الأوائل، دمشق، سوريا، 1425 هـ، 2004 م، ص322.

2- محمد السعدي: دراسات في الأناجيل الأربعة والتوراة، ط1، دار الثقافة، الدوحة، قطر، 1405 هـ، 1985 م، ص 95.

3- سعدون محمد الساموك : مقارنة الأديان ، ص 191.

4- أحمد حجازي السقا: نقد التوراة، ص 55.

5- عبد الوهاب محمد المسيري : موسوعة اليهود، ص 2443 .

6- حسن ظاظا : الفكر تاديني اليهودي، ص 15 .

4- سفر العدد : (Numbers)

اسمه في العبرية " بمدير " أي "برية " نسبة إلى الكلمة الأولى التي يبتدئ بها، وفي اليونانية واللاتينية "نومرى" أي "عدد "[1] .

ويحتوى هذا السفر على ستة وثلاثين إصحاحا ويسمى بهذا الاسم لبروز ظاهرة التعداد الدقيق خلال نصوصه، كما أن المعلومات المبنية على الأعداد والأرقام حول الذبائح وعدد المدن والقرى ونحو ذلك، تكثر فيه كثرة تلفت النظر، وفي هذا السفر رجوع إلى سرد قصة مسيرة موسى عليه السلام وقومه تتخللها الأحكام الشرعية في مختلف المسائل، والفتاوى الفقهية حسب ما يعين من ظروف، كما يكثر فيه تذمر العبريين من متابعة السير على خطوات موسى عليه السلام، وانحرافهم حول ألوان من الفسوق والعصيان كثيرا ما أثارت غضب موسى عليه السلام عليهم [2] .

5-سفر التثنية: (Devteronony)

اسمه في العبرية "هد بريم" أي "هذا هو الكلام" وهو ما يبتدأ به في السفر، واسمه في اليونانية واللاتينية : "دويترونوميوم "[3] .

يسمى هذا السفر أيضا : ب "سفر تثنية الاشتراع"، أي إعادة الشريعة وتكرارها على بني إسرائيل مرة ثانية عند خروجهم من"سيناء" ووصولهم إلى سهول" النقب"، وجنوب الأردن في صحراء موآب، وبالطبع كان هناك نسخ لبعض تعاليم الشريعة الأولى عند تثنيتها، أو إضافة لأشياء لم ترد قبل[4].

ويحتوى هذا السفر على أربعة وثلاثين إصحاحا تتضمن خطابا طويلا يوجهه موسى عليه السلام إلى بني إسرائيل في السنة الأربعين الأخيرة من التيه يقدم فيه موجزا عن الأحداث التي عاشوها خلال تشردهم في الصحراء ، ويدعوهم إلى التمسك بأوامر يهوه ، وإبادة شعب فلسطين، والقضاء على كل نسمة حية فيه، ويعلمهم أحكام الدين النهائية والقوانين التي تنظم مجتمعهم بعد الاستقرار في فلسطين، ويبين الشروط التي يجب أن تتوفر في الملك الذي سيختاره اليهود لحكمهم في فلسطين، ويبين الشروط التي من بعده، ويحذر من عواقب الانحراف .

ويذكر السفر أن موسى عليه السلام كتب التوراة وسلمها للكهنة وأمرهم بحفظها في التابوت إلى جانب لوحي الشهادة، كما يذكر تعيين موسى " ليشوع بن نون " خليفة له بأمر يهوه، ويبين أن يهوه حرم موسى عليه السلام من دخول فلسطين لأنه أظهر ضعفا في الثقة بالله في أحد المواقف.

1- أحمد حجازي السقا: نقد التوراة، ص 57.

2- حسن ظاظا : الفكر الديني اليهودي ، ص 16 .

3- أحمد حجازي السقا: نقد التوراة، ص60.

4- حسن ظاظا : الفكر الديني اليهودي ، ص 16 .

ويصف الإصحاح الرابع والثلاثون الأخير من هذا السفر موت موسى عليه السلام ودفنه في شرق الأردن، ويذكر كاتب السفر أن قبره ليس معروفا، وانه لم يرسل نبي مثله إلى حين كتابة السفر.

وهذا الكتاب يكسب أهمية خاصة لأنه يعتبر المرجع الأخير والنهائي لأحكام الشريعة اليهودية[1].

ويلحق بالأسفار الخمسة الأسفار التاريخية والأسفار الشعرية وأسفار الأنبياء ويطلق علي مجموع هذه الأسفار اسم العهد القديم[2]، وتسمى كذلك بالتوراة مجازا[3].

الأسفار التاريخية : وهي اثنا عشر سفرا، تعرض تاريخ بني إسرائيل بعد استيلائهم على بلاد الكنعانيين وبعد استقرارهم في فلسطين وتفصل تاريخ قضاتهم وملوكهم وآياتهم والحوادث البارزة في شؤونهم .

وهى أسفار : يوشع والقضاة وراعوث وصموئيل (سفران) والملوك (سفران) وأخبار الأيام (سفران) وعزرا ونحميا وأستير .

الأسفار الشعرية وتسمى أسفار الأناشيد : وهى أناشيد ومواعظ معظمها ديني، مؤلفة تأليفا شعريا في أساليب بليغة، وعددها خمسة أسفار وهى سفر أيوب ومزامير داود وأمثال سليمان والجامعة من كلام سليمان ونشيد الإنشاد.

أسفار الأنبياء : وعددها سبعة عشر سفرا ، يعرض كل منها لتاريخ نبي من أنبياء بني إسرائيل الذين أرسلوا إليهم بعد موسى وهارون وهى :

أشعياء ، أرميا ، مراثي أرميا ، وحزقيال ، ودانيال، وهوشع ويوئيل وعاموس وعوبديا ويونان (يونس) وميخا وناحوم وحبقوق وصفنيا وحجي وزكرياء وملاخي[4].

المطلب الثالث: سند وحجية التوراة

تعرض كثير من الباحثين إلى التوراة بالنقد سواء كان هذا النقد في المتن أو السند، وأثبتوا بالأدلة القاطعة التي لا تقبل الشك أن أسفار العهد القديم من مصادر مختلفة، وأنه طرأ عليها من التحريف والتبديل الشيء الكثير، مما ينفي نسبتها إلى الله تعالى أو إلى أحد رسله وأنبيائه .

فقد ضاعت التوراة بعد موسى عله السلام، وفي عهد انقسام المملكة ادّعى الكاهن حلقيا أنه عثر على نسخة من التوراة فأتى بها إلى الملك يوشيا بن آمون بن منسا ملك يهوذا في أورشليم (641-

1- محمد السعدي: دراسات في الأناجيل، ص 97.

2- أحمد الحوفي: حجية التوراة، ط1، مؤسسة الخليج العربي، القاهرة، 1409هـ، 1989م، ص4.

3- رحمت الله الهندي: إظهار الحق، ط1، الرئاسة العامة لإدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد، الرياض، المملكة العربية السعودية، 1410 هـ، 1989 م، ج1، ص99.

4- أحمد مختار رمزي: عقائد أهل الكتاب دراسة في نصوص العهدين، ط1، دار الفتح، عمان، الأردن، 1428 هـ، 2008 م، ص10.

611) ق.م، أي بعد وفاة موسى بأكثر من ستة قرون[1].

ولا يقبل الباحثون ادّعاء حلقيا، إذ لا يعقل أن توجد نسخة التوراة في بيت المقدس ولا يراها أحد قبل يوشيا، ولا خلال السبعة عشر عاما الأولى من حكمه، ويرى الباحثون أن حلقيا انتهز فرصة ميل يوشيا إلى العودة لدين الله والعمل بالتوراة، فكتب خلال الأعوام السبعة عشر ما أسماه التوراة وليس في الحقيقة إلا من مخترعاته ومما سمعه من أقوال الناس[2].

يقول رحمت الله الهندي : (إن تواتر هذه التوراة منقطع قبل زمان يوشيا بن آمون، والنسخة التي وجدت بعد ثماني عشر سنة من جلوسه على كرسي السلطة لا اعتماد عليها يقينا، ومع كونها غير معتمدة ضاعت هذه النسخة أيضا غالبا قبل حادثة بختنصر، وفي حادثته انعدمت التوراة وسائر كتب العهد العتيق على صفحة العالم رأسا، ولما كتب عزرا هذه الكتب على زعمهم، ضاعت نسختها وأكثر نقولها في حادثة أنتيوكس)[3].

ومعنى هذا الكلام أن التوراة ضاعت عدة مرات، وبعد كل ضياع يدعي الكهنة أنهم وجدوها، وما هي إلا ممّا كتبت أيديهم ومن تلفيقاتهم وأكاذيبهم، فالتواتر مفقود ولا يمكن نسبة كتاب إلى الله بمجرد ادّعاء شخص أنه وجده، بل التواتر شرط أساسي في قبول كلام الله وهذا غير متوفر والسند منقطع، فلا يصلح أن تكون التوراة خبر آحاد على الأقل .

يقول القرافي : (فلما رأى عزرا أن القوم -بني إسرائيل - قد أحرق هيكلهم وزالت دولتهم وعدم كتابهم الذي بأيديهم جمع من محفوظاته ومن الفصول التي كان يحفظها الكهنة ما لفق منه في هذه التوراة التي بأيديهم، وذلك بعد سبعين سنة بعد بختنصر، ولذلك بالغوا في تعظيم عزرا غاية المبالغة ويزعمون أن التوراة تنزل على قبره إلى الآن، فالذي في أيديهم على الحقيقة هو كتاب عزرا وليس كتاب الله)[4].

فالتوراة الموجودة بين أيدينا إذن لم يكتبها موسى عليه السلام، ولم تنزل من السماء مكتوبة، إنما كتبها الأحبار والكهنة والكتاب على مدى ألف عام، وأضافوا إليها وحذفوا منها و نقحوا فيها وعدلوا وبدلوا ما شاءت لهم الأهواء، وأخذوا من أساطير الأمم الأخرى وخرافتها ما شاءت لهم ميولهم ومشاربهم وأهواؤهم[5] .

1- حسن ظاظا: الفكر الديني اليهودي، ص23.

2- أحمد شلبي: اليهودية ، ط8 ، مكتبة النهضة المصرية ، القاهرة ، مصر، 1988 م ، ص251 .

3- رحمت الله الهندي: إظهار الحق، ج1، ص112.

4- شهاب الدين القرافي: الأجوبة الفاخرة عن الأسئلة الفاجرة، تحقيق بكر زكى إبراهيم عوض، ط2، مكتبة وهبة، القاهرة، مصر، 1427 هـ ، 2006 م ،ص206.

5- محمد علي البار: المدخل لدراسة التوراة والعهد القديم، ط1، دار القلم، دمشق، سوريا، 1410 هـ، 1990 م، ص17.

ومن هنا فالعهد القديم يمثل مجموعة من الأعمال الأدبية التي تمت من خلال تسعة قرون تقريبا إنه يشكل فسيفساء لانسجام فيها، تغيرت عناصرها في مجرى القرون بأيدي الناس، قطع يؤتى بها وتضاف إلى الموجود، وهكذا دواليك حتى أصبح من العسير في أيامنا تحديد هوية المصادر [1].

يقول القرافي: (مع أنهم مع هذا الأصل الواهي الذي لا يوثق بشيء منه ليس على وجه الأرض منهم بشر يروى التوراة عدلا عن عدل، بل هي تلفيقات مجهولات وتواريخ موضوعات بحيث إن التواريخ الإسلامية خير منها، وأوضح بكثير لقرب عهد زمانها .

فإن بعد الزمان المفرط يقتضى مزيد عدم الوثوق أكثر مع أن المسلمين لا يجيزون الاعتماد على التواريخ في شيء من الأحكام البتة، وهم يجعلون هذه التلفيقات والتواريخ عمدة لمعادهم، وشريعة لخالقهم ومانعة مما ورد عليهم من الحق وهو غاية الخذلان، فظهر بهذا التقرير أن التوراة بأيديهم لا نقطع بها ولا نظن أن شيئا منها من عند الله تعالى وهو المطلوب)[2].

والذي قلناه سابقا عن مصدر التوراة أثبتت صحته أبحاث العلماء في العصر الحديث، فالنص التوراتي يرتد إلى أربعة ينابيع مختلفة، اثنان منها جوهريان قديمان والثالث منفصل عنها في زمانه ومضمونه، وأما الرابع والأخير فإنه ينبثق في مواضيع معينة بصورة تكميلية وتوضيحية فقط وهو أحدث هذه الينابيع تاريخا[3].

1- المصدر اليهوي : وسميت هذه الفئة من النصوص باليهوائية لاصطلاحها على تسمية الخالق "يهوه" وزعمها أنه كائن يدعى كذلك منذ القدم، ويوافق ظهورها القرن التاسع قبل الميلاد، وينسب إليها سير الآباء[4].

وقد ركز هذا المصدر على الوعد الذي أعطاه الله للبطاركة من إبراهيم إلى موسى[5].

2- المصدر الإلوهيمي: وسميت هذه الفئة من النصوص بالإلوهيمية لزعمها أن الخالق كان يدعى قبل موسى ب "إلهيم"، وظهرت للوجود بعد زمن قصير من ظهور "اليهويست" أي اليهوائية السابقة، واختصت أيضا بسير الآباء الأولين .

1- موريس بوكاي: التوراة والإنجيل والقرآن والعلم ، ترجمة حسن خالد، ط3، المكتب الإسلامي، بيروت، لبنان، 1411 هـ، 1990 م،ص291.

2- القرافي: الأجوبة الفاخرة ، ص(209 - 210).

3- حسن ظاظا : الفكر الديني ، ص26.

4- المرجع نفسه ، ص27.

5- سيد القمني: إسرائيل- التوراة.. التاريخ.. التضليل-، ط1، دار قباء، القاهرة، 1998م، ص43.

3- المصدر التثنوي أو تثنية الشريعة: نسبة إلى سفر التثنية والذي اختصت بكتابته، ولها آثار ظاهرة في عملية التصليح والتنقيح في الأسفار الأخرى، وساهم أفرادها في الإصلاحات التي أدخلت على الديانة اليهودية في عهد " يوشيا "، وظهرت للوجود نحو عام 622 ق.م.

4- المصدر الكهنوتي: أو حواشي الكهنة، وترجع إلى القرن الخامس قبل الميلاد، وهذه الحواشي أضيفت إلى النص على عهد عزرا ونحميا أي بعد السبي البابلي في ظل الإمبراطورية الفارسية[1].

إضافة إلى هذه المصادر التي تدل على أن التوراة الموجودة محرفة وأنها مجموعة من النصوص المركبة، فإن اليهود والنصارى بين أيديهم **ثلاث نسخ مشهورة من التوراة** وهى التي تتفرع عنها جميع النسخ والترجمات وهي:

1 / النسخة العبرية : وهي المقبولة والمعتبرة لدى اليهود وجمهور علماء البروتستانت النصارى وهي مأخوذة من النسخة الماسورية[2]، وما ترجم عنها .

2 /النّسخة اليونانية: وهي المعتبرة لدى النصارى الكاثوليك والأرثوذكس وهي التي تسمى السبعينية وما ترجم عنها.

3 /النّسخة السامرية: وهي المعتبرة والمقبولة لدى السامريين من اليهود.

و إذا عقدنا مقارنة بين هذه النسخ الثلاث، وجدنا بينها تباينا شديدا فيه دلالة واضحة على التحريف[3].

المطلب الثالث: التعريف بالقرآن الكريم

أولا: لغة

جاء في لسان العرب عن أبي إسحق النحوي: " يسمى كلام الله تعالى الذي أنزله على النبي صلى الله عليه وسلم كتابا وقرآنا وفرقانا، ومعنى القرآن معنى الجمع، وسمي قرآنا لأنه يجمع السور فيضمها، وقوله تعالى:﴿ إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُۥ وَقُرْءَانَهُۥ ﴿١٧﴾ ﴾[4] أي قراءته .

فأما قوله:

1- حسن ظاظا: الفكر الديني، ص27 ، وانظر(رجا عبد الحميد عرابي: سفر التاريخ اليهودي ،ص335) .

2- النص الماسوري: هي عبارة تطلق على صيغة النص الرسمية التي قررت نهائيا في الدين اليهودي حوالي القرن العاشر قبل الميلاد أي بعد موسى بحوالي 2300 سنة حين ازدهر في طبرية أشهر المسوريين وكانوا ينتمون إلى عائلة بن أشير، وأقدم مخطوط مسوري بين أيدينا نسخ فيما بين(820-850) بعد المسيح وهو لا يحتوي إلا على التوراة (محمد علي البار: المدخل لدراسة التوراة، ص172).

3- سعود بن عبد العزيز الخلف: دراسات في الأديان اليهودية والنصرانية، ط1، أضواء السلف، الرياض، المملكة العربية السعودية، 1418 هـ، 1997 م، ص85.

4- سورة القيامة: الآية (17).

هّن الحرائر لا ربَّان أحمِرةٍ سود المحاجر لا يقرأن بالّسور[1].

فإنه أراد لا يقرأن الّسور وزاد الباء .

وقرأت الشيء قرآنا: جمعته وضممت بعضه إلى بعض، ومنه قولهم : ما قرأت هذه الناقة سلًى قطّ، وما قرأت جنينا قطّ، أي لم يَضْطّم رحمها على ولد .

وأنشد : هجان اللون لم تقرأ جنينا [2] .

قال أكثر الناس :معناه لم تجمع جنينا أي لم يَضْطّم رحمها على الجنين، ومعنى قرأت القرآن: لفظت به مجموعا أي ألقيته .

وقرأت الكتاب قراءة وقرآنا، ومنه سمي القرآن، وأقرأه القرآن فهو مقرئ.

وسمي القرآن قرآنا لأنه يجمع القصص والأمر والنهي والوعد والوعيد والآيات والسور بعضها إلى بعض، وهو مصدر كالغفران والكفران، وقد يطلق على الصلاة لأن فيها قراءة، تسمية للشيء ببعضه، وعلى القراءة نفسها يقال: قرأ ، يقرأ، قراءة، وقرآنا[3].

ويقول عبد الله دراز :(القرآن في الأصل على وزن فعلان بالضّم، كالغفران، والشكران، والتكلان، نقول : قرأته قرءا وقراءة وقرآنا بمعنى واحد ، أي تلوته تلاوة)[4].

ولقد ذهب العلماء في لفظ القرآن مذاهب عدة، فهو عند بعضهم مهموز، وعند بعضهم الآخر غير مهموز.

فمن رأى أنه بغير همز: الشافعي، والفراء[5] ، والأشعري[6].

أ– يقول الشافعي: لأن لفظ القرآن المعرف "بال" ليس مشتقا ولا مهموزا، بل ارتجل ووضع علما على الكلام المنزل على النبي صلى الله عليه وسلم.

ب – يقول الفراء : إنه مشتق من القرائن ، جمع قرينة لأن آياته يشبه بعضها بعضا ، فكان بعضها قرينة على بعض ، وواضح أن النون في " قرائن " أصلية.

1-البيت للراعي النّميري في ديوانه ، (انظر لسان العرب ،ج11،ص80) .

2- الشطر لعمر بن كلثوم في معلقته (شرح المعلقات لأبي عبد الله الحسين بن أحمد الزوزني،ط1،دار الفكر،2005م، ص 102) .

3- جمال الدين بن منظور: لسان العرب، تحقيق -ياسر سليمان أبو شادي ومجدي فتحي السيد - ،ط1، المكتبة التوفيقية ، القاهرة ، مصر ، ت[]، مادة قرأ ، مج 11 ، ص 80 – 81 .

4- محمد عبد الله دراز : النبأ العظيم ، ط 1 ، دار القلم ، الكويت ، 1413 هـ ، 1993 م ، ص12 .

5- الفراء : هو أحد نحاة الكوفة وأئمتها المشهورين في اللغة واسمه يحيى بن زياد الديلمي ويكنى أبا زكريا ، له كتاب في معاني القرآن ، توفي سنة 207 هـ ، انظر (شمس الدين بن خلكان :وفيات الأعيان،تحقيق إحسان عباس،ط1، دار صادر،بيروت ،لبنان، 1414هـ،1994م، ج6، 176).

6- الأشعري : هو الإمام أبو الحسن على بن إسماعيل الأشعري الذي تنسب إليه الطائفة الأشعرية، وكتبه مشهورة في الرد على الجهمية والخوارج والرافضة، توفي سنة 324 هـ (وفيات الأعيان: ج3 / 284).

ج – يقول الأشعري: إنه مشتق من " قرن الشيء بالشيء " إذا ضّمه إليه لأن السور والآيات تقرن فيه ويضم بعضها إلى بعض.

والقول بعدم الهمزة في هذه الآراء الثلاثة كاف للحكم ببعدها عن قواعد الاشتقاق وموارد اللغة.

وممن رأى أن لفظ القرآن مهموز : الزجاج[1]، واللحياني[2] ، وجماعة .

أ – يقول الزجاج: إن لفظ القرآن مهموز على وزن فعلان مشتق من القرء بمعنى الجمع، ومنه قرأ الماء في الحوض إذا جمعه، لأنه جمع ثمرات الكتب السابقة.

ب – يقول اللحياني: إنه مصدر مهموز بوزن الغفران ، مشتق من قرأ بمعنى تلا، سمي بالمقروء تسمية للمفعول بالمصدر.

والأخير أقوى الآراء و أرجحها، فالقرآن في اللغة مصدر مرادف للقراءة[3].

ثانيا: اصطلاحا

عرف القرآن في الاصطلاح بتعاريف كثيرة ، وذلك تبعا لتباين آراء أهل الفنون العلمية ، حيث اختلفت الرؤى في تعريفه وضبط مفهومه .

تعريف القرآن عند المتكلمين:

عرف المكتملون القرآن بعدة تعريفات منها :

1- أنّ القرآن صفة قديمة، متعلقة بالكلمات الحكيمة، من أول الفاتحة إلى آخر سورة الناس.

2- أنّ القرآن هو تلك الكلمات الحكيمة الأزلية، المرتبة في غير تعاقب المجردة عن الحروف اللفظية، والذهنية والروحية.

تعريف القرآن عند الأصوليين :

من تعاريف الأصوليين للقرآن مايلي :

1- أنّ القرآن هو اللفظ المنّزل على النبي صلى الله عليه وسلم، من أّول الفاتحة إلى آخر سورة الناس الممتاز بخصائصه.

2- القرآن هو كلام الله المعجز المنزل على النبي صلى الله عليه وسلم، المكتوب في المصاحف، المنقول بالتواتر، المتعبد بتلاوته[4].

1- الزجاج: هو أبو إسحاق إبراهيم بن محمد السري، له كتاب في معاني القرآن، توفي سنة 311هـ (وفيات الأعيان: ج1/ص49)

2- اللحياني: هو أبو الحسن بن حزم، اللغوي المشهور، المتوفى سنة215.

3- تقية عبد الفتاح: الميسر في علوم القرآن، ط 1، قصر الكتاب، الجزائر، ت[]، ص 49- 50.

4- المرجع نفسه : ص 45 .

تعريف القرآن عند السّنة :

(القرآن - ويسمى بالكتاب أيضا - كلام الله تعالى غير مخلوق ، وهو مكتوب في مصاحفنا ، محفوظ في قلوبنا، مقروء بألسنتنا ، مسموع بآذاننا غير حالّ فيها، لأن كلام الله ليس من جنس الحروف والأصوات لأنها حادثة وكلام الله صفة أزلية قديمة منافية للسكوت الذي هو ترك التكلم مع القدرة عليه ، والآفة التي هي عدم مطاوعة الآلات ، بل هو معنى قديم قائم بذات الله تعالى يلفظ ويسمع بالنظم المخيل ، ويكتب بنقوش وأشكال موضوعة للحروف الدالة عليه) .

فحيث يوصف القرآن، بما هو من لوازم القديم كقولنا: القرآن غير مخلوق فالمراد حقيقته الموجودة في الخارج، وحيث يوصف بما هو من لوازم المخلوقات يراد به الألفاظ المنطوقة المسموعة كقولك :حفظت القرآن[1].

وحتى نضبط القرآن الكريم بتعريف جامع مانع، نختم جملة التعاريف السابقة بالتعريف الآتي:(القرآن هو اللفظ العربي المعجز المنزل من الله عز وجل عن طريق ملك الوحي جبريل- عليه السلام -على النبي صلى الله عليه وسلم، المتعبد بتلاوته ، المنقول إلينا بالتواتر، المكتوب في المصاحف منذ عهد عثمان رضي الله عنه المبدوء بسورة الفاتحة المختوم بسورة الناس)[2].

محترزات هذا التعريف:

خرج بقولنا: " اللفظ العربي المعجز " أشعار العرب وأراجيزهم ونثرهم لأنها غير معجزة.

وخرج بقولنا: " المنزل من الله عز وجل " كلام الله غير المنزل " إذا ليس كل كلام إليه منزلا، وقد قال الله تعالى: ﴿ قُل لَّوۡ كَانَ ٱلۡبَحۡرُ مِدَادٗا لِّكَلِمَٰتِ رَبِّي لَنَفِدَ ٱلۡبَحۡرُ قَبۡلَ أَن تَنفَدَ كَلِمَٰتُ رَبِّي وَلَوۡ جِئۡنَا بِمِثۡلِهِۦ مَدَدٗا ١٠٩ ﴾[3].

فكلمات الله إذن ليست محدودة ، والمنزل منها قليل من كثير[4] .

وخرج بقولنا :" على النبي صلى الله عليه وسلم "، المنزل على غيره من الأنبياء كالتوراة والإنجيل والّزبور والصحف.

وخرج بقولنا " المتعبد بتلاوته "، الأحاديث القدسية على الّرأي بأن لفظها من عند الله، فإنّها ليست معجزة.

1- محمد على التهانوي: موسوعة كشاف اصطلاحات الفنون والعلوم ، تحقيق علي دحروج ، ط 1 ، مكتبة لبنان ناشرون ، بيروت ، لبنان ، 1996 ، ج2 ، ص 106 – 107 .

2- محمد عبد الله المهدي البدري : القرآن الكريم - تاريخه وعلومه - ط 1 ، دار القلم ، دبي ، 1404 هـ ، 1984 م ، ص 13.

3- سورة الكهف: الآية 109.

4-أحمد حسن فرحات: في علوم القرآن - عرض ونقد وتحقيق- ، ط1، دار عمار، عّمان، الأردن 1421هـ -2001 م، ص26.

وخرج بقولنا: " المنقول إلينا بالتواتر"، جميع ما سوى القرآن من منسوخ التلاوة والقراءات غير المتواترة، سواء نقلت بطريق الشهرة كقراءة (ابن مسعود) أو بطريق الآحاد [1].

وللقرآن الكريم أسماء كثيرة نذكر منها[2]:

- "الكتاب"ورد هذا الاسم في قوله تعالى:﴿ لَقَدْ أَنزَلْنَآ إِلَيْكُمْ كِتَٰبًا فِيهِ ذِكْرُكُمْ ۖ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴾[3].

-" الفرقان " ففي القرآن الكريم سورة كاملة سميت بهذا الاسم جاء في مستهلها قوله تعالى:﴿تَبَارَكَ ٱلَّذِى نَزَّلَ ٱلْفُرْقَانَ عَلَىٰ عَبْدِهِۦ لِيَكُونَ لِلْعَٰلَمِينَ نَذِيرًا ﴿١﴾ ﴾ [4].

- " الذكر " قال تعالى : ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ ﴿٩﴾﴾[5].

-" التنزيل " ورد في مثل قوله تعالى: ﴿ وَإِنَّهُۥ لَتَنزِيلُ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٩٢﴾ ﴾[6].

وقد غلب من أسمائه : القرآن والكتاب ، قال عبد دراز : (روعي في تسمية قرآنا كونه متلوا بالألسن، كما روعي في تسميته كتابا كونه مدونا بالأقلام ، فكلا التسميتين من تسمية الشيء بالمعنى الواقع عليه.

وفي تسميته بهذين الاسمين إشارة إلى أنه من حقّه العناية بحفظه في موضعين لا في موضع واحد ، يعني أنه يجب حفظه في الصدور والسطور جميعا ، أن تضلّ إحداهما فتذكّر إحداهما الأخرى ، فلا ثقة لنا بحفظ حافظ ، حتى يوافق الرسم المجمع عليه من الأصحاب ، المنقول إلينا جيلا بعد جيل على هيئته التي وضع عليها أّول مرة ، ولا ثقة لنا بكتابة كاتب حتى يوافق ما هو عند الحفاظ بالإسناد الصحيح المتواتر.

وبهذه العناية المزدوجة التي بعثها الله في نفوس الأمة المحمدية اقتداء بنبيها بقي القرآن محفوظا في حرز حريز، إنجازا لوعد الله الذي تكفل بحفظه حيث يقول:

﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ ﴿٩﴾﴾[7].

ولم يصبه ما أصاب الكتب الماضية من التحريف والتبديل ، وانقطاع السند)[8].

1- محمد بن محمد أبو شهبة: المدخل لدراسة القرآن الكريم، ط1، مكتبة السنة، القاهرة 1412 هـ، 1992 م، ص 20-21.

2-منّاع القطان: مباحث في علوم القرآن، ط 9، مؤسسة الرسالة، بيروت، لبنان، 1402 هـ – 1982 م، ص 21.

3- سورة الأنبياء: 10.

4- سورة الفرقان: 01.

5- سورة الحجر: 09.

6- سورة الشعراء: 192.

7- - سورة الحجر: 09.

8- عبد الله دراز : النبأ العظيم، ص 22 .

المطلب الرابع: مفهوم القداسة

أولا: لغة

القداسة في اللغة معناها التطهير، والمباركة.

ومنه القُدْسُ البركة والأرض المقدسة الشام، وبيت المقدس، وحكى ابن الأعرابي: " لا قدسه الله " أي لا بارك عليه، قال والمقدّس المبارك، والأرض المقدسة المطهرة، وهي دمشق وفلسطين وبعض الأردن، ويقال أرض مقدسة أي مباركة[1].

والقُدُّوس من أسماء الله تعالى، أي الطّاهر، أو المبارك والمنزه عن العيوب والنقائص[2].

وروح القدس: جبريل أي روح الطهر، وروح القدس عند النصارى: الأقنوم الثالث ، **وقدس الأقداس** عند اليهودالمكان الأكثر قدسية في متعبّدهم وهو قبّه الهيكل .

والكتاب المقدس: عند اليهود العهد القديم، وعند النصارى مجموع العهدين (القديم والجديد)[3].

ثانيا: اصطلاحا

لايبتعد مفهوم القداسة في الاصطلاح عما ذكرناه سابقا في المفهوم اللغوي فهو يدور بين معاني الطهارة والتعظيم والبركة والاحترام وحرمة الانتهاك له والمساس به.

يقول لالاند في تعريفه للمقدس:(ما ينتسب إلى نظام أشياء منفصل،مخصوص لا يقبل الانتهاك، ما يتعين عليه أن يكون موضع احترام ديني من قبل جماعة من المؤمنين)[4].

فحسب لالاند هي ما كان محرما على المؤمنين بقداسته -المقدس- انتهاكه أو تدنيسه أو العبث به، فالواجب عليهم تبجيله واحترامه.

ويوضح شاكر سليم هذا المعنى فيقول:(هو صفة يطلقها المجتمع على أشياء وأماكن وأعمال يعتبرها واجبة الاحترام، فيقيم لها طقوسا، دينية لاعتقاده باتصالها بعبادة الإله، أو الآلهة، أو المعبودات،أو القوى الطبيعية، أو لأنها ترمز إلى القيم الأساسية للمجتمع، ولهذا فهي مصونة من العبث أو التخريب، والمصطلح نقيض مصطلح "غير مقدس"، ويختلف تصنيف الأشياء والأماكن، والأعمال، إلى مقدس وغير مقدس باختلاف الجماعات ، ووفقا لما تتواضع عليه)[5].

1- ابن منظور: لسان العرب، ج11، ص61 – 62.

2- مجد الدين محمد بن يعقوب الفيروزآبادي: القاموس المحيط ، ط8 ، مؤسسة الرسالة ، بيروت، لبنان، 1426 هـ ، 2005 م ، ص565.

3- مجمع اللغة العربية: المعجم الوسيط، ط4، مكتبة الشروق الدولية القاهرة مصر، 1425 هـ، 2004 م، ص719

4- أندريه لالاند:موسوعة لالاند الفلسفية، ترجمة خليل أحمد خليل،ط2،منشورات عويدات، بيروت ،باريس، 2001م،مج3، ص1229.

5- شاكر مصطفى سليم: قاموس الأنثروبولوجيا، ط1، جامعة الكويت،1981 م، ص837.

وفي القرآن نجد أن من أسماء الله الحسنى "القدّوس":

﴿ هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِى لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْمَلِكُ ٱلْقُدُّوسُ ٱلسَّلَٰمُ ٱلْمُؤْمِنُ ٱلْمُهَيْمِنُ ٱلْعَزِيزُ ٱلْجَبَّارُ ٱلْمُتَكَبِّرُ ۚ سُبْحَٰنَ ٱللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٢٣﴾ ﴾[1].

أي المقدس السالم من كل عيب ونقص المعظم الممجد، لأن القدوس يدل على التنزيه من كل عيب ونقص والتعظيم لله في أوصافه وجلاله[2].

ومنه قول الملائكة لله سبحانه وتعالى:

﴿ وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّى جَاعِلٌ فِى ٱلْأَرْضِ خَلِيفَةً ۖ قَالُوٓا۟ أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ ٱلدِّمَآءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ ۖ قَالَ إِنِّىٓ أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٣٠﴾ ﴾[3].

يقول القرطبي في تفسيرة لمعنى القداسة في الآية:

(أي نعظمك ونمّجدك ونطهر ذكرك عما لا يليق بك مما نسبك إليه الملحدون وهذا قول مجاهد وقال الضحاك: المعنى نطّهر أنفسنا لك ابتغاء مرضاتك، وقال قتادة: نقدس لك معناه نصلي، والتقديس الصلاة، فالصلاة تشتمل على التعظيم والتقديس والتسبيح).[4]

كما نجد في القرآن كذالك لفظ القداسة يطلق على الواد المقدس و الأرض المقدسة.

قال تعالى: ﴿هَلْ أَتَىٰكَ حَدِيثُ مُوسَىٰٓ ﴿١٥﴾ إِذْ نَادَىٰهُ رَبُّهُۥ بِٱلْوَادِ ٱلْمُقَدَّسِ طُوًى ﴿١٦﴾ ﴾[5]، وقال تعالى على لسان موسى عليه السلام:﴿ يَٰقَوْمِ ٱدْخُلُوا۟ ٱلْأَرْضَ ٱلْمُقَدَّسَةَ ٱلَّتِى كَتَبَ ٱللَّهُ لَكُمْ وَلَا تَرْتَدُّوا۟ عَلَىٰٓ أَدْبَارِكُمْ فَتَنقَلِبُوا۟ خَٰسِرِينَ ﴿٢١﴾ ﴾[6].

فالواد المقدس: هو المطهر، والمراد به التطهير المعنوي وهو التشريف والتبريك، لأجل ما نزل فيه من كلام الله، دون توسط ملك يبلغ الكلام إلى موسى عليه السلام، وذلك تقديس خاص، وهذا الواد هو واد في جبل الطور في برية سيناء في جانبه الغربي[7].

1- سورة الحشر: 23

2- عبد الرحمن بن ناصر السعدي: تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان،ط1، المكتبة التوفيقية، القاهرة، مصر، ت[]، ص959.

3- سورة البقرة: 30.

4- محمد بن أحمد الأنصاري القرطبي: الجامع لأحكام القرآن، ط1، دار البيان العربي، القاهرة،مصر،1429هـ، 2008م، ج1،ص212.

5-سورة النازعات:15-16.

6-سورة المائدة:21.

7- محمد الطاهر بن عاشور: التحرير والتنوير، ط1، الدار التونسية للنشر، تونس 1984 م، ج30، ص75.

والأرض المقدسة: هي المطهرة من الوثنية، لما بعث الله فيها من الأنبياء والدّعاة إلى التوحيد، روى ابن عساكر عن معاذ بن جبل أن الأرض المقدسة ما بين العريش إلى الفرات، وبعضهم يسمي القسم الشمالي من هذا القطر باسم سورية والباقي باسم فلسطين، أو بلاد المقدس، أو الأرض المقدسة أو أرض الميعاد، لأن الله وعد بها ذرية إبراهيم، ويدخل فيما وعد الله به إبراهيم الحجاز وما جاوره من بلاد العرب[1].

مما سبق يتضح لنا أن مصدر القداسة هو الله سبحانه وتعالى لأنه هو القدوس المنزه عن العيب والنقص، فكلامه مقدّس، وكل ما يصدر عنه فهو مقدس.

وقولنا "كتاب مقدس"[2] أي منزه عن السّفه والتناقض والخطأ لأنه كلام الله، وقولنا وعد مقدّس لأن مصدره مقدس، فهو منزه عن أن يكون لغوا أو غير متحقق أو مكذوب بل يجب أن يكون حقّا وصدقا غير مطعون فيه واجب الاحترام من طرف المعتقدين به، فهو عندهم ثابت لا يقبل الشّك أو الاستدراك.

وفي الدّيانة اليهودية لا يتوقف معنى القداسة عند المعاني التي طرحناها، بل تأخذ القداسة معنى شاملا ومتطرفا فكل شيء يصبح مقدسا، فالشعب مقدس، والأرض مقدسة، والتاريخ مقدس.

جاء في قاموس الكتاب المقدس :(شعب الله شعب لا مثيل له، باعتبارهم جنس مختار وكهنوت ملوكي، وأمّة مقدسة ورثة لكل وعود الله للآباء، وهم محبوبون يؤيدهم الله ليصيّرهم كاملين ومقدسين)[3].

يقول عبد الوهاب المسيري عن النظرة اليهودية للقداسة:

(والرّؤية التوحيدية للقداسة موجودة في اليهودية كطبقة ضمن طبقات التركيب الجيولوجي التراكمي، وهناك فوقها وتحتها طبقات أخرى من أهمها الطبقة الحلولية، التي يستطيع اليهودي في إطارها أن يشارك في القداسة ، بل يستطيع أن يتوحد مع الإله تماما ويصبح في قداسته، وبالتالي لم تعد مشاركة الإنسان في القداسة مرهونة بالتزامه بشعائر دينية ومعايير أخلاقية، بل أصبحت سمة متوارثة ناتجة عن الحلول الإلهي الدائم، ويصبح خلع القداسة على كل شيء قومي إلى حدّ أن التلمود يصبح أكثر قداسة من

1- أحمد مصطفى المراغي: تفسير المراغي،ط1، مطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده، مصر، 1365 هـ، 1946م، ج6،ص75.

2- تعمل الكنيسة على تكريس معنى القداسة وتسمية أسفارها الأسفار المقدسة،والكتاب المقدس، وذلك من أجل منع أيّ كان من التعرض لنص الكتاب ،فدعوى القداسة تجعله فوق كل فكر بشري،وتمنع كل إنسان من مناقشته أوردّ أفكاره،لأنّ الكتاب المقدس في الفكر المسيحي هو من الأسرار التي لا يمكن للعقل البشري إدراكها مثل التجسد الذي يظنه المسيحيون من دون استدلال ويرفضون استعمال العقل في إثباته والبرهنة عليه،وقد كانت هذه القدسية المزعومة للكتاب المقدس ذريعة الكنيسة لإبعاد الناس عن نصهم المقدس وضمان عدم خضوعه للمساءلة (يوسف الكلاّم:تاريخ وعقائد الكتاب المقدس،بين إشكالية التقنين والتقديس، ط1، دار صفحات للدراسات والنشر، دمشق، سوريا، 2009م، ص256).

3- تأليف نخبة من الأساتذة: قاموس الكتاب المقدس، ط6، منشورات مكتبة المشعل، بيروت، لبنان، 1981 م، ص235.

العهد القديم نفسه، وقد ورثت الصهيونية هذا المفهوم الحلولي للقداسة التي تتركز في الشعب المقدس والأرض المقدسة.

لكن الصهاينة علمنوا هذا المفهوم، بحيث يصبح مركز القداسة غير محدد، فهو بالنسبة للمتدينين الخالق، وبالنسبة للملحدين روح الشعب أو أية مقولة دنيوية أخرى، وفي عصر ما بعد الحداثة أصبحت القداسة في اليهودية تتوزع على كل المخلوقات، فتساوي بينهم وتدخل في حالة سيولة شاملة، تصبح فيها التفرقة بين المقدس والمدنس وبين اليهودي وغير اليهودي أمرا مستحيلا)[1].

1- عبد الوهاب المسيري: موسوعة اليهود واليهودية والصهيونية(المختصرة)، ط3 ، دار الشروق، القاهرة، مصر، 2006 م، مج2 ، ج1 ، ص22.

المبحث الثاني: مفهوم الوعد المقدس

تختلف التعاريف المتعلقة بالوعد من مجال إلى آخر فالوعد في اللغة غير الوعد في الاصطلاح، كما أن الوعد المقصود في موضوعنا يختلف مفهومه في كل من التوراة والقرآن الكريم، ولذلك جعلت مطلبا للوعد المقصود في التوراة والوعد في القرآن الكريم، وبعد ذلك بينت أن الوعد لا يقتصر على اليهودية والإسلام فقط وإنما الأديان كلها تقريبا يدعي أصحابها أنهم تلقوا وعودا من الآلهة أو الإله الذي يعبده أتباع تلك الديانة وأعطيت لذلك أمثلة.

المطلب الأول:تعريف الوعد وحكم الوفاء به

أولا: لغة

يأتي الوعد في اللغة على عدة معاني نذكر أهمها:

1-الرجاء: كأن نقول مثلا: "أرض واعدة " إذا رجي خيرها من النبات[1] .

قال الأصمعي: مررت بأرض بني فلان غِبَّ مطر وقع بها فرأتها واعدة إذا رجي خيرها وتمام نبتها في أول ما يظهر من النبت[2].

2- التهديد : الوعد والتوعد " التهدّد " وقد أوعده وتوعده قال الجوهري : الوعد يستعمل في الخير والشر، قال ابن سيده: "وفي الخير الوعد والعِدة، وفي الشّر الإيعاد والوعيد، فإذا قالوا أوعدته بالشّر اثبتوا الألف مع الباء.

وانشد لبعض الرجاز :

أوعدني بالسجن والأداهم رجلي ورجلي شثنة المنَاسِم

قال الجوهري : تقديره أوعدني بالسجن وأوعد رجلي بالأداهم ورجلي شثنة أي قوية على القيد[3] .

3- العهد: قال مجاهد في قوله تعالى: ﴿ قَالُواْ مَآ أَخۡلَفۡنَا مَوۡعِدَكَ بِمَلۡكِنَا﴾[4] ، قال الموعد العهد، وكذلك قوله تعالى: ﴿ فَأَخۡلَفۡتُم مَّوۡعِدِي ٨٦﴾[5]، قال: عهدي[6]، وكان بنو إسرائيل وعدوا موسى عليه

1- مجد الدين الفيروز أبادي: القاموس المحيط، ص 326 .

2- ابن منظور:لسان العرب، مج 15، ص 386.

3- المصدر نفسه: ص 386 .

4- سورة طه : 87.

5- سورة طه : 86.

6- ابن منظور: المصدر السابق، ص 386.

السلام بأن يتمسكوا بدين الله وسنة موسى عليه السلام ولا يخالفوا أمر الله أبدا، فأخلفوا موعده بعبادتهم العجل[1].

ثانيا: اصطلاحا

الوعد: معناه الالتزام للغير بما لا يلزم ابتداء[2]، أو هو:الإخبار بفعل شيء في المستقبل، وبتعبير آخر هو إخبار مُخبر بأنه سيعمل عملا للمُخْبَرِ [3].

والموعدة نتيجة الوعد:

قال تعالى: ﴿ وَمَا كَانَ ٱسْتِغْفَارُ إِبْرَٰهِيمَ لِأَبِيهِ إِلَّا عَن مَّوْعِدَةٍ وَعَدَهَآ إِيَّاهُ﴾[4].

وهذا المعنى يشمل النّذر لأن النذر إيجاب طاعة غير واجبة فهو التزام بما لا يلزم ابتداء[5].

وقد يسمى الوعد عهدا إذا أكد بقسم والتزام لأن **أصل العهد هو:** حفظ الشيء ومراعاته حالا بعد حال[6]، ثم استعمل في الموثق الذي يلزم مراعاته وهو المراد[7].

يقول ابن عاشور:(**العهد** هو الالتزام للغير بمعاملة التزاما لا يفرط فيه المعاهد حتى يفسخاه بينهما، وإذا أكد الوعد بقسم والتزام فهو عهد)[8].

والعهد إذا وثق يسّمى ميثاقا، جاء في التوقيف:

الميثاق: هو ما وثق به العهد من القبول والإلزام والحلف[9].

1- محمد على الصابوني: صفوة التفاسير، ط1، دار الفكر، بيروت، لبنان، 1421 هـ، 2001 م، ج2، ص223، وانظر: محمد بن حرير الطبري جامع البيان عن التأويل آي القرآن، تحقيق عبد الله بن عبد المحن التركي، ط1، دار هجر، القاهرة، مصر، 1422 هـ – 2001 م، ج16، ص132.

2- عبد الله بن سليمان بن منيع: بحث في الوعد وحكم الإلزام بالوفاء به ديانة وقضاء، مجلة البحوث الإسلامية، الرئاسة العامة للبحوث العلمية والإفتاء، الرياض، السعودية، 1413هـ ج36، ص129.

3- محمد الطاهر بن عاشور: التحرير والتنوير، ط1، الدار التونسية للنشر، تونس 1984 م، ج21، ص307.وانظر: ج21،ص304.

4- سورة التوبة الآية:114.

5- عبد الله بن منيع: مرجع سابق، ص129.

6- عبد الرؤوف بن المناوي: التوقيف عل مهمات التعاريف،تحقيق عبد الحميد صالح حمدان،ط1،عالم الكتب، القاهرة، مصر، 1410هـ، 1990م، ص248.

7- علي بن محمد السيد الشريف الجرجاني: معجم التعريفات، تحقيق محمد صديق المنشاوي، ط1، دار الفضيلة، القاهرة، مصر، ت[]، ص134.

8- الطاهر بن عاشور: التحرير والتنوير، ج1، ص(453 - 580).

9- المناوي: التوقيف، ص320.

ثالثا:حكم الوفاء بالوعد

الوفاء بالوعد من الدّين ومن أخلاق المؤمنين، مدحه الباري عزّ وجل وأمر به في آيات كثيرة[1]، فقال تعالى: ﴿ وَأَوْفُوا۟ بِٱلْعَهْدِ ۖ إِنَّ ٱلْعَهْدَ كَانَ مَسْـُٔولًا ﴿٣٤﴾ ﴾[2]،وقال:﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَوْفُوا۟ بِٱلْعُقُودِ﴾[3]، وقال في الأبرار:﴿ وَٱلْمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَـٰهَدُوا۟ ﴾[4]، وذم المخالفين للوعد الناكثين للعهد، فقال: ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ ﴿٢﴾ كَبُرَ مَقْتًا عِندَ ٱللَّهِ أَن تَقُولُوا۟ مَا لَا تَفْعَلُونَ ﴿٣﴾ ﴾[5].

وجعل الرسول صلى الله عليه وسلم إخلاف الوعد من علامات النّفاق،فعن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال:(آية المنافق ثلاث: إذا حدّث كذب،وإذا وعد أخلف،وإذا اؤتمن خان)[6].

وقسم العلماء الوفاء بالوعد إلى قسمين :

القسم الأول: ما يكون الوفاء به واجبا وجوب السنن،في آداب الناس،ومكارم الأخلاق،وليس بواجب فرضا،وهو الوعد بفعل شيء ،أو تركه،كأن يُسأل الشخص أن يفعل شيئا أو يقضي عن آخر دينا، فيقول: أفعل، ولم يجب هذا النوع من الوعد لإجماع العلماء على أن منُوعد بشيء، ليس من حقه أن يتمسك بهذا الوعد،ويقاسم الغرماء، فيما لو أفلس صاحب الوعد أو مات.

القسم الثاني: هو ما يكون الوفاء به واجبا وجوب الفرائض، وهو ما يترتب على تركه ضرر لمن وعد به، كأن يقول شخص لآخر اهدم دارك وأنا أسلّفك، فهذا لا يجوز الإخلال به[7].

هذا بالنسبة لوعود العباد فيما بينهم، أما وعود الله للعباد فهي متحققة لا محالة لأن الله لا يخلف الميعاد، (فلا يخلف الوعد إلاّ عاجز، والله لا يعجزه أيّ شيء،ولا يتخلّى عن وعده إلاّ كاذب، والله هو الأصدق حديثا)[8].

قال الله تعالى:

1- الصادق بن عبد الرحمن الغرياني: مدونة الفقه المالكي، ط1، دار ابن حزم، بيروت، لبنان، 1429هـ، 2008م، ج4، ص250.
2- سورة الإسراء: 34.
3- سورة المائدة:1.
4- سورة البقرة:177.
5- سورة الصف:2- 3.
6- رواه البخاري:كتاب الإيمان، باب علامة المنافق، رقم (33).
7- الصادق الغرياني: المرجع السابق، ص251.
8- صلاح عبد الفتاح الخالدي:وعود القرآن بالتمكين للإسلام، ط1، دار القلم، دمشق، 2003م ص14.

﴿ وَعْدَ ٱللَّهِ ۖ لَا يُخْلِفُ ٱللَّهُ وَعْدَهُۥ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٦﴾ ﴾[1].

قال الطبري: إن الله يفي بوعده للمؤمنين أنّ الروم سيغلبون فارس، لا يخلفهم وعده ذلك، لأنه ليس في مواعيده خلف ولا يجوز أن يكون في وعد الله إخلاف[2].

وقال الله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُخْلِفُ ٱلْمِيعَادَ ﴿٣١﴾ ﴾[3].

يقول الرازي: وهذا يدل على بطلان من يجوز الخلف على الله تعالى في ميعاده[4].

وقال الله تعالى: ﴿ فَلَا تَحْسَبَنَّ ٱللَّهَ مُخْلِفَ وَعْدِهِۦ رُسُلَهُۥٓ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ ذُو ٱنتِقَامٍ ﴿٤٧﴾ ﴾[5].

أي لا ينقض وعده لرسله بالنصرة لهم ولأتباعهم في الدنيا و الآخرة[6].

المطلب الثاني: مفهوم الوعد المقدس في التوراة.

يجد المتتبع لأسفار التوراة أنها تدور حول فكرة محورية وهذه الفكرة هي فكرة الوعد الإلهي والعهد الذي ألزم به الإله نفسه حسب الأسفار، وهذه الفكرة هي التي يستمد منها الشعب اليهودي وجوده وشرعيته على حساب الشعوب الأخرى.

فالرب على زعم التوراة اليهودية لم يكتف بإعطاء "وعد" بل ألزم نفسه بالوفاء وأعطى عهدا وميثاقا أكده باليمين المغلظة وهذا ما نستخلصه من سلسلة العهود والوعود المتكررة في العهد القديم.

فرسالة الأنبياء لليهود هي فقط اتّباع الشريعة لكي يأتيهم الوعد، أي أن يتملكوا الأرض ومن عليها وإلاّ عوقبوا بالمحو من الوجود.[7]

(والباحث في التوراة يجد عهودا لخمسة عشر نبيا بامتلاك فلسطين، بل أوسع منها وهو ما يسمونه بأرض الميعاد، وقد ابتدأت هذه العهود بإبراهيم عليه السلام قبل(4000)سنة تقريبا،وانتهاء بملاخي قبل(2400)سنة تقريبا، أي خلال أكثر من(1500)سنة.

وهذه العهود تنص على أن هناك أرضا أعطاها الله لبني إسرائيل أيام رسلهم، ويدعي اليهود اليوم أن هذه العهود تنطبق عليهم، وأن هذه الأرض عطاء إلهي لهم، يعتبر فوق القانون مهما كان نوع هذا

1- سورة الروم:06

2- الطبري:جامع البيان، ج18، ص460.

3- سورة الرعد:31.

4- الرازي :مفاتيح الغيب،ج19،ص56.

5- سورة إبراهيم:47.

6- عماد الدين إسماعيل بن كثير: تفسير القرآن العظيم، ط1، دار ابن الجوزي، القاهرة، مصر، 1430 هـ،2009م، مج2، ج4، ص292.

7- المؤلف أمريكي غير مذكور []:التوراة تاريخها وغاياتها ،ترجمة سهيل ديب،ط1،دار النفائس،بيروت لبنان، ص21.

القانون،وفوق إرادة الشعوب مهما كانت هذه الشعوب حتى لو كانت صاحبة الأرض التي يطالب بها اليهود)[1] ،ولنأخذ هذا النّص الذي يبين مضمون الوعد الذي يتمسك به اليهود مثالا على ذلك:

«ولما كان أبرام، ابن تسع وتسعين سنة ظهر الرب لأبرام وقال له : " أنا الله القدير سر أمامي وكن كاملا فاجعل عهدي بيني وبينك ، وأكثرك كثيرا جدا"، فسقط إبرام على وجهه وتكلم الله معه قائلا : " أما أنا فهو ذا عهدي معك ، وتكون أبا لجمهور من الأمم ، فلا يدعى اسمك بعد أبرام بل يكون اسمك إبراهيم ، لأني أجعلك أبا لجمهور من الأمم ،و أثمرك كثيرا جدا، وأجعلك أمما و ملوكٌ منك يخرجون ،قولم عهدي بيني وبينك، وبين نسلك من بعدك في أجيالهم عهدا أبديا ، لأكون إِلهً ا لك ولنسلك من بعدك ، وأعطي لك ولنسلك من بعدك أرض غربتك، كّل أرض كنعان ملكا أبديا وأكون إلههم" »[2] .

وبهذا فقد انفتح الوعد إلى عهد بين طرفين، وعلامة العهد هو الختان الذي يجب أن يقوم به إبراهيم وذريته من بعده[3] .

ولكن بالرغم من أن هذا العهد هو لإبراهيم ولذريته من بعده، إلا أن العهد سيستفرد به أجداد بني إسرائيل دون غيرهم، وهذا ما سنذكره فيما هو آت من المباحث والفصول ، ومادمنا في الحديث عن مفهوم الوعد يمكن أن نستخلص من النص التوراتي السابق النقاط الأساسية لهذا الوعد وهي ثلاثة:

1 / - أن يجعل الله إبراهيم أبا لجمهور من الأمم وتخرج منه الملوك.

2 / - أن يكون الرب إلها له ولنسله من بعده.

3 / - أن يعطيه له ولنسله من بعده كل أرض كنعان ملكا أبديا[4].

ومن هنا فإننا نستخلص أن العهد يشتمل على ثلاثة عناصر محورية:هي الإله القومي والشعب المقدس والأرض المقدسة.

يقول أحمد عزت سليم: (هكذا تصير العناصر الثلاثة: الإله / الشعب / الأرض، ميثاقا أبديا قطعيا ذات طبيعة لاهوتية، تدرك من خلاله الّدعاوى العنصرية الإسرائيلية التي يرتفع فيها قدر الشعب فوق قدر الإله وحل بدلا منه في العا لم وأصبح يحدد مصير البشرية)[5].

1- محمد أبو زيد أبو زيد:أرض الميعاد (نظرة قرآنية في العهود التوراتية)،مجلة التراث العربي،العدد 85،ص28.

2- سفر التكوين : 17 / 1- 8.

3- إسماعيل ناصر الصمادي: نقد النص التوراتي (التاريخ التوراتي المزيف)، ط 2، دار علاء الدين ، دمشق ، سوريا ، 2009 م ، مج 1، ص 138 .

4- رشاد عبد الله الشامي:الرموز الدينية في اليهودية، ط1، مركز الدراسات الشرقية، جامعة القاهرة، مصر، ت[]، ص 111.

5- أحمد عزت سليم: لاهوت العنصرية الإسرائيلية، ط 1، المكتب المصري للمطبوعات القاهرة، مصر، 2011 م، ص 34.

فالوعد إذن كما يفهمه التوراتيون أي كتبة التوراة ووضّاعها هو أن الرب وعدهم الأرض المقدسة لأنهم شعب الّرب وأبناؤه وأحباؤه ، ولأنهم الشعب المختار المتميز والمصطفى، ولأن الرب هو رب إسرائيل دون سواها من البشر[1].

جاء في سفر الخروج: « فالآن إن سمعتم لصوتي وحفظتم عهدي، تكونون لي خاصة من بين جميع الشعوب، فإن لي كّل الأرض، وأنتم تكونون لي مملكة كهنة، وأّمة مقدسة »[2].

وفي سفر التثنية: « لأنك أنت شعب مقّدس للرب إلهك، إيّاك قد اختار الّرب إلهك لتكون له شعبا أخصّ من جميع الشعوب الذين على وجه الأرض »[3] .

ويستند اليهود اليوم إلى هذا الوعد في اّدعاءاتهم بحقهم في امتلاك الأرض الممتدة من النيل إلى الفرات ميراثا أبديا جيلا بعد جيل[4].

وقد استقطب هذا الوعد جهود اليهود حول تحقيقه وإيجاد الظروف الّدولية الملائمة للعودة وتحقيق هذا الحلم والأمل الذي وعدهم به الرب ، وقد استمرت جهود اليهود والتفاهم حول تحقيق هذا الوعد حتى مطلع القرن العشرين ، حتى جاء اليهود بقيادة الصهيونية لتحقيق هذا الوعد بعد أربعة آلاف سنة من ظهور إبراهيم عليه السلام[5].

يقول جارودي : (وهاهي ذي غولدا مائير تطرح بديهية تقول : "لقد قام هذا الوطن إنجازا لوعد قطعه لنا الله نفسه، ومن المضحك حقّا أن يطلب أحد تبريرا شرعيا لوجود هذا الوطن "، ويكرر بيغن هذه المعزوفة قائلا : " لقد وعدنا بهذه الأرض ، فلنا فيها ملء الحق " ، ويقول موشي دايان : " إذا كنا نملك التوراة ونعد أنفسنا شعب التوراة، فلا بدّ إذن أن نملك الأراضي التوراتية أي أرض (القضاة) ،و(الآباء) الروحيين و (أورشليم) و (حبرون) و(أريحا) وغيرها ...".

إن الأحزاب كلها من حزب العمل إلى حزب ليكود تعتمد التوراة مرجعا لتأسيس سياسة تقول: إن فلسطين ملك الصهاينة بموجب صكّ موقع من الله).[6]

وهم بغزوهم فلسطين يهيئون الطريق لمسيحهم المنتظر، الذي ستسيطر به الأّمة اليهودية على

1- ليلى حسن سعد الدين: مثل الذين حملوا التوراة ثم لم يحملوها كمثل الحمار يحمل أسفارا، ط1، دار الفكر، عّمان، الأردن، 1405 هـ، 1984 م، ص69.

2- سفر الخروج :19 / 5 - 6 .

3- سفر التثنية :7 / 6 .

4- جبر الهلول : المواثيق والعهود في ممارسات اليهود ،ط1 ، (مجد) المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع ،بيروت، لبنان، 1424 هـ ، 2004 م ، ص84 .

5- رجا عبد الحميد عرابي: سفر التاريخ اليهودي، ص458 .

6- روجيه غارودي: فلسطين أرض الرسالات السماوية ، ترجمة قصي أتاسي وميشيل واكيم ، ط1 ، دار طلاس للدراسات والترجمة والنشر ، دمشق ، سوريا ، 1991 م ، ص154 .

باقي الأمم، ويحطم أعداء جماعة إسرائيل ويتخذ أورشاليم عاصمة له، ويعيد بناء الهيكل[1]، ويحكم بالشريعتين المكتوبة والشفوية، ويعيد كل مؤسسات اليهود القديمة مثل السنهدرين[2] ، ثم يبدأ الفردوس الأرض الذي يدوم ألف عام[3].

المطلب الثالث: مفهوم الوعد المقدس في القرآن الكريم.

القرآن الكريم هو آخر الكتب السماوية التي أنزلها الله سبحانه وتعالى ، وهو الكتاب الوحيد الذي تكفل الله تعالى بحفظه من التحريف والضياع قال الله تعالى:﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَـٰفِظُونَ ﴿٩﴾ ﴾[4] ، فهو مصحح لما حرف وغير ودلس في الكتب السابقة وهو الكتاب المهيمن عليها، وبالتالي فإن نظرة القرآن الكريم للوعود التوراتية ستكون نظرة تمحيص وغربلة وتصحيح لما أضافه كتبة العهد القديم الذين حرفوا الكتاب المقدس وجعلوا أسفاره ونصوصه عنصرية تخدم شعب المختار العرق المقدس .

يثبت القرآن الكريم ويعترف أن الله فضل بني إسرائيل على العالمين وأنه أنعم عليهم بنعم كثيرة قال تعالى:﴿ يَـٰبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ٱذْكُرُوا۟ نِعْمَتِىَ ٱلَّتِىٓ أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ وَأَنِّى فَضَّلْتُكُمْ عَلَى ٱلْعَـٰلَمِينَ ﴿٤٧﴾ ﴾ [5] .

يقول ابن عاشور : (ومعنى هذا التفضيل أن الله قد جمع لهم من المحامد التي تتصف بها القبائل والأمم ما لم يجمعه لغيرهم وهي : شرف النسب ، وكمال الخلق، وسلامة العقيدة، وسعة الشريعة والحرية، والشجاعة، وعناية الله بهم في سائر أحوالهم وقد أشارت إلى هذا آية :

﴿ وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِۦ يَـٰقَوْمِ ٱذْكُرُوا۟ نِعْمَةَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَعَلَ فِيكُمْ أَنۢبِيَآءَ وَجَعَلَكُم مُّلُوكًا وَءَاتَىٰكُم مَّا لَمْ يُؤْتِ أَحَدًا مِّنَ ٱلْعَـٰلَمِينَ ﴿٢٠﴾ ﴾[6] .

1- الهيكل: هو أهم مبنى للعبادة اليهودية في فلسطين، شيده سليمان وهدمه البابليون عام(586)ق.م، ثم أعيد بناؤه عام (251)ق.م،وحطمه الرومان عام (70)م،على إثر ثورة قام بها اليهود،وأقدس مكان في الهيكل هو قدس الأقداس والذي يحتوي على تابوت العهد وكان يعتقد أن روح الله تحل في هذا التابوت،ولا يدخل قدس الأقداس إلاّ كبير الكهنة،في عيد يوم الغفران ليتفوه باسم الخالق"يهوفا"،الذي لا يمكن لأحد التفوه به،في أي زمن أو أي مكان. (غازي كامل السعدي: الأعياد والمناسبات والطقوس لدى اليهود، ط1 ، دار الجليل للدراسات والنشر والأبحاث الفلسطينية، عّمان، الأردن، 1994م، ص78-69).

2- السنهدرين:هو كلمة من أصل يوناني، يطلق على المحكمة العليا لليهود،وكان مجلس السنهدرين،يمثل الشعب اليهودي أمام الرومان،ويتكون من واحد وسبعين عضوا،وقد أبطل العمل بهذا المجلس بعد خراب الهيكل الثاني سنة (70م).(قاموس الكتاب المقدس: مصدر سابق، ص489/ وانظر:رشاد الشامي ، موسوعة المصطلحات الدينية اليهودية، ط1، المكتب المصري ، لتوزيع المطبوعات، القاهرة مصر، 2002 م، ص221).

3- أحمد عزت سليم: لاهوت العنصرية الإسرائيلية، ص37.

4- سورة الحجر: 9.

5- سورة البقرة: 47.

6- سورة المائدة: 20.

وهذه الأوصاف ثبتت لأسلافهم في وقت اجتماعها، وقد شاع أن الفضائل تعود على الخلف بحسن السمعة، وإن كان المخاطبون يومئذ لم يكونوا بحال التفضيل على العالمين، ولكنهم ذكروا بما كانوا عليه من فضائل الأمم)[1].

لكن هذا التفضيل والاصطفاء الذي تحصل عليه بنو إسرائيل كان لاستقامتهم على دين الله والتوحيد ، فالخيرية والأفضلية لا تنال إلا بالاستقامة على منهج الله والوفاء بعهد الله .

قال تعالى:﴿ يَٰبَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ ٱذۡكُرُواْ نِعۡمَتِيَ ٱلَّتِيٓ أَنۡعَمۡتُ عَلَيۡكُمۡ وَأَوۡفُواْ بِعَهۡدِيٓ أُوفِ بِعَهۡدِكُمۡ وَإِيَّٰيَ فَٱرۡهَبُونِ ﴿٤٠﴾ ﴾[2].

(والعهد هنا هو الالتزام للغير بمعاملة التزاما لا يفرط فيه المعاهد حتى يفسخاه بينهما، واستعير العهد المضاف إلى ضمير الجلالة لقبول ما يكلفهم به من الدّين واستعمل مجازا لقبول التكاليف والدخول في الدين، واستعير المضاف إلى ضمير المخاطبين للوعد على ذلك بالثواب في الآخرة والنّصر في الدّنيا، فلك أن تجعل كلّ عهد مجازا مفردا استعمل العهد الأول في التكاليف، واستعمل العهد الثاني في الوعد بالثواب والنصر، واستعمل الإيفاء مع كليهما في تحقيق ما التزم به كلا الجانبين مستعارا من ملائم المشبه به إلى ملائم المشبه ليفيد ترشيحا لاستعارته)[3].

إذن فالوعد المعطى لبنى إسرائيل هو وعد مقيد ومشروط مثله مثل جميع الوعود التي أعطاها الله للبشر، وهو الوعد الذي أعطاه الله لإبراهيم عليه السلام:

﴿ وَإِذِ ٱبۡتَلَىٰٓ إِبۡرَٰهِـۧمَ رَبُّهُۥ بِكَلِمَٰتٖ فَأَتَمَّهُنَّۖ قَالَ إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامٗاۖ قَالَ وَمِن ذُرِّيَّتِيۖ قَالَ لَا يَنَالُ عَهۡدِي ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٢٤﴾ ﴾[4].

يقول سيد قطب:(إنّ هذه العهود جميعا إن هي إلا عهد واحد في صميمها إنه العهد بين البارئ وعباده، أن يصغوا قلوبهم إليه وأن يسلموا أنفسهم كلها له، وهذا هو الدين الواحد ، وهذا هو الإسلام الذي جاء به الرسل جميعا ، وسار المركب الإيمان يحمله شعارا له على مدار القرون ،فمن استقام على هذه العقيدة الواحدة -الإسلام- فهو وريثها ووريث عهودها وبشاراتها، ومن فسق عنها ورغب بنفسه عن ملّة إبراهيم فقد فسق عن عهد الله، وقد فقد وراثته لهذا العهد وبشاراته)[5].

1- محمد الطاهر بن عاشور: التحرير والتنوير، ج1، ص484.

2- سورة البقرة:40.

3- محمد الطاهر بن عاشور: المرجع نفسه، ج1، ص453.

4- سورة البقرة:124.

5-سيّد قطب: في ظلال القرآن، ط7، دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان، 1391 هـ، 1971 م، مج1، ج1، ص 72-151.

فالله سبحانه وتعالى في القرآن أعطى وعودا وهذه الوعود ليست من باب التمييز والمحاباة على خلاف العهد القديم، وهو ما سنتعرض له في ما هو آت من المباحث، فبنو إسرائيل أعطيت لهم هذه الوعود والعهود من قبل عندما كانوا مستقيمين على الدين الحق، فلما انحرفوا نزعت منهم هذه الوعود ، و بقي الوعد عاما لكل من وفّى بعهده مع الله.

قال الله تعالى:﴿وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي ٱلزَّبُورِ مِنۢ بَعْدِ ٱلذِّكْرِ أَنَّ ٱلْأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِيَ ٱلصَّـٰلِحُونَ ﴾[1].

يقول ابن باديس: (يخبرنا الله تعالى أنه كتب في الكتب التي أنزلها على رسله من بعدما كتب في اللوح المحفوظ الذي هو أصل تلك الكتب أن الأرض يرثها ويملكها عباده الصالحون، أهل العقائد الصحيحة والأخلاق الكريمة، والأعمال المستقيمة، الذين ينفعون العباد والبلاد)[2].

قال الله تعالى : ﴿ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنكُمْ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّـٰلِحَـٰتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ كَمَا ٱسْتَخْلَفَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ ٱلَّذِى ٱرْتَضَىٰ لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّنۢ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا ۚ يَعْبُدُونَنِى لَا يُشْرِكُونَ بِى شَيْـًٔا ۚ وَمَن كَفَرَ بَعْدَ ذَٰلِكَ فَأُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَـٰسِقُونَ ﴿٥٥﴾﴾[3].

فالله وعد المؤمنين أن: يورثهم الأرض وأن يجعلهم فيها خلفاء، كما فعل ببني إسرائيل من قبل حين أورثهم مصر والشام بدلا عن الجبابرة، وأن يمكن لدين الإسلام بأن يظهره على جميع الأديان ويوسع لهم في البلاد فيملكوها[4].

فهذا وعد من الله لرسوله صلى الله عليه وسلم بأنه سيجعل أمته خلفاء الأرض أي أئمة الناس والولاة عليهم، وبهم تصلح البلاد وتخضع لهم العباد، ويبدلهم بعد خوفهم من الناس أمنا وحكما فيهم[5].

وإذا غرفنا هذا تسقط كل دعاوى اليهود في الوعد الذي ورثوه وجعلوه ذريعة لتحقيق مآربهم وأهدافهم العنصرية، فوعد القرآن الكريم بالتمليك قائم على الصلاح والوفاء بعهود الله، أما في التوراة فهو وعد يجعل بني إسرائيل فوق مقام البشر ويمنحهم أرض الشعوب ويعطيهم كل الصلاحيات لتحقيقه، فالقرآن الكريم جعل الحصول على الوعد سنة إلهية، ونتيجة حتمية لمقدمات نبيلة وسامية يلتزم بها العباد أمام خالقهم ،وليس منحة عنصرية خسيسة لا مبرر لها يباد كل شيء في سبيل تحقيقها.

1- سورة الأنبياء:105.

2- عبد الحميد بن باديس: مجالس التذكير من كلام الحكيم الخبير ، ط1 ، دار الرّشيد ، الجزائر ، 1430 هـ ، 2009 م ، ج1 ، ص395

3- سورة النور: 55.

4- جلال الدين المحلى وجلال الدين السيوطي : تفسير الجلالين ، ط2 ، دار الخير ، دمشق سوريا ، ص357 /وانظر(جار الله الزمخشري:الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل،ط1،دار الفكر،بيروت لبنان،1428-1429هـ،2008م،ج3،ص73).

5- ابن كثير: تفسير القرآن العظيم، مج 3، ج5، ص(367 – 368).

يقول ابن باديس : (علّق الوعد بالوصف وهو الصلاح ليعلم أنه وعد عام ، ولتعلم كل أمّة صالحة أنها نائلة حظها ولا محالة من هذا الوعد، واقتضى هذا التعليق بالوصف أيضا تقيّده بأهله فإذا زال وصف الصلاح من أمّة زال من يدها ما ورثت)[1] .

و ثبت في الصحيح عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال: (إن الله زوى لي الأرض فرأيت مشارقها ومغاربها، وإن أمتي سيبلغ ما زوِيَ لي منها)[2].

(والآية السابقة:﴿ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ...﴾ كقوله تعالى :﴿ وَٱذۡكُرُوٓاْ إِذۡ أَنتُمۡ قَلِيلٞ مُّسۡتَضۡعَفُونَ فِي ٱلۡأَرۡضِ تَخَافُونَ أَن يَتَخَطَّفَكُمُ ٱلنَّاسُ فَـَٔاوَىٰكُمۡ وَأَيَّدَكُم بِنَصۡرِهِۦ وَرَزَقَكُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ لَعَلَّكُمۡ تَشۡكُرُونَ ﴿٢٦﴾ ﴾[3]، وقوله:﴿ كَمَا ٱسۡتَخۡلَفَ ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِمۡ ﴾كما قال تعالى عن موسى عليه السّلام أنه قال لقومه: ﴿ عَسَىٰ رَبُّكُمۡ أَن يُهۡلِكَ عَدُوَّكُمۡ وَيَسۡتَخۡلِفَكُمۡ فِي ٱلۡأَرۡضِ فَيَنظُرَ كَيۡفَ تَعۡمَلُونَ ﴿١٢٩﴾ ﴾[4].

وقال الله تعالى:﴿ وَنُرِيدُ أَن نَّمُنَّ عَلَى ٱلَّذِينَ ٱسۡتُضۡعِفُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَنَجۡعَلَهُمۡ أَئِمَّةٗ وَنَجۡعَلَهُمُ ٱلۡوَٰرِثِينَ ﴿٥﴾ وَنُمَكِّنَ لَهُمۡ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَنُرِيَ فِرۡعَوۡنَ وَهَٰمَٰنَ وَجُنُودَهُمَا مِنۡهُم مَّا كَانُواْ يَحۡذَرُونَ﴾[5]) [6].

ومما سبق يمكن أن نستخلص أن الوعد في القرآن بالاصطفاء والتفضل على العالمين والتمكين في الأرض هو لمن تحققت فيه الشروط التي قال عنها الله تعالى: ﴿ كُنتُمۡ خَيۡرَ أُمَّةٍ أُخۡرِجَتۡ لِلنَّاسِ تَأۡمُرُونَ بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَتَنۡهَوۡنَ عَنِ ٱلۡمُنكَرِ وَتُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِۗ وَلَوۡ ءَامَنَ أَهۡلُ ٱلۡكِتَٰبِ لَكَانَ خَيۡرٗا لَّهُمۚ مِّنۡهُمُ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ وَأَكۡثَرُهُمُ ٱلۡفَٰسِقُونَ ﴿١١٠﴾﴾[7].

وليس للعرق والجنس والنّسب، قال تعالى:﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقۡنَٰكُم مِّن ذَكَرٖ وَأُنثَىٰ وَجَعَلۡنَٰكُمۡ شُعُوبٗا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓاْۚ إِنَّ أَكۡرَمَكُمۡ عِندَ ٱللَّهِ أَتۡقَىٰكُمۡۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٞ ﴿١٣﴾﴾ [8].

1- ابن باديس: مجالس التذكير ،ج1 ،ص 396 .

2- رواه مسلم بن الحجاج: صحيح مسلم، ط1، دار الحديث، القاهرة، 1412هـ، 1991م، رقم: (2889)، ج4.

3- سورة الأنفال: 26.

4- سورة الأعراف: 129.

5- سورة القصص: 5- 6.

6-ابن كثير: تفسير القرآن العظيم ، مج 3، ج5، ص (367 – 368).

7- سورة آل عمران: 110.

8- سورة الحجرات: 13.

فأكرم الناس عند الله أتقاهم، وهو أكثرهم طاعة وانكفافا عن المعاصي، لا أكثرهم قرابة وقوما، ولا أشرفهم نسبا[1].

المطلب الرابع: الوعد في الأديان

أولا: في الأديان القديمة

نجد في بعض الأديان أن أصحابها تلقوا وعودا من الإله أو الآلهة التي يعبدونها، وهذه الوعود مماثلة للوعود التي يؤمن بها اليهود، ويذهب الكثير من الباحثين إلى أن اليهود سرقوا[2] تراث الشعوب والأمم الأخرى من علوم وفنون وخرافات وأساطير، ودونوها في كتبهم ، ونسبوها إلى أنفسهم .

يقول جارودي : (تبين لنا قراءة النصوص المقدسة في منطقة الشرق الأوسط أن جميع شعوب المنطقة ، من بلاد النهرين إلى مصر بما في ذلك الحيثيون ، قد تلقوا وعودا مماثلة ، أي مماثلة لوعود التوراة حيث كان كل إله يعد كل شعب بالأرض) [3].

ففي الديانة المصرية ، نجد المسلة الضخمة في الكرنك، والتي شيدت في عصر تحوتمس الثالث بين عامي (1480- 1475)قبل الميلاد، تمجيدا لانتصاراته في غزة ومجيدو وقادش وقردميش الواقعة على نهر الفرات، وقد دونت عليها عبارة الإله : «أمنحك هذه الأرض بامتدادها في جميع الاتجاهات لتكون لك شرعا ، لقد جئت لأزودك بكل السبل لكي تجتاح الأراضي الغربية».

وعلى جانب الآخر من منطقة الهلال الخصيب في بلاد مابين النهرين ، نجد في **أنشودة الخلق البابلية** أن الإله مردوخ[4] قد قسم الأرض بين الشعوب، وأعطى لكل شعب نصيبه من الأرض ويأمر ببناء بابل وتشييد معبد فيها .

وفي بلاد مابين النّهرين كان **الحيثيون ينشدون** لربّة الشمس أرينا قائلين : «أنت تسهرين على حفظ

1- عبد الرحمن السعدي : تيسير الكريم الرحمن، ص900.

2- أخذ اليهود أفكارا من الملحمة البابلية(اينومااليليش)،حيث يرد تشابها مع التكوين التوراتي-بتسلسل الأحداث وبصياغة الأفكار- كما تأثر اليهود بجيرانهم من الكنعانيين، حيث ترد أسماء كنعانية في الميتولوجيا اليهودية،كما لم يتخلص اليهود نهائيا من التأثيرات الفرعونية،إن من يدرس التوراة دراسة مقارنة يصادف التناقض والتساؤل والارتياب،ولا غرابة في ذلك فهم عايشوا الكلدان خلال حضارتهم المزدهرة ،كما عايشوا الكنعانيين بنظرتهم إلى الطبيعة وتفاعلوا معهم،وعايشوا الفرعونية المصرية وتداخلوا مع الكهنوت الفرعوني في تعبدهم لآمون،كما عرفوا الأتونية زمن اخناتون،ومن كل ذلك صاغوا أفكارهم وميتولوجيتهم(حسن نعمة:ميثيولوجيا وأساطير الشعوب القديمة ومعجم أهم المعبودات القديمة،ط1،دار الفكر،بيروت، لبنان،1994م،ص106).

3- روجيه جارودي:الأساطير المؤسسة للسياسية الإسرائيلية ، ترجمة محمد هشام ، ط4 ، دار الشروق ، القاهرة ، مصر ، 1422 هـ – 2002 م، ص45 .

4- مردوخ:هو معبود بابلي أكادي،كبير الآلهة في البانثيون البابلي،وأصبحت عبادته رسمية في زمن الملك حمورابي،وكان يلقب بسيد الآلهة،وعمت عبادته بلاد مابين النهرين،وكان يرمز له في الرسوم بالتنين الأفعى(حسن نعمة:المرجع السابق،ص270).

السماوات والأرض وتقيمين حدود البلاد »[1] .

وهذه الوعود الإلهية لم تصل إلى درجة التعصب الأعمى للشعب المختار، وجواز القتل والمجازر للوصول إلى تحقيق الوعد كما هو عليه الشعب اليهودي، الذي اعتبر الوعد الإلهي وثيقة تاريخية يجب الإقرار بها من قبل الشعوب والأمم بكل هيئاتها في كل مكان وعلى مر الزمان [2].

يقول جواد بحر: (إن وجود الوعد المفترى في التوراة هو شكل من أشكال سرقة أساطير الأمم وخرافاتها...فاليهود قوم مقلدون وليسوا مبدعين في أصل فلسفتهم في الحياة، وهم لا يعرفون الإبداع إلا في مجالات القتل وفنونه والسبل المؤدية إليه) [3].

ثانيا:الوعد في الديانة المسيحية

يؤمن المسيحيون بالعهدين القديم والجديد، ولذلك فإن نصوص الوعد الواردة في العهد القديم تعتبر ميراثا للأمة النّصرانية كما يعتقدون، وذلك بعد مجيء المسيح، فالعهد القديم حل محله العهد الجديد، والكنيسة أصبحت هي الشعب المختار، واليهود بالنسبة للنصارى لن ينالوا الوعد والخلاص إلا باتّباع يسوع المخلص الذي قتلة اليهود ولم يؤمنوا به، هذه هي عقيدة المسيحيين .

جاء في رسالة بولس لأهل غلاطية «فإن كنتم للمسيح، فأنتم إذا نسل إبراهيم، ولكم الميراث حسب الوعد»[4] .

ونجد أن أسفار العهد الجديد -الأناجيل وأعمال الرسل- جاءت تؤكد وتجدد العهد القديم والوعد الذي أعطاه الله لإبراهيم أن يعطيه الأرض المقدسة أرض فلسطين، له ولنسله إلى الأبد، وتزيد على ذلك التبشير بأن الله أرسل المسيح بن مريم ليكون ملكا على إسرائيل، وليعيد الملك إليهم.

و هي في هذا تتبع أسفار العهد القديم في طريقتها وأسلوبها مثل:

1-إثبات ملكية بني إسرائيل لفلسطين وبسط سلطانهم عليها.

2-لعن الكنعانيين ملاكها العرب الأصليين واحتقارهم.

3-إثبات أسماء وأسباب لأشياء تثبت أحقيتهم بها وتضع بصماتهم عليها في امتداد للعهد القديم، حتى لكأن كاتبهما واحد[5] .

ولنأخذ هذين النصين من إنجيل لوقا كمثال على التقارب بين العهدين:

1- المرجع نفسه : ص45 ، وانظر (إسماعيل ناصر الصمادي : نقد النص التوراتي، ج1 ، ص137).

2- إسماعيل ناصر الصمادي: نقد النص التوراتي، ج1، ص137 .

3- جواد بحر: انتماء فلسطين بين دعاوي التوراتيين وحقائق الماضي والحاضر ، ط1 ، مركز دراسات المستقبل ، الخليل ، فلسطين ،1427 هـ ، 2006 م، ص(394 – 395).

4- رسالة لأهل غلاطية:29/3.

5- عبد المعز عبد الستار: اقترب الوعد الحق يا إسرائيل، ط1، دار الشروق، مصر، 2009م، ص105.

قال جبرائيل للعذراء: « هاأنت ستحبلين وتلدين ابنا تسمينه يسوع، هذا يكون عظيما، وابن العلي يدعى، ويعطيه الرب الإله كرسي داود أبيه، ويملك على بيت يعقوب إلى الأبد، ولا يكون لملكه نهاية ».[1]

وفي نفس الإنجيل يقول زكريّاء: «مبارك الرب إله إسرائيل لأنه افتقد وصنع فداء لشعبه، وأقام لنا قرن خلاص في بيت داود فتاه، كما تكلم بفم أنبيائه القديسين الذين هم منذ الدهر، خلاص من أعدائنا، ومن يد جميع مبغضينا، ليصنع رحمة مع آبائنا ويذكر عهده المقدس، القسم الذي حلف لإبراهيم أبينا أن يعطينا.. ». [2]

فالمسيحيون يعترفون بأن الله وعد بني إسرائيل وعودا شكلّت في مجموعها الميثاق، والوعود التي قطعت لبني إسرائيل لم تعد قائمة، لأن المسيح أتى بفكرة جديدةتختلف تماما عن النّعم المادية المرافقة لميثاق الرب مع بني إسرائيل، فالمسيح أتى لكي يخلص الإنسان،لكي يحرره من طغيان الخطيئة، لا ليعده الأرض والمساعدة الربانية المادية على الأرض وهذه الفكرة لم تكن تخص شعبا في مواجهة الشعوب الأخرى، ولم تكن أيضا لتستثني أيا من الشعوب [3].

قال يسوع لتلاميذه: « فاذهبوا وتلمذوا جميع الأمم، وعمدوهم باسم الآب، والابن، والروح القدس».[4]

رسالة المسيح إذن نسخت حق بني إسرائيل في الاختيار، كما جبّت حقهم في البركة والرسالة بعد أن صارت لجميع الأمم وليست لبني إسرائيل وحدهم، وحلت البركة في عيسى ليضفيها على كل من اتّحد به اتحادا روحيا ودخل في ملكوت الله[5].

والملكوت فسروه تفسيرا معنويا، فملكوت الله هو الإيمان ومن آمن فقد حقق ملكوت الله في قلبه، فأرض الميعاد لم تكن في الفكر المسيحي رقعة جغرافية أو كيانا سياسيا، بل تعني حقيقة روحية موطنها القلب[6].

ولذلك لما سأله الفريسيون متى يأتي ملكوت الله أجابهم:

1- إنجيل لوقا:1/31-33.

2- إنجيل لوقا:1/68-73.

3- عبد الستار قاسم:إبراهيم والميثاق مع بني إسرائيل في التوراة والإنجيل والقرآن، ط2، (Passia) الجمعية الفلسطينية الأكاديمية للشؤون الدولية، القدس الشريف، 1994م، ص47.

4- إنجيل متى:28/19.

5- حسين فوزي النجار:أرض الميعاد، ط2، دار المعارف، القاهرة، مصر، 1983م، 1403هـ، ص102.

6- عبد الوهاب عبد السلام طويلة:مغالطات اليهود وردها من واقع أسفارهم، ط1، دار القلم، دمشق، سوريا، 2005م، ص375.

«لا يأتي ملكوت الله بمراقبة، ولا يقولون هو ذا ههنا، أو هو ذا هناك، لأن ملكوت الله داخلكم»[1].

وفي رسالة بولس للعبرانيين« بالإيمان تغرب إبراهيم في أرض الموعد،كأنها غريبة، ساكنا في خيام مع إسحاق ويعقوب الوارثين معه لهذا الموعد عينه، لأنه كان ينتظر المدينة التي لها الأساسات التي صانعها وبارئها الله »[2].

ولكن بالرغم من أن المسيحيين فسروا الوعد تفسيرا روحيا وعلى هذا النحو، إلاّ أننا نجد اليوم أكثرهم يدعمون اليهود والحركة الصهيونية[3] دعما غير محدود، وخاصة البروتستانت[4]، ولحق بهم الكاثوليك[5] (بعد اعتراف الفاتكان بدولة إسرائيل، و تبرئة اليهود من دم المسيح وتحميل البشرية كلها إثم صلبه)[6].

وهذه المواقف الداعمة والمؤيدة لقيام إسرائيل أتت على خلفية أن النصارى ينتظرون عودة المسيح وتأسيس مملكته، فسعت الصهيونية إلى إقناعهم بأن المسيح على وشك المجيء، وأنّ الهيكل سيكون المنطلق في دعوته في المرة الثانية كما كان في المرة الأولى، وهذا ما يحتم عودة اليهود إلى فلسطين، وتأسيس دولة إسرائيل ثم دعمها، وإعادة بناء الهيكل في مكانه السابق، وسيكون ذلك كله تمهيدا لعودة المسيح إلى الأرض[7].

1- إنجيل لوقا:17/20-21.

2- رسالة إلى العبرانيين:11/9-10.

3- تعرف **الصهيونية** في العادة بأنها مجموعة من المعتقدات التي تهدف إلى تحقيق برنامج بازل الذي وضع عام 1897م بشكل عملي، وعلى ذالك فالصهيونيون هم أولئك الذين يعتبرون الطائفة المعروفة باسم اليهود شعبا قوميا مستقلا ينبغي إعادة توطينه،ككيان سياسي مستقل في فلسطين، لكي يقيم هناك دولية قومية خاصة باليهود وحدهم، والصهيونية غير اليهودية هي مجموعة من المعتقدات المنتشرة بين غير اليهود والتي تهدف إلى قيام دولة قومية يهودية في فلسطين، بوصفها حقا لليهود، طبقا لبرنامج بازل، وعلى ذالك فالصهيونيون غير اليهود هم أولئك الذين يؤيدون أهداف الصهيونية ويشجعونها بشكل صريح أو مقنع، انظر(ريجينا الشريف:الصهيونية غير اليهودية جذورها في التاريخ الغربي،ترجمة أحمد عبد الله عبد العزيز،ط1،المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب،الكويت،1985م،ص10)

4- **البروتستانت** :وتسمى كنيستهم الكنيسة الإنجيلية، وهي نتاج الحركة الإصلاحية في أوربا ومن مبادئهم أنهم يعارضون الكنائس الأخرى التي تعتبر فهم الإنجيل وقفا على رجال الكنيسة،بل من حق كل مسيحي أن يقرأ الكتاب المقدس وان يفهمه،وليس للكنيسة حق غفران السيئات (أحمد شلبي:المسيحية، ط8، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، 1984م، ص241-260).

5-. **الكاثوليك**: وتسمى كنيستهم بالكاثوليكية أو الغربية أو اللاتينية أو البطرسية أو الرسولية، ومعنى الكاثوليكية العامة لأنها تدعى أم الكنائس، وهي تتبع النظام البابوي ويرأسه البابا والكرادلة وهم أصحاب الحق الأول والأخير في تنظيم الكنيسة، إذ يتكون منهم المجمع الكنائسي الذي يصدر إرادات بابوية سامية هي إرادات إلهية،لأن البابا هو تلميذ المسيح الأكبر على الأرض فهو مثل الإله، ومن هنا كانت إرادته لا تقبل الجدل أو المناقشة(أحمد شلبي:المرجع السابق،ص238-239).

6- عبد الوهاب عبد السلام طويلة: مغالطات اليهود، ص376-377.

7- المرجع نفسه: ص368.

جاء في رؤيا يوحنا اللاهوتي: « مبارك ومقدس من له نصيب في القيامة الأولى، هؤلاء ليس للموت الثاني سلطان عليهم، بل سيكونون كهنة لله والمسيح، وسيملكون معه ألف سنة ».[1]

فالجماعات المسيحية المنتشرة عبر العالم وحدت بينهم عقيدة مشتركة، هي أن المسيح ابن الله، وأنه سيعود لإقامة مملكة على الأرض، وأن كل من يؤمن به سينال النعيم المقيم في الدار الآخرة[2].

وعودة المسيح الثانية يستعد لها المسيحيون على رأس كل ألف سنة، وهم ينتظرون مجيئه في هذه الألفية بعدما خابت آمالهم في مجيئه على رأس الألفية الأولى، واليهود الذين تجمعوا اليوم في فلسطين قبل عودة المسيح بالنسبة للمسيحيين خاصة البروتستانت سيتنصرون عند قدومه الثاني.[3]

ولذلك نجد هناك علاقة مميزة بين البروتستانتية واليهودية بشكل عام، وبين الأصولية البروتستانتية والصهيونية اليهودية بشكل خاص، بل زاد الأمر أن تأسس ما سمي بالصهيونية المسيحية، لقد آمنت الصهيونية المسيحية قبل تأسيس دولة إسرائيل بعودة اليهود كشعب إلى أرضه الموعودة في فلسطين، وإقامة كيانه الوطني فيها، تمهيدا للعودة الثانية للمسيح وتأسيسه مملكة الألف عام، وبعد قيام إسرائيل، أخذت الصهيونية المسيحية تنظر إلى إسرائيل كحدث وإشارة تؤكد معتقداتها[4].

يقول المسيري عن الإسترجاعيين الذين يرون بوجوب رجوع اليهود إلى فلسطين حتى يعود المسيح ويتحقق الخلاص المسيحي:

(**العقيدة الاسترجاعية:** يرى الاسترجاعيون أن عودة اليهود إلى فلسطين هي بشرى الألف عام السعيدة، وأن الفردوس الأرضي الألفي لن يتحقق إلا بهذه العودة، كما يرون أن اليهود هم شعب الله المختار القديم أو الأول -باعتبار أن المسيحيين هم شعب الله المختار الجديد أو الثاني-، ولذا فإن أرض فلسطين هي أرضهم التي وعدهم الإله بها، ووعود الرب لا تسقط حتى وإن خرج الشعب القديم عن الطريق ورفض المسيح (وصلبه) ولذا فإن كل من يقف في وجه هذه العودة يُعتَبر من أعداء الإله ويقف ضد الخلاص المسيحي، فأعداء اليهود هم أعداء الإله).[5]

1- رؤيا يوحنا اللاهوتي:6/20.

2- وول ديورانت:قصة الحضارة، ترجمة محمد بدران، ط1، دار الجيل، بيروت، لبنان،1412هـ، 1992م، مج3، ج3،ص290.

3- عبد العزيز مصطفى كامل:حمّى سنة 2000، ط3، دار الطبع[]، مصر، 1420هـ، 2000م، ص252.

4- سمير مرقس: رسالة في الأصولية البروتستانتية والسياسة الخارجية الأمريكية، ط1، مكتبة الشروق، القاهرة، 1422هـ، 2001م، ص8.

5- عبد الوهاب المسيري:موسوعة اليهود "الموجزة" ،مج2،ج2،ص250.

الفصل الثاني

الوعد

الأبوي

الوعـد الأبـوي

يدعي اليهود أنهم شعب الله المختار الذي اختاره الّرب ليكون ابنه وبكره الذي لا يتخلى عنه، فالعناية بهذا الجنس تبدأ من آدم عليه السلام إلى اليوم، أي أنهم على حسب هذا الكلام خيار من خيار أما بقية الشعوب فهم حيوانات وأبناء شياطين خلقوا على هيئة حسنة ليكونوا جديرين بخدمة اليهود.

وهذه الميزة الاختصاصية التي يؤمن بها اليهود جعلتهم ينالون امتيازات أخرى ترفعهم فوق العالمين، ومن أهم الامتيازات التي فازوا بها هي الوعد بالأرض المقدسة.

فالوعد بالأرض هو أحد الأقطاب المهمة في الثالوث المقدس للعهد اليهودي والذي يتكون من الإله والشعب والأرض.

وفي هذا الفصل نتعرض لسلسلة الوعود والعهود التوراتية التي أعطاها الرب للآباء "البطاركة" من نوح إلى يعقوب، وكيف انتقل العهد والوعد من نبي إلى آخر كما ورد في العهد القديم، ثم نقارن ذلك بما ورد في القرآن الكريم.

وبالتالي نعرض موقف القرآن الكريم من العهد والوعد التوراتي الموروث بطريقة غريبة تدعو إلى التأمل والتفكير، فالقرآن رد على الكثير من ادّعاءات اليهود، فلا يمكن أن يسكت على قضية مهمة مثل قضية العهد والوعد، خاصة وأن التوراة تنسب هذه العقيدة إلى أهم شخصية في تاريخ الحنيفية السمحة ألا وهي شخص إبراهيم عليه السلام الذي رفعه القرآن إلى مرتبة الخلّة وهي أعلى مرتبة يمكن أن يصل إليها العبد في علاقته مع ربه.

وقد قسمت هذا الفصل كالآتي:

المبحث الأول:في التوراة

المطلب الأول: الميثاق مع نوح

المطلب الثاني: الوعد مع إبراهيم مضامينه وعلامته

المطلب الثالث: وراثة إسحق للعهد

المطلب الرابع: بركة يعقوب

المبحث الثاني: في القرآن الكريم

المطلب الأول: ميثاق الله مع نوح عليه السلام

المطلب الثاني: عهد الله لإبراهيم عليه السلام بالإمامة

المطلب الثالث: وراثة إسماعيل وإسحق عليهما السلام للإمامة واستحقاقهما للوعد

المطلب الرابع: اصطفاء الله ليعقوب عليه السلام

المبحث الأول: في التوراة

تحتل مرحة الآباء مكانة متميزة في بلورة عقيدة الوعد فهي الأساس الذي تسير عليه بقية المراحل اللاحقة لها، فالخروج من مصر نحو أرض الميعاد كان تجسيدا فعليا لوعود هذه المرحلة.

والحركة الصهيونية تطالب بأرض فلسطين والشام اعتمادا على وعود الرب المقدسة التي أعطاها للبطاركة أو الآباء كما تذكر أسفار التوراة، وهذه الوعود أو العهود كما تسمى في بعض الأحيان يتخذونها ذريعة وحجة لهم في شرعية الاحتلال وإقامة الكيان الصهيوني، ويسمونها بالحجة الدينية، فلا بد إذا من عرض هذه الوعود وبيان مضمونها ومحتواها ونقدها.

فأول الوعود التي نجدها في التوراة كانت لإبراهيم وانتقلت بعد ذلك عن طريق الانتخاب المتحيز والعنصري إلى إسحق ثم إلى يعقوب الذي هو إسرائيل جدّ الإسرائيليين.

المطلب الأول: الميثاق مع نوح

لكي يتسنى لنا أن نفهم حقيقة الوعد المعطى لإبراهيم في التوراة نجد أنفسنا مضطرين إلى الرجوع إلى فترة سابقة على المرحلة الإبراهيمية إن صحّ التعبير وهي مرحلة نوح، التي من خلالها يمكن أن نفهم بعض الأشياء التي تتعلق بالموضوع، وذلك بالحديث عن حادثتين أساسيتين هما حادثة الطوفان وحادثة لعن كنعان، فالواقعتين هما المفتاح الذي ندخل به لعمق العهد:

1/حادثة الطوفان:

تعتبر قصة نوح بداية للنزعة العنصرية التي أسس لها العهد القديم، فالطوفان ما هو إلا سبب لتطهير الأرض من أعداء شعب الله المختار، لتصير لهم بعد ذلك السيادة على العالم، وليصيروا هم ابن الرب البكر الذي له حق الوراثة لكل عهود الّرب يهوه، هذا الأخير الذي لا يستطيع أن يتخلى عن ابنه مهما فعل من جرائم.

يخبرنا الإصحاح السادس من سفر التكوين أن الرب تأسف على خلق الإنسان وحزن على ذلك لأن شر الإنسان قد كثر في الأرض، فقرر الرب أن يهلك المخلوقات، فأخبر الرب نوحا أنه سيهلك بالطوفان كل الأحياء من على وجه الأرض، ووعده بأن يقيم معه عهدا وميثاقا لأن نوحا كان رجلا بارا كاملا، ولم يذكر الكتاب المقدس عن نوح أنه دعا قومه إلى عبادة الله أو أي مهمة أخرى من مهام الأنبياء:

«فها أنا آت بطوفان الماء على الأرض لأهلك كل جسد فيه روح حياة من تحت السماء، كل ما في الأرض يموت، ولكن أقيم عهدي معك، فتدخل الفلك أنت وبنوك وامرأتك ونساء بنيك معك»[1].

1- سفر التكوين : 6 / 17-18.

وبعد هذا الوعد الذي تلقاه نوح، يأتي الطوفان ويصبح الوعد ميثاقا ،(ولم يكن هذا الميثاق مقصورا على نوح وبنيه بل كان لنسلهم أيضا، ومعنى "الميثاق"العهد، والمقصود به هنا أن الله لا يهلك بعد ذلك الناس كما أهلكهم في ذلك الوقت)[1] ، فالتوراة تصف الرب بالندم وتجّوز البداء على الله، فالرب ندم على خلق الإنسان، ثم ندم مرة أخرى على إهلاكه بالطوفان.

وكلم الله نوحا وبنيه معه قائلا :«وهاأنا مقيم ميثاقي معكم ومع نسلكم من بعدكم، ومع كل ذوات الأنفس الحية التي معكم الطيور والبهائم وكل وحوش الأرض التي معكم من جميع الخارجين من الفلك حتى كل حيوان الأرض، أقيم ميثاقي معكم فلا ينقرض كل ذي جسد أيضا بمياه الطوفان، ولا يكون أيضا طوفان ليخرب الأرض»[2].

(فالميثاق عام للناس والبهائم، والمعنى أنه لا يهلك ثانية البهائم كما أهلكها بالطوفان)[3]، ولكي يتذكر الرب هذا الوعد الموثق كان لزاما عليه أن يجعل علامة لهذا الميثاق وهي قوس قزح لكي لا ينسى الميثاق المبرم،« فمتى كانت القوس في السحاب أبصرها لأذكر ميثاقا أبديا بين الله وبين كل نفس حية في كل جسد على الأرض، وقال الله لنوح : "هذه علامة الميثاق الذي أنا أقمته بيني وبين كل ذي جسد على الأرض"»[4]، والعهود في التوراة تكون دائما مرتبطة بشيء مادي كالقوس والختان والدم، وهذه الرموز التي جعلت كعلامة للعهد مشابهة (بعلامة "عشتار" في النص البابلي التي جعلت عقد اللازورد الذي في جيدها تذكارا لأيام الطوفان حتى لا تنساها أبدا)[5] مما يؤكد تأثر كتبة التوراة بالأساطير القديمة.

إذن فالميثاق كان عاما لكل المخلوقات على وجه البسيطة، أن لاّ يهلكها الله مرة أخرى والقوس هو علامة هذا الميثاق، وبعد هذا الميثاق بارك اللّه نوح وبنيه الذين ركبوا معه السفينة سام وحام ويافث عند ما قال لهم:

« أثمروا، واكثروا، واملئوا الأرض، ولتكن خشيتكم ورهبتكم على كل حيوانات الأرض »[6]، لاشك أن الطوفان مقدمة لتصنيف العائلة البشرية إلى عائلتين عائلة السادة المختارين وعائلة العبيد وهذا ما سيتضح لنا من خلال قصة لعن كنعان من طرف نوح.

1-وليم مارش: السنن القويم في تفسير العهد القديم، ط []، مجمع الكنائس في الشرق الأدنى، بيروت، لبنان، 1973م، ص62.

2- سفر التكوين : 9 / 8- 11.

3-وليم مارش: المرجع السابق، ص62.

4- سفر التكوين : 9 / 12 – 17.

5-يوسف الكلام: تاريخ وعقائد الكتاب المقدس، ص185.

6- سفر التكوين : 9 / 1-2.

2/حادثة لعن كنعان:

يخبرنا كاتب سفر التكوين أن نوحا أصبح فلاحا وغرس كرما وشرب خمرا وتعرى، فأبصر حام أبو كنعان عورة أبيه نوح، وأخبر أخويه سام ويافث، فأخذ سام ويافث رداء ومشيا إلى الوراء وسترا عورة أبيهما ووجهاهما إلى الوراء حتى لا يبصرا عورته، وعندما استيقظ نوح من سكره علم ما فعل ابنه الصغير فقال:
« ملعون كنعان عبدا العبيد يكون لإخوته وقال : مبارك الرب إله سام، وليكن كنعان عبدا لهم، ليفتح الله ليافث فيسكن في مساكن سام، وليكن كنعان عبدا لهم». [1]

جاءت لعنة نوح- الناطق باسم يهوه لحفيده كنعان وبعد ليلة سكر تعّر- بداية لطوفان جديد لا يزال مستمرا، تمثل في تقسيم العائلة البشرية إلى سادة وعبيد، فأدى هذا التقسيم إلى العداء الأبدي، وولد لدى اليهود نزعة الاستعلاء والتسلط والعدوان تجاه الشعوب الأخرى، نظرا لأنهم نسبوا أنفسهم إلى النسل المبارك والزرع المقدس[2] .

فنوح بارك ساما ولعن كنعان الذي ليس له ذنب سوى أنه ابن حام الذي أبصر عورة أبيه، وأما ويافث فإنه يسكن مساكن سام، ويكون كنعان عبدا لهم، فما الفائدة إذن من العهد الذي أعطاه الرب لنوح بأن لا يهلك البشرية مرة أخرى، ألا يتعارض هذا مع اللعن والاستعباد لها من طرف فئة مختارة، أليس الهلاك أحسن من هذا المصير الذي كتب عليها؟، ما هذا سوى تقعيد لنظرية الاصطفاء للجنس السامي[3]، والشعب المختار، ومنحهم البركات والوعود على حساب الأغيار.

1-سفر التكوين: 9 / 25-27.

2-علي خليل:اليهودية بين النظرية والتطبيق مقتطفات من التوراة والتلمود، ط1، اتحاد الكتاب العرب، دمشق، سوريا، 1997م، ص46.

3-الشائع أن لفظ الساميين يعني اليهود وهذا يدل على جهل فاضح، فلو تصورنا أن اليهود وهم أصحاب العقيدة اليهودية يمثلون في نفس الوقت شعبا واحدا متجانسا نقيا-وهو فرض تلفظه الحقائق التاريخية والعلمية-لما عني ذلك أكثر من اعتبارهم أحد الفروع الضئيلة لذلك الجنس الذي أطلق عليه اسم الجنس السامي،لأن الساميين هم سكان شبه الجزيرة العربية في أول عصور التاريخ،وقد عاشوا في تجانس لغوي واجتماعي وعنصري،أي أن العرب هم أكثر من يمثل الساميين،وبالتالي فمصطلح معاداة السامية الذي يدعيه اليهود كذب وتزوير،وما هو إلاّ أسطورة أريد من ورائها إرهاب خصوم الإسرائيليين الذين يزعمون أنهم الساميون الوحيدون ،انظر(لواء أحمد عبد الوهاب: إسرائيل حرفت الأناجيل واخترعت أسطورة السامية،ط2،مكتبة وهبة،القاهرة،مصر،ت[]،ص84-86).

من المؤكد أن كتبة التوراة لم يقصدوا من هذا اللعن للشعوب وخاصة الكنعانيين[1]، إلا تحقيق مآربهم السياسية للاستيلاء على الأرض العربية، وهم بلعنهم لكنعان يمهدون الطريق للوعد الذي سيحصل عليه إبراهيم سليل سام المبارك السيد وجدّ اليهود، وبالتالي (فشعب كنعان كتب عليه في الأزل أن يكون رقيقا لبني إسرائيل، وأنه لا ينبغي لأن يكون لأفراد هذا الشعب وظيفة ما في هذه الحياة غير هذه الوظيفة، فإن تمردوا عليها أو طمحوا إلى الحرية وجب على بني إسرائيل أن يردوهم إليها بحد السيف)[2].

وهذه القصة ما هي إلا تأصيل لنظرية بني إسرائيل العنصرية العرقية، القاضية برفع سلالاتهم فوق كل السلالات، والباعث الشنيع على اختلاق هذه القصة هو تأصيل اصطفاء السلالة الإسرائيلية ورفعها عرقيا وعنصريا فوق الكنعانيين أعدائهم التقليديين، ذلك أن الكنعانيين إن هم إلا الفلسطينيون أصحاب الأرض التي استولى عليها بنو إسرائيل، وكانت بينهم دماء وحروب وثارات[3].

(والطامة الكبرى هي أن النّص التوراتي السابق الذي فيه لعن كنعان جد العرب قبل إسماعيل عليه السلام هو مفتاح الدراسة في عدد هائل من المدارس الإنجيلية في الولايات المتحدة الأمريكية، وهذه المدارس لا يقل عن عشرين ألف مدرسة، يتلقى الدراسة بها الملايين من التلاميذ ويفتتحون دراساتهم بهذا الكلام وتتفتح مداركهم عليه)[4].

ولو أن هذه العقيدة العنصرية وقفت عند اليهود لهان الأمر بعض الشيء، ولجاز أن نقول إنها شذوذ فكري، تقف حدوده وتأثيراته الكارثية عند أقلية لا يتعدى عددها ثلاثة عشر مليونا أو عشرين مليونا على أكثر تقدير من الناس، لكن الطامة الكبرى أن أصبحت هذه العقيدة العنصرية الدموية-أن اليهود هم شعب الله المختار دائما وأبدا-عقيدة دينية للصليبية الغربية، التي تلعب الدور الأكبر في توجيه السياسة الدولية الحديثة والمعاصرة.

1- سارت الأناجيل على نفس الخط تؤكد اللعنة والتحقير للكنعانيين على لسان يسوع المسيح وتصفهم بالكلاب، حتى استحقت أن تسمى العهد الجديد لأنها تحمل روح القديم، جاء في إنجيل متى(21/15-27)،ومرقس(24/7-30): «جاءت امرأة كنعانية إلى يسوع وصرخت إليه قائلة:"ارحمني يا سيد،يا ابن داود، ابنتي مجنونة جدا "، فلم يجبها بكلمة ، فتقدم تلاميذه وطلبوا إليه قائلين:"اصرفها،لأنها تصيح وراءنا"، فأجاب وقال: "لم أرسل إلاّ إلى خراف بيت إسرائيل الضالة"، فأتت وسجدت له قائلة:"يا سيد، أعني"، فقال ليس حسنا أن يؤخذ خبز البنين ويطرح للكلاب"، فقالت:"نعم يا سيد، والكلاب أيضا تأكل من الفتات الذي يسقط من مائدة أربابها"،حينئذ أجاب يسوع قال لها :"يا امرأة، عظيم إيمانك ،ليكن لك كما تريدين"، فشفيت ابنتها من تلك الساعة»،انظر(عبد المعز عبد الستار:اقترب الوعد الحق يا إسرائيل، ص116).

2 -أحمد مختار رمزي: عقائد أهل الكتاب دراسة في نصوص العهدين، ط1 ، دار الفتح، عّمان، الأردن، 1428هـ، 2008م، ص60.

3- محمد محمد عيسى:العقيدة اليهودية بين الوحي الإلهي والفكر البشري، مجلة الشريعة والدّراسات الإسلامية، مج 28، العدد68، ص362.

4 -سفر بن عبد الرحمن الحوالي:القدس بين الوعد الحق والوعد المفترى-الموقف الإسلامي من مشروع السلام العربي اليهودي-، ط1، مكتبة السنة، الدار السلفية لنشر العلم، القاهرة، 1414هـ، ص12.

فمنذ التحول العقدي الذي أحدثه مارتن لوثر(1483-1546م)، في المسيحية الغربية، أصبح العهد القديم مرجعية مقدسة في هذه المسيحية، وخاصة البروتستانتية منها، وأصبحت هذه المسيحية الغربية في جملتها مسيحية صهيونية تؤمن بأن اليهود شعب الله المختار ليس في التاريخ القديم فقط كما هو الحال عند الأرثوذكس، وإنما لا يزالون هم شعب الله المختار إلى اليوم، والميثاق الإلهي الرابط بين اليهود والأرض المقدسة قائم أبدا، وانطلاقا من هذا التطور تحول الكيان الصهيوني إلى أكثر من دولة بل تحول إلى" تجل إلهي"، وتحقيق "لنبوءة توراتية مقدسة"[1].

إن الذي يمكن أن نستخلصه مما سبق ذكره أن كتبة العهد القديم مهدوا لعقيدة الوعد وللنظرية السامية والشعب المختار بحادثتين الأولى هي حادثة الطوفان والثانية هي قصة لعن كنعان، فلا يمكن أن نفهم الأحداث التوراتية بعيدا عن هذه القصص، فالسياق الذي جاءت فيه قصد من خلالها واضعوها التمهيد لفكرة وعقيدة معينة وهي فكرة العهد والوعد التي عليها مدار التوراة.

المطلب الثاني: الوعد مع إبراهيم مضامينه وعلامته

بعد الوعد الذي أعطاه الرب لنوح أو الميثاق وبعد لعن كنعان، تتابع التوراة تسلسل شجرة سام تحديدا حتى وصلت إلى أبرام، حيث قام هو و زوجته ساراي وأبوه تارح، ولوط بن هاران بن تارح بالهجرة « من أور الكلدانيين[2] ليذهبوا إلى أرض كنعان[3]، فأتوا إلى حاران[4] وأقاموا هناك ».[5]

لقد كانت هذه الهجرة منطلق رحلة سيكون حاديها باعث إلهي، من خلال وعد قطعه الإله لعبده إبراهيم، بتمليكه أرضا سيسكنها، ولعله من المفيد أن نشير إلى أن الوعد الإلهي في السياق التوجيهي لا يتقيد بحدود إقليمية معلومة، فالأرض جاءت في صيغتها المعرفة أكثر ما تكون إبهاما، وعلى هذا الأساس اللاتعييني ستطول رحلة البحث عن الأرض الموعودة، إذ سيشق إبراهيم بلاد ما بين النهرين، وسينتهي به

1-محمد عمارة: هذا هو الإسلام، ط1، مكتبة الشروق الدولية، القاهرة، مصر، 1426هـ،2005م، ج3، ص67-68.

2-هي مسقط رأس إبراهيم التي ولد فيها ونشأ فيها، ومكان أور اليوم خرائب تدعى المغبر في منتصف المسافة بين بغداد والخليج العربي، وعلى مسافة عشرة أميال شرقي مجرى نهر الفرات في الزمن الحاضر(قاموس الكتاب المقدس:ص128).

3-نسبة إلى كنعان بن حام وهو جد القبائل التي قطنت أراضي غرب الأردن المسماة كنعان وكانت حدودها الأصلية مدخل حماة إلى الشمال، وبادية سوريا والعرب إلى الشرق، وبادية العرب إلى الجنوب وساحل البحر المتوسط إلى الغرب(قاموس الكتاب المقدس:ص789).

4-حاران: اسم ربما كان من أصل أكادي معناه "طريق ،قافلة"،وهو اسم مدينة بين النهرين على نهر بليخ وهو فرع للفرات، وتقع على مسافة 280 ميلا إلى الشمال الشرقي من دمشق، وهي اليوم قرية صغيرة لا تزال تحتفظ بالاسم حاران (قاموس الكتاب المقدس:ص281).

5-سفر التكوين: 31/11.

المسار إلى مصر وسيقفل منها راجعا بعد حين لينهي أيامه في أرض كنعان، مخلفا ذرية وأحفادا سوف لن يتميز حالهم كثيرا عن حال إبراهيم من حيث دأبهم على البحث عن أرض الميعاد[1].

يحكي سفر التكوين عن إبراهيم أنه تلقى عدة وعود من الرب، وهذه الوعود من أهم الأدلة التي يعتمد عليها الصهاينة في أدعائهم بالحق، والملاحظ على هذه الوعود أنها جاءت متضاربة فيما بينها من ناحية تحديد الموعود من الأرض كما أنها أعطيت لإبراهيم قبل مولد إسحق، ولذلك سنوردها ونبين مضمونها ومحتواها:

1/الوعد الأول:

يأمر الرب إبراهيم بمغادرة حاران إلى الأرض التي سيمنحها له بمقتضى الوعد فيقول له:« اذهب من أرضك ومن عشيرتك ومن بيت أبيك إلى الأرض التي أريك، فأجعلك أمة عظيمة وأباركك وأعظم اسمك وتكون بركة، وأبارك مباركيك ولاعنك ألعنه، وتتبارك فيك جميع قبائل الأرض »[2]، (بهذه العبارة و بشكل مباشر يخاطب الرب "يهوه" أبرام، مقدما له تلميحا أو إيحاء عن الأرض التي سيمنحها له ولذريته إلى الأبد)[3] ، ويبشره بأنه سيجعله أمة عظيمة مباركة، ويعطي نسله هذه الأرض، ولذالك ظهر الرب مرة أخرى وقال لأبرام: « لنسلك أعطى هذه الأرض »[4]، فالوعد هنا جاء لنسل إبراهيم ولم يذكر فيه حدود الأرض ولا مساحتها أو اسمها مما يفتح مجالا واسعا للتأويل.

(وهذا الوعد لا يكون صحيحا من الناحية التاريخية إلا إذا كان المقصود بنسل إبراهيم هم العرب، لأن هذه الأرض لم يملكها إسحق ولا يعقوب عليهما السلام بل عاشوا فيها غرباء مثل إبراهيم عليه السلام، كما أن بني إسرائيل لم يملكوها إلا فترة وجيزة من الزمن فأين التأبيد؟)[5].

2/الوعد الثاني:

لكي يعلم أبرام حدود الأرض التي وعده بها الرب، يخاطب الرب أبرام مرة أخرى بعد اعتزال لوط عنه فيقول له: « ارفع عينيك وانظر من الموضع الذي أنت فيه شمالا وجنوبا وشرقا وغربا، لأن جميع الأرض التي

1-عشراتي سليمان: الكتاب المقدس والواقعة الإسرائيلية قراءة في ابستمولوجية الأرض والميثاق، ط1، دار الطبع[ ]، وهران، 1999م، ص44.

2- سفر التكوين: 12/1-3.

3-إسماعيل ناصر الصمادي: نقد النص التوراتي، ج1، ص137.

4- سفر التكوين: 12/7.

5-جواد بحر: انتماء فلسطين، ص375 بتصرف.

أنت ترى لك أعطيها ولنسلك إلى الأبد، وأجعل نسلك كتراب الأرض، حتى إذا استطاع أحد أن يعد تراب الأرض فنسلك أيضا يعدّ، قم امش في الأرض طولها وعرضها، لأنّي لك أعطيها »[1].

فحدود الأرض الموعودة حسب هذا النص لا تزيد عن مجال الّرؤيا لأبرام، وفي هذه المرة أعطيت له ولنسله وهذا يتناقض بلا شك مع الوعد الأول الذي أعطي لنسه فقط.

ويجد أبرام نفسه حائرا أمام هذا الوعد المتكرر الذي سترثه ذريته من بعده، لأنه عقيم و لم يولد له أبناء و قد كبر في السن، « فقال للرب بعدما ظهر له في الرؤيا: " أيها السيد الرب ماذا تعطيني وأنا ماض عقيم ومالك بيتي هو أليعازر الدمشقي ؟ " وقال إبرام أيضا للرب :" إنك لم تعطني نسلا، وهو ذا ابن بيتي وارث لي "، فإذا كلام الرب إليه قائلا :" لا يرثك هذا ، بل الذي يخرج من أحشائك يرثك"، ثم أخرجه إلى الخارج وقال : " انظر إلى السماء وعدّ النجوم إن استطعت أن تعدها"، وقال له: " هكذا يكون نسلك "، فآمن بالرب فحسبه له برا، وقال له:" أنا الرب الذي أخرجك من أور الكلدانيين ليعطيك هذه الأرض لترثها "، فقال:"أيها الّسيّد الرب بماذا أعلم أني ارثها" ؟، فقال له :" خذ لي عجلة ثلاثية، وعنزة ثلاثية، وكبشا ثلاثيا، ويمامة وحمامة"، فأخذ هذه كلها وشقها من الوسط[2]، وجعل شق كل واحد مقابل صاحبه، وأما الطير فلم يشقه، فنزلت الجوارح على الجثث وكان أبرام يزجرها»[3].

(صف أبرام قطع تلك الذبائح فمر الرب بينها، ومرور الرب بينها جعلها علامة ميثاقه)[4]، هكذا أعطى الإله العهد على نفسه، وألزم نفسه وحده بالمرور بين الذبيحة، وبالتالي أوقع على نفسه العقاب إذا حنث هو بالعهد، وأصبح هو الطرف غير الموثوق فيه، وأصبح أبرام في موقع يفوق موقع الرب، ودون أدنى التزام عليه، أو بمعنى آخر كما يقول بن غوريون[5]:"وبدونهم -اليهود- فلن يكون هناك إله"، ولن يكون هناك عهد أو ميثاق، وبالتالي فإن حتمية وجودهم هي الضرورة الوجودية للعهد وللإله وللأرض[6].

1- سفر التكوين: 13/ 14-17.

2-قطع العهد على هذه الصورة كان على ما يرجح الطريق المألوفة في بابل ،فحقق الرب لأبرام الميراث برسم ألفه، ولعل التعبير عن إتيان العهد الوثيق في أقدم اللغات بالقطع مأخوذ من قطع الذبيحة نصفين،أو قطعها بالضرب على أسلوب الرومانيين،وقطع الذبيحة هنا إلى شقين لبيان أن من يخلف الوعد يقطع كما قطعت الذبيحة،ولعل في كون البهائم ثلاثة،وفي أن كلا منها ثلاثي معنى رمزيا فوق ما ذكر،انظر(وليم مارش: السنن القويم،ص88).

3- سفر التكوين:15/ 2-11.

4- وليم مارش:المرجع السابق،ص89.

5-ديفيد بن غوريون :(1862-1972م) زعيم صهيوني وسياسي إسرائيلي، وعالم توراتي، قام بإعلان قيام دولة إسرائيل، ترأس أول وزارة إسرائيلية، ومن نصائحه عدم تعيين حدود الكيان الصهيوني لأن الجيش الإسرائيلي هو من سيحددها، من مقولاته:**"إن إسرائيل قامت تحقيقا لنبوءات الكتاب المقدس"**(انظر جبر الهلول: المواثيق والعهود، ص102).

6-أحمد عزت سليم: لاهوت العنصرية الإسرائيلية، ص34.

3/الوعد الثالث:

يتلقى أبرام وعدا ثالثا موثقا يوسع من خلاله الرب حدود الأرض الموعودة ولكنه في هذه المرة لنسله فقط: «في ذلك اليوم قطع الرب مع أبرام ميثاقا قائلا:"لنسلك أعطي هذه الأرض، من نهر مصر إلى النهر الكبير نهر الفرات»[1].

واضح من هذا النص أنه يجعل الوعد شاملا لكل أبناء إبراهيم، وأن الأرض الموعودة هي كل الأرض الواقعة فيما بين الفرات والنيل، ويلمح في هذا النص ما يعد جهلا من الكاتب بالجغرافيا القريبة منه، فهو قال ناسبا كلامه إلى الرب سبحانه وتعالى **"من نهر مصر إلى النهر الكبير نهر الفرات"**، أفلا يعني هذا أن الكاتب لم يكن يعلم أن نهر النيل أكبر من نهر الفرات، وإلا فلم نزع وصف الكبر عن نهر النيل وأضافه للفرات[2].

إن الأرض التي أقسم الرب أن يعطيها لأبرام وذريته هي أرض كنعان ليس غير ولذلك خرج من أرض الكلدانيين وعبر نهر الفرات ثم عبر نهر الأردن إليها، وأراه الله إياها، ونظر إليها شمالا وجنوبا وشرقا وغربا، وكان كلما هاجر منها عاد إلها[3]،وقد وسع الرب في هذا النص حدود الأرض الموعودة فأصبحت من النيل إلى الفرات.

(فبموجب هذا الوعد تكون أرض إبراهيم وأرض عشيرته حران داخلة في الأرض المقدسة التي أعطيت له وفي نفس الوقت أمر بالخروج منها إلى الأرض المقدسة، فإذا كانت الأرضان مقدستين، فلماذا يأمر الرب بمغادرة الأولى إلى الثانية، لماذا لا يبقى فيها لأنها مقدسة أيضا، ولماذا يعطي غيرها وهي مقدسة؟!، ألا يدل هذا على فكر استعماري توسعي؟، كما يدل على التناقض والاضطراب في النصوص التي يزعمون قدسيتها)[4].

وهذا الوعد بحدوده الواسعة يشكل محور المشروع اليهودي الاستعماري قديما وحديثا، الذي أطلق عيه اسم "أرض الميعاد"، جاعلين من هذا النّص المستند الديني في تمليكهم تلك الأراضي، ولأنه يعبر عن أوسع أحلامهم وطموحاتهم في امتلاك أرض الغير ناسين ومتناسين الوعود السابقة عليه واللاحقة له التي تقلص تلك الأحلام[5].

1-سفر التكوين:18/15.
2-جواد بحر: انتماء فلسطين، ص376.
3-عبد الوهاب طويلة: مغالطات اليهود، ص153.
4-صالح الرقب: ليس لليهود حق ديني في فلسطين،مجلة الجامعة الإسلامية، غزة، مج6، العدد الأول، 1998 م، ص5-6.
5-جبر الهلول: المواثيق والعهود، ص86.

4/الوعد الرابع:

وتكرر التوراة العهد الذي قطعه الله لنفسه بإعطاء أبرام أرض كنعان "فلسطين"، وأن يجعل نسله مثل عدد الرمال أو مثل عدد النجوم أو كتراب الأرض[1]، ويخرج منه الملوك والأمم الكثيرة، وفي هذا الوعد الأخير تتقلص حدود الأرض فهي أرض كنعان فقط وليس من الفرات إلى النيل، وهذا التناقض الكبير يدل على أسطورية الوعد وعدم نسبته إلى وحي سماوي مقدس.

وهذا الوعد الرابع لإبراهيم يتأكد بالختان الذي يصبح **علامة الميثاق** الأبدي، ويتغير اسم أبرام إلى إبراهيم:

« وتكلم الله مع أبرام قائلا :" أمّا أنا فهو ذا عهدي معك، وتكون أبا لجمهور من الأمم ، فلا يدعي اسمك بعد أبرام بل يكون اسمك إبراهيم، لأني أجعلك أبا لجمهور من الأمم، وأثمرك كثيرا جدا، وأجعلك أمما، وملوك منك يخرجون، وأقيم عهدي بيني وبينك وبين نسلك من بعدك، وأعطي لك ولنسلك من بعدك أرض غربتك، كل أرض كنعان ملكا أبديا، وأكون إلههم"، وقال الله لإبراهيم: "وأما أنت فتحفظ عهدي، أنت ونسلك من بعدك في أجيالهم، هذا هو عهدي الذي تحفظونه بيني و بينكم وبين نسلك من بعدك ، يختن منكم كل ذكر، فتختنون في لحم غرلتكم فيكون علامة عهد بيني وبينكم، ابن ثمانية أيام يختن منكم كل ذكر في أجيالكم، وليد البيت، والمبتاع بفضة من كل ابن غريب ليس من نسلك يختن ختانا وليد بيتك والمبتاع بفضتك ، فيكون عهدي في لحمكم عهدا أبديا، وأما الذكر لأغلف الذي لا يختن في لحم غرلته فتقطع تلك النفس من شعبها، إنه قد نكث عهدي" »[2].

فختن إبراهيم إسماعيل وكل العبيد الذين في بيته، وكان إبراهيم ابن تسعة وتسعين سنة حين ختن، وكان إسماعيل ابن ثلاثة عشر سنة[3]، فالعهد كما يبدو من النص كان قبل مولد إسحق،(مما يؤكد أن هذا الوعد لإسماعيل فقط كونه هو الموجود)[4].

فكل شخص من أهل بيت إبراهيم شريك له في العهد، ويعد من نسله بما فيهم العبيد لهم حق الشركة في امتيازات أولاد إبراهيم الدينية، ومن هذا نستنتج أن عدد الذين نزلوا من مصر لم يحصر في بني يعقوب، بل شمل أولاد جميع العبيد والخدم المختونين[5]، مما ينفي النقاوة الجنسية التي يدعيها اليهود وبالتالي يدحض المزاعم الاختصاصية.

1- محمد علي البار: المدخل لدراسة التوراة والعهد القديم، ص 49.

2- سفر التكوين : 17 / 4-14.

3- انظر سفر التكوين : 17 / 22-27.

4-صالح الرقب: ليس لليهود حق ديني في فلسطين ،ص4.

5-وليم مارش:السنن القويم،ص94.

ونشير هنا إلى أن الختان عند اليهود (يعتبر مناسبة قومية فهو علامة العهد بين الإله وإبراهيم وجماعة يسرائيل، وهو ما أسبغ القداسة عليهم، ولهذا فإنه من لم يختّن لا يعتبر فردا من الشعب المقدس لأن الإله لا يحل فيه ، فالختان علامة على أن الإله منح جماعة يسرائيل أرض الميعاد، وإذا كان الإله يمنحهم الأرض فإن الختان على مستوى من المستويات هو القربان الذي يقدمونه)[1].

وفي الأخير يظهر لنا أن الوعود مع إبراهيم بشكل عام تعتبر بداية طرح فكرة المشروع اليهودي المسمى بأرض الميعاد، ومحاولة تحديد إطار هذه الفكرة المكاني، وترك زمن تنفيذها للأجيال اليهودية القادمة[2]، فبمطلع هذه الحقبة الإبراهيمية دأب اليهود عبر تدوين مراحل العهد القديم يركزون على خصوصيتهم المنبثقة من أفضليتهم على باقي الشعوب، ويحرصون على ترديد حقهم بالاستيطان في أرض كنعان حسب الوعد الإلهي المبرم بين إبراهيم والرب[3].

1-عبد الوهاب المسيري : الموسوعة الموجزة، مج2، ج1، ص47.

2-جبر الهلول: المواثيق والعهود، ص86.

3-عدنان حداد: الخطر اليهودي على المسيحية والإسلام (قراءة توراتية في نفسية اليهود وتفكيرهم عبرالعصور)، ط1، دار البيروني، بيروت، لبنان، 1997م، ص24.

المطلب الثالث : وراثة إسحق للعهد.

رزق إبراهيم بإسماعيل وإسحق وكان من المفروض أن يرث العهد كلا منهما باعتبار أنهما ابنا إبراهيم ولكن عند تقصي نصوص العهد القديم يتضح أن هذا الشيء لم يحدث، فإسماعيل حرم من الوراثة للعهد والوعد والبركة وأما إسحق فهو الذي استأثر بكل ميراث إبراهيم.

وقد حصل إسحق على الوعد عبر مراحل وخطوات نبينها واحدة تلو أخرى:

1-إقصاء إسماعيل من العهد وتحويله إلى إسحق:

رغم أن التوراة تعترف بأن إسماعيل هو ابن إبراهيم البكر، والبكر في التوراة هو دائما الأحق بالوراثة للعهد والوعد والبركة ، إلا أنها في هذا الموضع تنكر أهمية البكورية التي تتمسك بها، وتجعل العهد من الله لإسحق دائما أبديا، لأنه بإسحق فقط يدعى لإبراهيم نسل[1].

بشر إبراهيم بالإرث لنسله ولمن يخرج من أحشائه على حد تعبير كاتب السفر، فكان إسماعيل أول من ولد له، وهذا بعدما طلبت منه زوجته ساراي أن يدخل بجاريتها هاجر حتى يكون له منها نسل بعد أن ظلت عقيما، وجاء الوعد بهذا الإرث محددا[2] **«لنسلك أعطى هذه الأرض»**[3].

وبعد أن دخل إبراهيم على هاجر حبلت بإسماعيل، ولما رأت أنها حبلت صغرت مولاتها في عينيها «فقالت ساراي لأبرام:" ظلمي عليك أنا دفعت جاريتي إلى حضنك، فلما رأت أنها حبلت صغرت في عينيها، يقضي الرب بيني وبينك"، فقال أبرام لساراي: " هو ذا جاريتك في يدك افعلي بها ما يحسن في عينيك"، فأذلتها ساراي فهربت من وجهها...فوجدها ملاك الرب على عين الماء في البرية...فقال لها ملاك الرب:"تكثيرا أكثر نسلك فلا يعد من الكثرة"»[4].

ولدت هاجر إسماعيل واقترن الوعد بمولده، وكان عهد الختان بعد ذلك"ختان إسماعيل"، ولم يكن إسحق قد ولد بعد[5]، (والابن الموجود هو إسماعيل المبارك من الرب كثيرا هو وأمته، وفي هذا دلالة على أن الوعد له، وأن التفرقة العنصرية البغيضة التي طبعت عليها النفس اليهودية الشريرة هي التي دفعت القوم إلى إجراء تحريف ليكون الوعد لإسحق دون أخيه المولود قبله والمبارك من الرب هو وأمته كثيرا).[6]

1-محمد علي البار : الله جل جلاله والأنبياء عليهم السلام في التوراة والعهد القديم (دراسة مقارنة)، ط1، دار القلم ، دمشق ، سوريا ، 1410هـ،1990م ، ص 101.

2-حسين فوزي النجار: أرض الميعاد، ط2، دار المعارف، القاهرة، مصر، 1983م، 1403هـ، ص 61.

3- سفر التكوين: 15 / 18.

4- سفر التكوين: 16/ 4-10.

5- حسين فوزي النجار: أرض الميعاد، ص62.

6- صالح الرقب: ليس لليهود حق ديني في فلسطين، ص7.

وبعد عهد الختان يخبر الله إبراهيم بأن ساراي امرأته لا تدعى **"ساراي"** بل تدعى **"سارة"**، وتلد له ابنا يدعى إسحق:«وقال الله لإبراهيم:"ساراي امرأتك لا تدعو اسمها ساراي بل اسمها سارة، وأباركها وأعطيك منها أيضا ابنا، أباركها فتكون أمما، وملوك شعوب منها يخرجون"»[1]، وتغيير اسم سارة هو علامة على العهد بينها وبين الرب لأنه لا يمكنها أن تختتن فاشتركت بهذا في العهد مع إبراهيم[2].

ولما بشر الرب إبراهيم بإسحق طلب من الله أن يرعى إسماعيل ويحفظه ويباركه وهذا يدل على تعلق إبراهيم بالغلام الذي من المفروض أن يكون هو وارث العهود التي أعطيت لإبراهيم وذلك لأن الوعود ارتبطت بإسماعيل كما أن إسماعيل هو البكر، لكن الرب استجاب لإبراهيم في إسماعيل من جهة وحرمه من جهة أخرى: « قال إبراهيم لله :" ليت إسماعيل يعيش أمامك"، فقال الله: " بل سارة امرأتك تلد لك ابنا وتدعوا اسمه إسحق، وأقيم عهدي معه، عهدا أبديا لنسله من بعده، وأما إسماعيل فقد سمعت لك فيه، هاأنا أباركه، وأثمره، وأكثره كثيرا جدا، اثني عشر رئيسا يلد وأجعله أمة كبيرة"»[3].

رغم أن التوراة تجعل لإسماعيل شيئا من البركة[4]، وذلك أن الرب وعد :

أ-إبراهيم بأن يبارك نسل إسماعيل ويثمره ويكثره كثيرا جدا ويجعل منه أمة كبيرة من اثني عشر رئيسا.

ب- هاجر بأن إسماعيل سيصير أبا لأمة كبيرة وعظيمة.

رغم هذين الوعدين لإسماعيل إلا أن العهد كله يذهب لإسحق عهدا أبديا له ولنسله، ولا يدعى لإبراهيم نسل إلا بإسحق فقط (فالصلة الإلهية بهذا التوثيق التكريمي صلة إلغائية إذ لا تضع في حسبانها إلا ذلك الجمهور من الأمم الذي سيخرج من صلب إبراهيم، والذي سيكون إبراهيم أبا لهم أبوة صريحة العرقية، إذ سيكون التكثير والإعزاز من حظ إسحق بن سارة اليهودية)[5]، وهذا ما قاله الرب لإبراهيم:«"ولكن عهدي أقيمه مع إسحق الذي تلده لك سارة في هذا الوقت في السنة الآتية"»[6].

لقد بارك الرب إسماعيل وكثّره جدّا، وجعله أمة عظيمة، فلماذا يحرم من الوعد الإلهي بالأرض المقدسة؟، لماذا حرم من هذا الوعد وهو نبي كريم محافظ على فرائض الله وشرائعه ووصاياه؟، ما هي المبررات لإعطاء الوعد لإسحق دون أخيه إسماعيل النبي المبارك من الرب كثيرا؟، يقيني أن اليهودية الماكرة بإمكانها

1-سفر التكوين:17/ 15-16.

2-وليم مارش: السنن القويم، ص94.

3- سفر التكوين: 17/ 18-20.

4- محمد علي البار: الله جل جلاله والأنبياء، ص102.

5-سليمان عشراتي : الكتاب المقدس..،ص71.

6- سفر التكوين: 21/17.

اختلاق الإجابة على ذلك، ذلك أن الكذب والافتراء ثم نسبته للرب الإله أمر مباح عندها، فيمكن أن تظهره في طبعة ثانية مزيدة ومنقحة للتوراة والأسفار المقدسة عندهم[1].

إن هذا يظهر لنا حجم التحريف والتناقض الحاصل في الأسفار ، فالتحيز لإسحق على حساب إسماعيل واضح جلّي قصد من خلاله كتبة التوراة الوصول إلى فكرة محددة وهي الاستئثار بالعهد والوعد، وفي هذا المقام يعلق العقاد على العنصرية في استحقاق العهد فيقول:

(لو لم يكن انتساب العرب إلى إسماعيل بن إبراهيم تاريخا مقررا في ذلك العصر الذي كتبت فيه المصادر اليهودية الأولى لما كانت بهم حاجة إلى التمييز بين أبناء إسحق وأبناء إسماعيل، إذ كان يكفي أن يقال أن النعمة الموعودة من نصيب أبناء إبراهيم عامة ليخرج من هذا الوعد من لم يكن من اليهود الذين لا ينازعهم أحد في الانتساب إلى إبراهيم، لكن انتساب العرب إلى إبراهيم كان تاريخا مقررا فلم يكن في الوسع إنكاره، ولم يكن ثمة مناص من التفرقة بين أبناء إبراهيم ،فكّهان اليهود كانوا يحسون من العرب منافسة دينية فضلا عن المنافسة الدنيوية، فلما تشابه النسب بالانتماء إلى إبراهيم وتشابهت العبادة بالاتفاق على اسم الإله "إيل"-ومنه تسمية إسماعيل وإسرائيل وبتوئيل-جدت الرغبة في الاستئثار من جهة والاستثناء من جهة أخرى، فحصروا النعمة الموعودة في أبناء إسحق ثم في أبناء يعقوب ثم في أبناء داود جريا على عاداتهم المطردة في أمثال هذه الأحوال، فالإحساس بخطر المنافسة على السلطان هي التي أدت بالكهان إلى حصر الوعد)[2].

2-طرد إسماعيل وإبعاده من المشهد:

يستمر كاتب سفر التكوين في سرد قصة إبراهيم وبنيه، فيذكر أنه بعدما ولد إسحق وكبر، رأت سارة ابن هاجر" إسماعيل " يمزح مع إسحق غضبت وطلبت من إبراهيم طرد هاجر وإسماعيل ليكون إسحق الوريث الوحيد لإبراهيم، فرفض إبراهيم لكن الرب كان مع سارة، فأمر إبراهيم بتنفيذ ما قالته له زوجه: « فقالت لإبراهيم :" اطرد هذه الجارية وابنها، لأن ابن هذه الجارية لا يرث مع ابني اسحق"، فقبح الكلام جدا في عيني إبراهيم بسبب ابنه، فقال الله لإبراهيم: " لا يقبح في عينيك من أجل جاريتك، في كل ما تقول لك سارة اسمع لقولها، لأنه بإسحق يدعى لك نسل، وابن الجارية أيضا سأجعله أُمة لأنه نسلك"»[3]

1-صالح الرقب: ليس لليهود حق ديني في فلسطين، ص7.

2- عباس محمود العقاد: الموسوعة الإسلامية (إبراهيم أبو الأنبياء)، ط1، دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان، 1970م، مج1، ص439-440.

3-سفر التكوين:21/ 9-13.

وهذا النص يبين لنا بوضوح مدى تعلق إبراهيم بإسماعيل[1] وبالتالي لا يمكن قبول أي زعم إسرائيلي يريد أن يخالف الحقائق الواضحة فيحاول أن يحصر الوعد الإلهي في القبيلة الإسرائيلية ويطرد من عاداهم فالشواهد التي تبطل هذا الزعم كثيرة بل وتوضح أن إسماعيل كان الشغل الشاغل لأبيه إبراهيم حتى نهاية حياته[2].

فطرد إبراهيم هاجر وإسماعيل بعد أن أعطاهما قربة ماء وخبزا، (فمضت هاجر وتاهت في برية بئر السبع، ولما فرغ الماء من القربة طرحت الولد تحت إحدى الأشجار ومضت وجلست مقابله بعيدا نحو رمية قوس، لأنها قالت لا أنظر موت الولد، فجلست مقابله ورفعت صوتها وبكت وسمع الله صوت الغلام)[3]، «ونادى ملاك الله هاجر من السماء وقال لها :" مالك يا هاجر لا تخافي لأن الله قد سمع لصوت الغلام حيث هو، قومي احملي الغلام وشدي يدك به لأني سأجعله أمة عظيمة"»[4].

ولم تعرض التوراة ذكر إسماعيل بعد هذا الحدث إلا في موضعين، حين ذكرت وفاة إبراهيم فدفنه إسحق وإسماعيل، وحين ذكرت بني إسماعيل بأسمائهم[5]، لا شك أن كاتب السفر لم يتعرض لسيرة إسماعيل لأنه هو صاحب الوعد وأنه هو الذي تحقق له ما تكلم به الرب بعدما أقام في مكة هو وأمه هاجر عليهما السلام، وبنى إسماعيل مع أبيه إبراهيم البيت بأمر الله تعالى وكان من نسله محمد صلى الله عليه وسلم وكانت أمته عظيمه.

1-من ذلك ما جاء في التلمود أن إبراهيم كان يتردد على بيت ابنه إسماعيل في موطنه البعيد-أرض العرب وهو مكة بلا شك- بين الحين والحين ليطمئن عليه : «لقد عاش إسماعيل مع أمه فترة من الزمن في برية فاران ثم رحلا إلى مصر حيث تزوج إسماعيل وأنجب هناك أربعة أولاد وبنتا واحدة لكنه سرعان ما عاد إلى البرية في موطنه المفضل حيث بنى الخيام لنفسه ولعائلته وشعبه فقد باركه الله وجعله مالكا للكثير من قطعان الماشية والأغنام وحدث بعد عدة سنوات أن استسلم إبراهيم لرغبة كانت تتملكه دائما لزيارة ابنه فأخبر سارة بذلك ثم بدأ رحلته على جمل ولما وصل إلى مسكن ابنه إسماعيل وجده خارجا يصطاد ووجد زوجته التي لم تكن تعرف حماها فعاملته بجفاء ولم ورفضت تقديم الماء والطعام إليه فقال لها إبراهيم عندما يعود زوجك صفي له مظهري ثم قولي له جاءنا رجل عجوز من أرض الفلسطينيين وهو يطلب منك أن تستبدل وتد خيمتك بآخر أصلح منه ثم ركب دابته وانصرف ولما عاد إسماعيل وقصت عليه زوجته الخبر أيقن أن الزائر كان أباه إبراهيم وأن زوجته لم تحسن معاملته فطلقها وتزوج بأخرى »انظر: لواء أحمد عبد الوهاب: رسالة من التوراة إلى مؤتمر السلام إبطال مزاعم إسرائيل الدينية والتاريخية في فلسطين، ط1، مكتبة التراث الإسلامي، القاهرة، مصر، 1992م، ص31.

2-لوا ء أحمد عبد الوهاب:المرجع نفسه، ص30.

3-حسن الباش: القرآن والتوراة (أين يتفقان وأين يفترقان) ، ط1، دار قتيبة، بيروت لبنان، 1998م، ج1، ص 174.

4- سفر التكوين :21 / 17-18.

5-حسين فوزي النّجار: أرض الميعاد، ص 53.

3-التحريف في شخصية الذبيح من إسماعيل إلى إسحق:

يخبرنا سفر التكوين أنه بعدما أبعد إسماعيل عن إبراهيم، امتحن الله إبراهيم بأن طلب منه أن يقدم إسحق ابنه كقربان ، (ولما نوى إبراهيم بأن يفعل ذلك وتأكد الرب من تبعية وخضوع إبراهيم له افتداه بكبش)[1].

«ونادى ملاك الرب إبراهيم ثانية من السماء وقال:" بذاتي أقسمت، يقول الرب أني من أجل أنك فعلت هذا الأمر ولم تمسك ابنك وحيدك، أباركك مباركة، وأكثر نسلك تكثيرا كنجوم السماء وكالرمل الذي على شاطئ البحر، ويرث نسلك باب أعدائه، ويتبارك في نسلك جميع أمم الأرض، من أجل أنك سمعت لقولي"»[2].

(إن لفظة ابنك وحيدك الواردة في النص لا تعني سوي شيئا واحدا وهو التحريف)[3] لهوية الذبيح لأن إبراهيم كان عنده في ذلك الوقت ابنان هما إسماعيل البكر وإسحق وليس ابنا واحدا،(والقطع باسم الذبيح في النص التوراتي هو على ما يبدو محاولة للقضاء على أي شك أو غموض قد يتطرق إلى هذه المسلمة، وهذا عنصر أصيل وأسلوب طرح معتاد في التوراة، يبين بوضوح أنها كتاب تاريخ أكثر من كونها كتاب عقيدة، ويتأكد ذلك من كثرة التفاصيل التي توردها في كل قصة من قصصها رغم انتفاء علاقتها بالمعتقدات)[4].

من خلال هذه الحادثة أي حادثة تقديم إسحق كذبيح يتأكد لنا أن هناك تحريفا في هوية الذبيح،(فكيف يكون إسحق هو الذبيح؟، بينما البشارة في أساسها أن إسحق سيخلف نسلا يقيم الرب عهدا معه، فالذبح في الطفولة يعني أنه لن تكون لصاحبها حياة أو نسل أو عهد! ، فغرض وضّاع التوراة في المقام الأول والأخير هو تزييف الوعد الذي وُعِدَه إبراهيم بتمليك المؤمنين من نسله الأرض التي هيئت منذ الأزل لتكون أرض التوحيد والرسالات والأنبياء والرسل، لكن رغم هذا التحريف والتزييف بقي أمر واحد يؤكد نفسه هو أن الذبيح هو إسماعيل، وأن الوعد الذي يتمسحون به، إنما هو وعد لنسل إسماعيل المؤمن المسلم الموحد، والتوراة ذاتها تشهد)[5].

1- إسماعيل ناصر الصمادي: نقد النص التوراتي، ج1، ص102.

2- سفر التكوين: 22 / 15-18.

3-باربارا براون: نظرة عن قرب في المسيحية، ترجمة مناف حسين الياسري، دار الطبع [ ]، كندا، 1993م، ص59.

4-لخضر شايب: قصة الذبيح بين الروايات الكتابية والإسلامية، ط1، مؤسسة الرسالة، بيروت، لبنان، 1421هـ، 2001م، ص47.

5-ليلى سعد الدين: مثل الذين حملوا التوراة..، ص283-287.

4-توريث إسحق وحرمان إخوته:

تخلص كاتبوا السفر من إسماعيل وأخرجوه من الساحة ليخلو الجو بعد ذلك لإسحق لينفرد وحده بالوعد دون مزاحمة من أخيه البكر وإخوته الآخرين من قطورة التي تزوجها إبراهيم فولدت له زمران ويقشان ومدان ومديان ويشباق وشوحا، فطرد إبراهيم كل أبنائه وصرفهم في شرق البلاد وغربها.

« وأعطى إبراهيم إسحق كل ما كان له، وأما بنو السراريّ اللواتي كانت لإبراهيم فأعطاهم إبراهيم عطايا، وصرفهم عن إسحق ابنه شرقا إلى أرض المشرق وهو بعد حي»[1].

(إن أثر تعصب بني إسرائيل ومزاعمهم الاختصاصية ملموح في هذه النصوص التي جاءت لتؤكد مرة أخرى جعل إسحق بأمر الله هو صاحب النسبة الأصلية إلى إبراهيم)[2]، فيصور لنا العهد القديم أن إخوة إسحق الذين هم أجداد العرب كمتوحشين مستبعدين من الميثاق (وهي الصورة الكامنة وراء كثير من الادّعاءات العنصرية الصهيونية تجاه العرب، والكامنة أيضا وراء الموقف الصهيوني منهم)[3].

بدأ كتبة الأسفار بغربلة شاملة للعائلة البشرية وذلك من خلال عمليات الانتقاء والاستبعاد كان أولها الطوفان ثم (لعن كنعان وانتقاء سام لتقتصر الحقوق التاريخية و الحلولية على أحفاد سام، ثم استبعد من أحفاد سام نسل هاران أخو ناحور وإبراهيم وذلك باستبعاد أحفاده من ابنه لوط -بعدما حملت منه ابنتيه كما يدّعون-وبالتالي استبعد الكلدانيين قوم هاران واستبعد نسل الزنا المؤابين من أبيهم مؤاب والعمونيين من أبيهم عمى، ولا يدخل كل هؤلاء جماعة الرب إلى الأبد بل لعنوا كما لعن الكنعانيون من قبل ثم تم استبعاد من نسل إبراهيم نسل إسماعيل وتم انتقاء اسحق)[4].

وبعد أن تزوج إسحق "رفقة" توفي إبراهيم، ورزق إسحق ب "عيسو" و"يعقوب"، حدث جوع في الأرض فعزم إسحق الهجرة إلى مصر،(لكن الله أمره أن يقيم بأرض كنعان، وبذلك حقق له أن يرثها بمقتضى الوعد لأبيه).[5]

« وظهر له الرب وقال:"لا تنزل إلى مصر، اسكن في الأرض التي أقول لك، تغرب في هذه الأرض فأكون معك وأباركك، لأني لك ولنسلك أعطي جميع هذه البلاد، وأفي بالقسم الذي أقسمت لإبراهيم أبيك، وأكثر نسلك كنجوم السماء، وأعطي نسلك جميع هذه البلاد، وتتبارك في نسلك جميع أمم

1-سفر التكوين:25/ 5 - 6.

2- محمد عزة دروزة: تاريخ بني إسرائيل من أسفارهم،ط1،مطابع شركة الإعلانات الشرقية، مصر، ت[]،ج1،ص50.

3-عبد الوهاب المسيري: الموسوعة الموجزة، مج1، ج3، ص400.

4-أحمد عزت سليم: لاهوت العنصرية..، ص94.

5-وليم مارش: السنن القويم، ص128.

الأرض، من أجل أن إبراهيم سمع لقولي وحفظ ما يحفظ لي:أوامري وفرائضي وشرائعي"، فأقام إسحق في جرار»[1].

وصل بنا كاتب السفر إلى هذه النتيجة وهي حصول إسحق على العهد الوعد بعد أن قام بعدة عمليات تم من خلالها إقصاء كل من يُحتمل أن يرث مع إسحق، فأزال بهذا أي شبهة يمكن أن تعكر صفاء الوعد لبني إسرائيل.

(إن حصر ميراث إبراهيم الروحي والمادي في يعقوب وأولاده مع تجريد إسماعيل وبنيه وأبناء إبراهيم الآخرين من أبناء إبراهيم إنما هو تعصب ظالم من صنع البشر وتحريف لنصوص الأسفار المقدسة وخداع باسم الدين)[2].

المطلب الرابع: بركة يعقوب

(مجّد الحاخامات يعقوب وجعلوا مكانته تفوق مكانة إبراهيم وإسحق لأن كليهما أنجبا أشرارا "إسماعيل وعيسو")[3] الذين اختلطت دماؤهم مع الشعوب الأخرى من سكان فلسطين، ولأن يعقوب ابن البطاركة والسيدات(سارة ورفقة) وليس من أبناء الجواري والملعونات "هاجر وقطورة" وكذلك لأن يعقوب أنجب العرق الصافي المقدس المختار كما يعتقد اليهود.

نال يعقوب العهد بمشقة فهو لم يحصل عليه كمنحة بل استعمل عدة وسائل لكي يحظى بالوعد، فهناك خمس قصص يرويها لنا العهد القديم عن يعقوب وكيف انتقل إليه العهد:

القصة الأولى: شراء يعقوب لبكورية أخيه

تصف التوراة يعقوب بأنه كان ناعم اليدين، ملتصق بأمّه رفقة، متفرغ لأعمال النساء، ويجيد الطبخ مثلهنّ، بينما أخوه عيسو قوي الشكيمة خشن اليدين، مفتول الذراعين يخرج للصيد أو للحقل كل يوم، وعاد ذات يوم وهو مجهد متعب فطلب من الإدام الأحمر الذي صنعه أخوه يعقوب[4]، ولكن يعقوب أبى أن يعطيه من الحساء إلا إذا تنازل له عيسو عن حقه في البكورية (والتي هي حق الإرث وذلك بحكم الشريعة اليهودية التي يرث فيها الابن البكر أي الأكبر الحق في الزعامة بعد الأب)[5]، فتنازل عيسو عنها في مقابل حساء العدس:

1-سفر التكوين:26/1-6.

2- لواء أحمد عبد الوهاب: رسالة من التوراة،ص33.

3- المسيري : الموسوعة الموجزة، مج1، ج3، ص401.

4-محمد علي البار: المدخل لدراسة التوراة، ص53.

5- المسيري : المرجع السابق، مج1، ج3، ص401.

« وطبخ يعقوب طبيخا، فأتى عيسو من الحقل وهو قد أعيا، فقال عيسو ليعقوب:" أطعمني من هذا الأحمر لأني قد أعييت" لذلك دعي اسمه"أدوم"، فقال يعقوب:" بعني اليوم بكوريتك"، فقال عيسو: " هاأنا ماض إلى الموت، فلماذا لي بكورية ؟"، فقال يعقوب:"احلف لي اليوم "، فحلف له فباع بكوريته ليعقوب، فأعطى يعقوب عيسو خبزا وطبيخ عدس، فأكل وشرب، وقام ومضى فاحتقر عيسو البكورية»[1] .

يلمح في هذه القصة أثر فكرة تمييز يعقوب على عيسو وحرمان هذا من إرث إسحق، وهي الفكرة الكامنة في مزاعم الاختصاص التي كان وظل بنو إسرائيل يزعموها لأنفسهم، وعلى كل حال ففيها صورة عجيبة للأنانية القاسية وأثرها حتى في أخ إزاء أخيه، ولقد كان يبدو تسجيلها ذا أثر عجيب في بني إسرائيل، إلى درجة أن صار المكر والاحتيال والكذب[2] والخداع وسيلتهم المفضلة في كل وقت إلى اغتصاب حقوق الناس وتسخيرهم ما استطاعوا إلى ذلك سبيلا، وأن يصبح خلقا راسخا من أخلاقهم يتوارثه الأبناء عن الآباء دهرا بعد دهر ويتأثر به كذلك الذين اعتنقوا اليهودية من غير بني إسرائيل[3].

القصة الثانية: سرقة يعقوب بركة عيسو من إسحق

باع عيسو حقّه بالبكورية بصحن من طبيخ العدس لأخيه يعقوب، ولكن على ما يبدو أن هذا غير كاف للحصول على الوعد، ولذلك لجأت الأم **"رفقة"** التي تحب يعقوب أكثر من عيسو إلى حيلة أشدّ وأدهى من التي استعملها يعقوب، وهي اغتصاب حق عيسو بالسرقة والخداع للأب العجوز.

يقول كاتب التوراة :« حدث لما شاخ إسحق وكلت عيناه أنه دعا عيسو ابنه البكر، وقال له:" اخرج إلى البرية، وتصيّد، واصنع لي أطعمة حتى تباركك نفسي قبل أن أموت، وكانت رفقة سامعة فكلمت يعقوب، وكانت تحبّه قائلة:" خذ جديين من المعزى، فاصنع أطعمة لأبيك، حتى يباركك قبل وفاته"، فقال يعقوب لأمّه رفقة:" هو ذا عيسو رجل أشعر ، وأنا رجل أملس ربما يجّسني أبي، فاجلب على نفسي لعنة لا بركة"، فقالت له أمه:"لعنتك علي يا ابني"، ... فدخل يعقوب إلى أبيه، فقال إسحق:" أسرعت يا بني"، فقال:" إنّ الّرب إلهك قد يسّر لي"، فقال إسحق ليعقوب:" تقدم لأجسك يابني، أأنت هو ابني عيسو أم

1- سفر التكوين: 25/29- 34.

2-ومن الكذب ما نسبوه إلى لوط عليه السلام عندما اتهموه بالزنا لسلب حق العمونيين والمؤابيين و تحقيرهم وإخراجهم من دائرة الوعد، جاء في سفر التكوين 19/30-38: «وصعد لوط من صوغر وسكن في الجبل وابنتاه معه، فسكن في المغارة هو وابنتاه وقالت البكر للصغيرة:"أبونا قد شاخ، وليس في الأرض رجل ليدخل علينا كعادة كل الأرض،هلم نسقي أبانا خمرا ونضجع معه، فنحيي من أبينا نسلا"»...وقامتا بهذا الفعل ولوط لا يعلم لأنه سكران،«فولدت البكر ابنا اسمه موآب وهو أبو الموآبيين، وولدت الصغيرة ابنا ودعت اسمه ابن عمّي وهو أبو بني عمّون».

3-محمد عزة دروزة: تاريخ بني أسرائيل،ص57.

لا ؟ " ، فتقدم يعقوب إلى إسحق أبيه، فجسّه وقال:" الصّوت صوت يعقوب، ولكن اليدين يدا عيسو"، ولم يعرفه فباركه»[1].

وبعد أن أكل إسحق اللّحم وشرب الخمر قال ليعقوب:« انظر رائحة ابني كرائحة حقل قد باركه الّرب، فليعطك الله من نَدَى السماء ومن دسم الأرض، وكثرة حنطة وخمر، ليستعبد لك بنو أمك، وليكن لاعنوك ملعونين، ومباركوك مباركين».[2]

(بهذه الحيلة الماكرة سرق يعقوب بإعانة من أمه **البركة أي النبوة وتمليك الأرض المقدسة** من أبيه على حساب أخيه عيسو، إن العقل الصريح يجزم بأن السارق للشيء لا يستحقه ولا يكون له، بل يستحق اللعنة والعذاب الشديد، والتوراة تؤكد أن الوعد أعطي لإبراهيم لأنه قام بفرائض الرب وشرائعه ووصاياه، فهل السرقة و المكر والكذب التي تجلت جميعا في عمل يعقوب من فرائض الله وشرائعه ووصاياه؟)[3]، ثم إن يعقوب اشترى البكورية من أخيه فلماذا يسرق البركة والوعد من أبيه وهي من حق البكر؟ !، ولماذا يغضب عيسو من سرقة يعقوب للبركة التي باعها بمحض إرادته؟.

يقول كاتب التوراة أنه لما عاد عيسو إلى البيت بعدما سرق يعقوب البركة قال لإسحق أنا ابنك بكرك عيسو فارتعد إسحق ارتعادا عظيما جدا وقال فمن هو الذي اصطاد صيدا وأتى به إلي وباركته فلما سمع عيسو كلام أبيه صرخ صرخة عظيمة ومرة جدا،« وقال لأبيه:"باركني أنا أيضا يا أبي"، فقال:" قد جاء أخوك بمكر وأخذ بركتك"،... فقال عيسو لأبيه:"ألك بركة واحدة فقط يا أبي؟ باركني أنا أيضا يا أبي"، ورفع عيسو صوته وبكى فأجاب إسحاق أبوه وقال له : " هو ذا بلا دسم الأرض يكون مسكنك وبلا ندى السماء من فوق، وبسيفك تعيش ولأخيك تستبعد »[4].

وهنا ينتهي دور إسحق بعد أن يكون قد حصر نسل إبراهيم بابنه يعقوب وبعد أن رسخ في نفس وريثه الإيمان بالوعد الإلهي المتعلق بالأرض الموعودة[5] ، وبعد أن جعل عيسو عبدا ليعقوب ونسله كما كان الحال مع كنعان الذي لعن وجعل عبد العبيد لسام، فالتوجه العنصري واضح تماما في مسيرة الوعد وانتقاله من شخص لآخر بطريقة تثير السخرية والضحك أحيانا والغضب أحيانا أخرى.

1- سفر التكوين:27/1-23.

2- سفر التكوين: 27/27-29.

3-صالح الرقب: ليس لليهود حق ديني في فلسطين ، ص8.

4- سفر التكوين: 27/34-40.

5-عدنان حداد:الخطر اليهودي على المسيحية والإسلام، ص41.

(إن قصة البركة هذه التي وردت عن إسحق ويعقوب لها مدلولها المباشر، وهو محاولة المصنف التوراتي تأكيد حق بني إسرائيل في السيادة والاستعلاء وهو الحق الذي بدأ مؤلفوا التوراة يزيفونه المرة تلو المرة وفي صيغة تكاد تكون متطابقة منذ العهد الذي زعموا أن الله قطعه مع أبي الأنبياء عليه السلام)[1].

وبعد أن جعل إسحق ابنه عيسو عبدا ليعقوب يخبرنا كاتب السفر أنه (سرعان ما تشتد ثورة عيسو على أخيه يعقوب ويهدده بالقتل -بعد حادث تحويل البركة - وسرعان ما تتدخل أمهما "رفقة" فتنصح يعقوب بأن يفّر إلى خاله "لابان")[2].

وقبل رحيل يعقوب يباركه إسحق ويوصيه بأن لا يتزوج من بنات الكنعانيين لأنهم ملاعين في التوراة على لسان نوح، ولأن تزوج يعقوب من بناتهم يؤدي إلى تدنيس السلالة المختارة بالأنجاس والملاعين على حسب تصور اليهود، فإسحق تزوج من آرام عشيرة إبراهيم فنال الوعد والعهد وكذلك يجب على يعقوب أن يفعل ليحافظ على الوعد والعهد، ولهذا قال له إسحق :« لا تأخذ زوجة من بنات كنعان، قم اذهب إلى فدان آرام، إلى بيت بتوئيل أبي أمك وخذ لنفسك زوجة من هناك من بنات لابان أخي أمك، والله القدير يباركك ويجعلك مثمرا ويكثرك فتكون جمهورا من الشعوب، ويعطيك بركة إبراهيم لك ولنسلك معك لترث أرض غربتك التي أعطاها الله لإبراهيم».[3]

يقول ابن حزم معلقا على قصة البركة المسروقة والتي بموجبها حصل يعقوب على الوعد بالأرض والسيادة وعبودية عيسو له:

(وهذه كذبات متواليات والله ما خدمت الأمم قط يعقوب ولا بنيه بعده، ولا خضعت لهم الشعوب، ولا كانوا موالي إخوتهم، ولا سجد لهم ولا له بنو أمه، بل بنو إسرائيل خدموا الأمم في كل بلدة وفي كل أمة، وهم خضعوا للشعوب قديما وحديثا في أيام دولتهم وبعدها...حينئذ فما نرى عيسو وبنيه إلاّ موالي يعقوب وبنيه.

وكذلك ملك بنو عيسو بإقرار توراتهم ميراثهم لساعير وهي جبال الشراة، وبنو لوط ميراثهم بموآب وعمان، قبل أن يملك بنو إسرائيل ميراثهم بفلسطين والأردن بدهر طويل، ثم لم يزالوا يتغلبون على بني إسرائيل أو يساوونهم طول دولة بني إسرائيل بإقرار كتبهم، وما ملك بنو إسرائيل قط بني عيسو ولا بني لوط

1-صبري جرجس: التراث اليهودي الصهيوني والفكر الفرويدي، ص67/ نقلا عن(صابر عبد الرحمن طعيمة: التراث الإسرائيلي في العهد القديم وموقف القرآن الكريم منه، ط1، دار الجيل بيروت، 1399هـ، 1979م، ص433).

2-محمد بيومي مهران:بنو إسرائيل، ط1، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، مصر، 1999م، ج1، ص181.

3- سفر التكوين: 28/1-4.

ولا بني إسماعيل بإقرارهم...فما نرى تلك البركة إلا معكوسة ونعوذ بالله من الخذلان، ولكن حق البركة المسروقة المأخوذة بالخبث في زعمهم أن تخرج معكوسة منكوسة) [1].

القصة الثالثة: الوعد الأول ليعقوب في الحلم

بعدما سرق يعقوب البركة فّر من أخيه الغاضب متجها إلى آرام إلى بيت خاله لابان ليتزوج من بنتيه ليئة وراحيل، وفي الطريق نام ورأى الرب في الحلم وأعطاه الوعد ب:

أ- أن يملكه الأرض التي هو نائم عليها له ولنسله ولكن الأرض جاءت مبهمة الحدود والمعالم، وإنما تمتد شرقا وغربا وهذا يشبه الوعد الذي أعطي ليوشع الذي مضمونه كل ما تدوسه أقدام اليهود من الأرض فهو لهم، ولذلك اليهود ليس لهم حدود معينة لدولتهم لأنها تمتد حسب ما تقتضيه الظروف والمصلحة.

ب- تكثير نسله كتراب الأرض وتتبارك في نسله جميع قبائل الأرض.

« فخرج يعقوب من بئر سبع وذهب نحو حاران، وصادف مكانا وبات هناك لأن الشمس كانت قد غابت واخذ من حجارة المكان ووضعه تحت رأسه، فاضطجع في ذلك المكان، ورأى حلما، وإذا سلم منصوبة علي الأرض ورأسها يمس السماء، وهو ذا ملائكة الله صاعدة ونازلة عليها وهو ذا الرب واقف عليها فقال:" أنا الرب إله إبراهيم أبيك وإله إسحق، الأرض التي أنت مضطجع عليها أعطيها لك ولنسلك ويكون نسلك كتراب الأرض، وتمدد غربا وشرقا، وشمالا وجنوبا، وتتبارك فيك وفي نسلك جميع قبائل الأرض، وها أنا معك، وأحفظك حيثما تذهب وأردك إلى هذه الأرض، لأني لا أتركك حتى افعل ما كلمتك به». [2]

القصة الرابعة: مصارعة يعقوب للرب

يذكر سفر التكوين أن يعقوب بينما كان عائدا من فدان آرام إلى أرض كنعان وهناك عند مخاضة يبوق، وقد أجاز يعقوب عائلته عبر الوادي، يبرز له رجل فيصارعه حتى مطلع الفجر[3]، وأخذ يعقوب البركة بالغلبة من الرب[4]، ولم يصبح يسمى يعقوب بل إسرائيل والذي معناه أمير الله أو القوي مع الله[5]، فتغير

1-محمد بن حزم الأندلسي: الفصل في الملل والأهواء والنحل، ط1، دار الحديث، القاهرة، مصر،1431هـ، 2010م، ج1، ص290-291.

2- سفر التكوين: 28 / 10-15.

3- محمد بيومي مهران: بنو إسرائيل، ج1، ص185.

4-والقصة تشبه قصص مماثلة في الحضارات الوثنية مثل الحضارة اليونانية(عبد الوهاب المسيري : مرجع سابق، ج1، ص401).

5-وليم مارش:السنن القويم، ص152.

اسم يعقوب كما تغير اسم إبراهيم وسارة من قبل كعلامة للعهد والوعد، وكل هذه الرموز لا يفهم المغزى منها مثلها مثل القوس والختان والدم.

« فبقى يعقوب وحده وصارعه إنسان حتى طلوع الفجر، ولما رأى أنه لا يقدر عليه ضرب حق فخذه، فانخلع حق فخذ يعقوب في مصارعته معه، وقال:" أطلقني لأنه قد طلع الفجر"، فقال:"لا أطلقك إن لم تباركني" فقال له: "ما اسمك "، فقال:"يعقوب"، فقال:" لا يدعى اسمك في ما بعد يعقوب بل إسرائيل، لأنك جاهدت مع الله والناس وقدرت"، وسأل يعقوب وقال:" أخبرني باسمك"، فقال :" لماذا تسال عن اسمي ؟ "، وباركه هناك »[1].

يقول البار:(وهكذا تتناقض التوراة المحرفة، فتارة تصف يعقوب بالضعف الجسماني، مع المكر والحيلة والدهاء، والكذب والغش والخداع، والمداهنة والرياء والملق، إلى حد العبادة والسجود لأخيه عيسو سبع مرات، ولدرجة أن يقول إذا رأيتك فقد رأيت وجه الله، ثم في لحظة تزعم أنه قوي جبار لدرجة أن الله نفسه لم يستطع أن يتغلب عليه، وأنه أخذ البركة عنوة من الله)[2].

كل الوعود والعهود والبركات التي نالها يعقوب لم تكن بطريقة نزيهة وشريفة وصحيحة، فقد حصل عليها باستغلال حاجة أخيه للطعام والشراب، ثم بالخداع والسرقة والغش لإسحق، ثم بالمصارعة والغلبة، ثم في المنام والأحلام والرؤى، وبالتالي لا يمكن أن تكون التوراة وحيا سماويا مقدسا، فهي مجموعة من الأساطير والخرافات استهدف كاتبوها تحقيق أغراض دنيوية، منتهكين في ذلك حرمة الذات المقدسة وعصمة الأنبياء المعصومين عليهم السلام.

وإسرائيل هو الاسم الذي اختاره الكيان الصهيوني اليوم شعارا لدولته مما يعني أن اليهود ينطلقون من تعاليم التوراة المحرفة لتحقيق أهدافهم العنصرية وأطماعهم الاستعمارية.

يقول فرج الله عبد الباري:(وهذه التسمية يفتخرون بها ويعتزون لأنهم يعتقدون أن الله هو الذي غير اسم يعقوب إلى إسرائيل هذا من ناحية ومن ناحية أخرى، فالاسم فيه دلالة على الوعد والرجاء وإشارة إلى مجدهم، وهم تحت إسرائيل ينتظرون ملكوت الله والخلاص من أعدائهم، وليس أدل على حب اليهود لهذا الاسم من إطلاقهم اسم إسرائيل على دولتهم المزعومة التي اغتصبوا أرضها وشردوا أهلها تحت سمع وبصر من يتشدقون بحقوق الإنسان ومكافحة الإرهاب ويغضون البصر عن إرهاب الدولة)[3].

1-سفر التكوين : 32 / 24-29.

2-محمد علي البار: المدخل لدراسة التوراة، ص54.

3-فرج الله عبد الباري: اليهودية بين الوحي الإلهي والانحراف البشري، ط1، دار الآفاق العربية، بلد وتاريخ الطبع[ ]، ص26.

القصة الخامسة: الوعد الثاني ليعقوب

يتكرر العهد بين الله ويعقوب لعدة مرات، فالرب أكد ليعقوب الوعد بأن يعطيه الأرض التي وعدها لأبيه إسحق وجدّه إبراهيم، أرض تفيض لبنا وعسلا، كما وعده أن يكثر نسله حتى يكون أكثر من نجوم السماء، ومن رمل البحر، ومن تراب الأرض.

فبعدما تأكد الرب من جدية يعقوب في الحصول على الوعد ظهر له (مرة أخيرة حينما جاء من فدان آرام وباركه وقال له)[1] :« "اسمك يعقوب، لا يدعى اسمك فيما بعد يعقوب، بل يكون اسمك إسرائيل"، وقال له الله:" أنا القدير أثمر و اكثر، أمّة وجماعة أمم تكون منك وملوك سيخرجون من صلبك، والأرض التي أعطيت إبراهيم وإسحق لك أعطيها ولنسلك من بعدك أعطي الأرض"»[2].

إن الوعد الذي أعطي لإبراهيم يتناقض بلا ريب مع الوعد الذي حصر فقط في يعقوب بن إسحق بن إبراهيم، لأن نصوص الوعد لإبراهيم تشير وبكل وضوح أن أرض فلسطين يشترك في أملاكها جميع أولاد إبراهيم مثل العرب أبناء إسماعيل بن إبراهيم، والأدوميين أبناء عيسو بن إسحق، والإسرائيليين أبناء يعقوب[3] .

1- صابر طعيمة:التراث الإسرائيلي في العهد القديم وموقف القران الكريم منه، ط1، دار الجيل، بيروت، لبنان، 1399هـ، 1979م، ص445.

2- سفر التكوين : 35 / 9-12.

3-صالح الرقب: ليس لليهود حق ديني في فلسطين، ص9.

المبحث الثاني: في القرآن الكريم

لقد كان القرآن الكريم ينزل على النبي صلى الله عليه وسلم في كثير من الأحيان يرد مزاعم أهل الكتاب وخاصة اليهود منهم بحكم المجاورة والسكنى في المدينة المنورة، فجاءت أحكام القرآن وقصصه وعقائده مصححة ومقومة للتوراة والكتب الأخرى باعتباره الكتاب الخاتم الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه.

عرضنا في المبحث الأول الوجهة التوراتية وفي هذا المبحث نعرض الرؤية القرآنية للوعود التوراتية، فالمقارنة ستكون بطريقة نقدية وتمحيصية للوعود التوراتية، لأن القرآن الكريم لا يهتم بالتفاصيل والجزئيات كما هو الحال في أسفار التوراة، فالمقارنة عن طريق المقابلة تكون مستحيلة في كثير من الأحيان لذلك سنركز هنا على الخطوط العريضة لنقارن من خلالها.

المطلب الأول: ميثاق الله تعالى مع نوح عليه السلام

يمكن أن نناقش ادّعاءات ومزاعم التوراة من خلال القرآن الكريم في عدة نقاط نبين فيها الفرق بين الميثاق الذي أخذه الله من نوح عليه السلام كما جاء في القرآن والميثاق المذكور في أسفار التوراة.

فنوح كما أوردنا سابقا في المبحث التوراتي كان مقدمة لتصنيف البشر إلى سادة وعبيد، فالطوفان ولعن كنعان هما تمهيد للوعد والعهد الذي انتقل عبر مراحل ليصل إلى يعقوب ومنه إلى بني إسرائيل، فهل هذا ينطبق على ما جاء في القرآن الكريم أم أنه مخالف له جذريا هذا ما سنوضحه في النقاط التالية التي سنبين فيها مهمة نوح عليه السلام وحقيقة العهد الميثاق، كما سنتحقق من قصة اللعن التي تؤصل للعنصرية وموقف القرآن في الجملة من خلال سيرة نوح عليه السلام:

1-مهمة نوح عليه السلام وحقيقة العهد الميثاق:

نسب اليهود للأنبياء عليهم السلام وعلى رأسهم نوح (ما يتورع عنه الحشاشون والرعاع، وهم بذلك يقصدون جرح أعدائهم وأن يسقطوا أنسابهم، وفي سبيل ذلك لا حرج على اليهود أن يسيئوا إلى نبي كريم وأن يعتمدوا في ذلك على وحي سماوي معصوم لا يجرؤ على تكذيبه أحد)[1].

يخبرنا القرآن الكريم أن الله اصطفى نوحا عليه السلام على العالمين وميزه بالنبوة والرسالة و الدعوة إلى التوحيد الخالص لله سبحانه وتعالى يقول تعالى : ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصۡطَفَىٰٓ ءَادَمَ وَنُوحٗا وَءَالَ إِبۡرَٰهِيمَ وَءَالَ عِمۡرَٰنَ عَلَى ٱلۡعَٰلَمِينَ ۝٣٣ ذُرِّيَّةَۢ بَعۡضُهَا مِنۢ بَعۡضٖۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ۝٣٤ ﴾[2]، وقال سبحانه وتعالى على لسان نوح

1-محمد الغزالي: قذائف الحق، ط1، دار القلم، دمشق،سوريا، 1411هـ،1991م،ص28.

2-سورة آل عمران: 34.

وهو يدعو قومه إلى التوحيد الخالص:﴿ يَٰقَوۡمِ ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنۡ إِلَٰهٍ غَيۡرُهُۥٓ إِنِّيٓ أَخَافُ عَلَيۡكُمۡ عَذَابَ يَوۡمٍ عَظِيمٖ ﴾.[1]

ونجد في القرآن الكريم جدلا يدور بين نوح وقومه حول العودة لعبادة الله الواحد وترك الأصنام وهذه مهمة نوح بالدرجة الأولى، وظل جداله معهم دون أن يعرف ما سيحكم الله في أمرهم، ولما زاد تعنتهم قالوا له لقد جادلتنا فأكثرت جدالنا وهذا يعني تماما إصرارهم على ما هم فيه، عند ذلك حدّث نوح ربه أن قومي عصوني ولم أترك معهم أسلوبا إلا واستخدمته، وهنا طبعا مهمة النبي أي نبي في إصلاح قومه.[2]

ولقد أخذ الله سبحانه وتعالى على نوح العهد والميثاق في إقامة دين الله وإبلاغ رسالته، كما أخذ الله هذا الميثاق والعهد من الرسل أولى العزم الخمسة[3]، يقول تعالى:﴿ وَإِذۡ أَخَذۡنَا مِنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ مِيثَٰقَهُمۡ وَمِنكَ وَمِن نُّوحٖ وَإِبۡرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَى ٱبۡنِ مَرۡيَمَۖ وَأَخَذۡنَا مِنۡهُم مِّيثَٰقًا غَلِيظٗا ﴾[4]، وقال تعالى: ﴿ شَرَعَ لَكُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا وَصَّىٰ بِهِۦ نُوحٗا وَٱلَّذِيٓ أَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡكَ وَمَا وَصَّيۡنَا بِهِۦٓ إِبۡرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَىٰٓۖ أَنۡ أَقِيمُواْ ٱلدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُواْ فِيهِ ﴾[5].

ووفّى نوح عليه السلام بالميثاق والعهد الذي قطعه مع الله، (وبذل نوح عليه السلام الجهد كل الجهد بغية أن يؤمن قومه بربهم، وأن يكفوا عن عبادة الأصنام، ويطول الزمن، ونوح يغاديهم بالنصح ويراوحهم بالعظة سرا وعلانية، ومع ذلك كله، فالذين أجابوا الدعوة، إنما كانوا قلة نادرة، فيشتكى نوح إلى ربه عجزه وقلة حيلته، وما يلاقيه على أيدي السفهاء من قومه من عنت وهوان)[6]، يقول تعالى على لسان نوح:

﴿ قَالَ رَبِّ إِنِّي دَعَوۡتُ قَوۡمِي لَيۡلٗا وَنَهَارٗا ۝٥ فَلَمۡ يَزِدۡهُمۡ دُعَآءِيٓ إِلَّا فِرَارٗا ۝٦ وَإِنِّي كُلَّمَا دَعَوۡتُهُمۡ لِتَغۡفِرَ لَهُمۡ جَعَلُوٓاْ أَصَٰبِعَهُمۡ فِيٓ ءَاذَانِهِمۡ وَٱسۡتَغۡشَوۡاْ ثِيَابَهُمۡ وَأَصَرُّواْ وَٱسۡتَكۡبَرُواْ ٱسۡتِكۡبَارٗا ۝٧ ثُمَّ إِنِّي دَعَوۡتُهُمۡ جِهَارٗا ۝٨ ثُمَّ إِنِّيٓ أَعۡلَنتُ لَهُمۡ وَأَسۡرَرۡتُ لَهُمۡ إِسۡرَارٗا ۝٩ فَقُلۡتُ ٱسۡتَغۡفِرُواْ رَبَّكُمۡ إِنَّهُۥ كَانَ غَفَّارٗا ۝١٠ ﴾[7].

1- سورة الأعراف: 59.

2- حسن الباش: التوراة والقرآن، ص 103.

3- ابن كثير : تفسير القرآن العظيم ، ج3، ص193.

4- سورة الأحزاب: 7.

5- سورة الشورى: 13.

6- محمد بيومي مهران: دراسات تاريخية من القرآن الكريم، ط 2، دار النهضة العربية، بيروت، لبنان، 1408 هـ، 1988 م، ج 4، ص 75.

7- سورة نوح : 5 – 10.

فنوح القرآن هو غير نوح التوراة، فنوح التوراة كان بداية لنزعة عنصرية وبداية تأريخ لجنس سامي وشعب مختار، استهدف كتبة التوراة من إيراد قصة نوح تصنيف البشرية إلى سادة وعبيد والتمهيد للوعد الذي ملأوا به صفحات التوراة، أما نوح القرآن فهو إمام معصوم ذكره الله في قرآنه ليقتدي به المؤمنون في الصبر على الأذى في سبيل الدعوة، وللعظة والاعتبار بأخبار الأمم الحائدة عن الطريق القويم.

2-موقف القرآن من العنصرية:

لم يميّز نوح عليه السلام في دعوته بين أبناء قومه، فكانت دعوته عليه السلام عامة لم تفرق بين أحد من سادة وعبيد وأغنياء وفقراء، فكان عليه السلام لا يرى نفسه إلا أنه بشر رسول من عند الله يتبع ما يوحى إليه من ربه.

لكن قوم نوح الذين جحدوا دعوته طلبوا منه أن يطرد المؤمنين الذين اتبعوا رسالة السماء بحجة أنهم فقراء وضعفاء وفي ذلك يخبرنا القرآن الكريم عن قول قوم نوح عليه السلام: ﴿ قَالُوٓاْ أَنُؤۡمِنُ لَكَ وَٱتَّبَعَكَ ٱلۡأَرۡذَلُونَ ﴿١١١﴾ ﴾[1]، وقال الله عنهم في موضع آخر: ﴿ فَقَالَ ٱلۡمَلَأُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِن قَوۡمِهِۦ مَا نَرَىٰكَ إِلَّا بَشَرًا مِّثۡلَنَا وَمَا نَرَىٰكَ ٱتَّبَعَكَ إِلَّا ٱلَّذِينَ هُمۡ أَرَاذِلُنَا بَادِيَ ٱلرَّأۡيِ وَمَا نَرَىٰ لَكُمۡ عَلَيۡنَا مِن فَضۡلِۭ بَلۡ نَظُنُّكُمۡ كَٰذِبِينَ ﴿٢٧﴾ ﴾[2].

فرد عليهم نوح عليه السلام مبينا لهم حقيقة ما يدعوا إليه وهو أن دعوته لا تميز جنسا عن جنس، ولا تميز بين غني وفقير، ولا بين سادة وعبيد فهو رسول رب العالمين وليس رب اليهود لوحدهم، وهذا الذي لم تذكره أسفار التوراة: ﴿ وَمَآ أَنَا۠ بِطَارِدِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْۚ إِنَّهُم مُّلَٰقُواْ رَبِّهِمۡ وَلَٰكِنِّيٓ أَرَىٰكُمۡ قَوۡمًا تَجۡهَلُونَ ﴿٢٩﴾ وَيَٰقَوۡمِ مَن يَنصُرُنِي مِنَ ٱللَّهِ إِن طَرَدتُّهُمۡۚ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿٣٠﴾ وَلَآ أَقُولُ لَكُمۡ عِندِي خَزَآئِنُ ٱللَّهِ وَلَآ أَعۡلَمُ ٱلۡغَيۡبَ وَلَآ أَقُولُ إِنِّي مَلَكٞ وَلَآ أَقُولُ لِلَّذِينَ تَزۡدَرِيٓ أَعۡيُنُكُمۡ لَن يُؤۡتِيَهُمُ ٱللَّهُ خَيۡرًاۖ ٱللَّهُ أَعۡلَمُ بِمَا فِيٓ أَنفُسِهِمۡ إِنِّيٓ إِذٗا لَّمِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٣١﴾ ﴾[3].

عندما يئس نوح عليه لسلام من دعوة قومه دعا عليهم بالهلاك وكان عليه السلام له ابن كافر لم يؤمن بما جاء به فغرق، وكذلك امرأة نوح كانت من الخائنين للدعوة فهلكت مع الهالكين، لأنه لا اعتبار للجنس والنسب وإنما العبرة بالعمل الصالح والتقوى، قال تعالى: ﴿ وَأُوحِيَ إِلَىٰ نُوحٍ أَنَّهُۥ لَن يُؤۡمِنَ مِن قَوۡمِكَ إِلَّا

1- سورة الشعراء: 111.

2- سورة هود : 27.

3- هود: 29 -31.

مَن قَدْ ءَامَنَ فَلَا تَبْتَئِسْ بِمَا كَانُواْ يَفْعَلُونَ ﴿٣٦﴾ وَٱصْنَعِ ٱلْفُلْكَ بِأَعْيُنِنَا وَوَحْيِنَا وَلَا تُخَٰطِبْنِى فِى ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓاْ ۚ إِنَّهُم مُّغْرَقُونَ ﴿٣٧﴾ وَيَصْنَعُ ٱلْفُلْكَ وَكُلَّمَا مَرَّ عَلَيْهِ مَلَأٌ مِّن قَوْمِهِۦ سَخِرُواْ مِنْهُ ۚ قَالَ إِن تَسْخَرُواْ مِنَّا فَإِنَّا نَسْخَرُ مِنكُمْ كَمَا تَسْخَرُونَ ﴿٣٨﴾ فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ مَن يَأْتِيهِ عَذَابٌ يُخْزِيهِ وَيَحِلُّ عَلَيْهِ عَذَابٌ مُّقِيمٌ ﴿٣٩﴾ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَ أَمْرُنَا وَفَارَ ٱلتَّنُّورُ قُلْنَا ٱحْمِلْ فِيهَا مِن كُلٍّ زَوْجَيْنِ ٱثْنَيْنِ وَأَهْلَكَ إِلَّا مَن سَبَقَ عَلَيْهِ ٱلْقَوْلُ وَمَنْ ءَامَنَ ۚ وَمَآ ءَامَنَ مَعَهُۥٓ إِلَّا قَلِيلٌ ﴿٤٠﴾ ۞ وَقَالَ ٱرْكَبُواْ فِيهَا بِسْمِ ٱللَّهِ مَجْر۪ىٰهَا وَمُرْسَىٰهَآ ۚ إِنَّ رَبِّى لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٤١﴾ وَهِىَ تَجْرِى بِهِمْ فِى مَوْجٍ كَٱلْجِبَالِ وَنَادَىٰ نُوحٌ ٱبْنَهُۥ وَكَانَ فِى مَعْزِلٍ يَٰبُنَىَّ ٱرْكَب مَّعَنَا وَلَا تَكُن مَّعَ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٤٢﴾ قَالَ سَـَٔاوِىٓ إِلَىٰ جَبَلٍ يَعْصِمُنِى مِنَ ٱلْمَآءِ ۚ قَالَ لَا عَاصِمَ ٱلْيَوْمَ مِنْ أَمْرِ ٱللَّهِ إِلَّا مَن رَّحِمَ ۚ وَحَالَ بَيْنَهُمَا ٱلْمَوْجُ فَكَانَ مِنَ ٱلْمُغْرَقِينَ ﴿٤٣﴾ ﴾[1].

تطهرت الأرض بالطوفان من رجس قوم نوح الكفرة الذين ظل يدعوهم لمدة ألف سنة إلا خمسين عاما، واستوت السفينة على جبل الجودي، وهناك تذكر نوح ابنه، وكان عليه حزينا ، تفجرت عاطفة الأبوة وخشي على ولده وفلذة كبده من أن يكون مع الكافرين، فدعا الله أن ينجيه ولم يكن نوح يعلم أن ابنه كافر وإلا تبرأ منه كما تبرأ إبراهيم عليه السلام من أبيه، لأن رابطة العقيدة هي فوق كل رابطة مهما كانت تلك الروابط قوية[2]، يقول تعالى مصورا لنا هذا الموقف:﴿ وَنَادَىٰ نُوحٌ رَّبَّهُۥ فَقَالَ رَبِّ إِنَّ ٱبْنِى مِنْ أَهْلِى وَإِنَّ وَعْدَكَ ٱلْحَقُّ وَأَنتَ أَحْكَمُ ٱلْحَٰكِمِينَ ﴿٤٥﴾ قَالَ يَٰنُوحُ إِنَّهُۥ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ ۖ إِنَّهُۥ عَمَلٌ غَيْرُ صَٰلِحٍ ۖ فَلَا تَسْـَٔلْنِ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ ۖ إِنِّىٓ أَعِظُكَ أَن تَكُونَ مِنَ ٱلْجَٰهِلِينَ ﴿٤٦﴾ قَالَ رَبِّ إِنِّىٓ أَعُوذُ بِكَ أَنْ أَسْـَٔلَكَ مَا لَيْسَ لِى بِهِۦ عِلْمٌ ۖ وَإِلَّا تَغْفِرْ لِى وَتَرْحَمْنِىٓ أَكُن مِّنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴿٤٧﴾ قِيلَ يَٰنُوحُ ٱهْبِطْ بِسَلَٰمٍ مِّنَّا وَبَرَكَٰتٍ عَلَيْكَ وَعَلَىٰٓ أُمَمٍ مِّمَّن مَّعَكَ ۚ وَأُمَمٌ سَنُمَتِّعُهُمْ ثُمَّ يَمَسُّهُم مِّنَّا عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٤٨﴾ تِلْكَ مِنْ أَنۢبَآءِ ٱلْغَيْبِ نُوحِيهَآ إِلَيْكَ ۖ مَا كُنتَ تَعْلَمُهَآ أَنتَ وَلَا قَوْمُكَ مِن قَبْلِ هَٰذَا ۖ فَٱصْبِرْ ۖ إِنَّ ٱلْعَٰقِبَةَ لِلْمُتَّقِينَ ﴿٤٩﴾ ﴾[3].

التوراة فيها لعن نوح لحفيده كنعان، لكن القرآن الكريم يخبرنا عن نوح أنه الأب الرحيم والداعية الصبور الذي مكث ما يقارب الألف عام وهو يدعو قومه للإسلام، فلم يلعن عليه السلام ابنه الكافر الجاحد بل أشفق عليه واستشفع له ربه، فكيف يعقل أن يلعن حفيده كنعان الذي نشأ مسلما موحدا، فالله سبحانه

1- سورة هود: 36 – 43.

2- محمد علي البار: الله جل جلاله.. ، ص 64.

3- سورة هود: 45 – 49.

وتعالى بارك المؤمنين الذين ركبوا السفينة مع نوح ووفى بعهده ووعده لهم، ونجاهم من الغرق وكانت لهم عاقبة التقوى، فنوح وصفه القرآن بالمحسن والمؤمن المجاب الدعوة، وليس سكيرا لعانا.

إن صورة الأنبياء في القرآن الكريم تختلف جذريا عن الصورة المشوهة التي نجدها في أسفار العهد القديم، والتي ألحقت بهم عليهم السلام أمور منافية لمقام النبوة المعصومة، وللمهمة النبيلة التي أنيطت بهم، ونوح عليه السلام واحد من الأنبياء الذين نالهم التشويه والتحريف لسيرته، وهذا ردّ على محرفي التوراة التي لا يعترف بها القرآن ويعتبرها من انتحال اليهود ومما كتبت أيديهم:

﴿ وَلَقَدْ نَادَىٰنَا نُوحٌ فَلَنِعْمَ ٱلْمُجِيبُونَ ﴿٧٥﴾ وَنَجَّيْنَـٰهُ وَأَهْلَهُۥ مِنَ ٱلْكَرْبِ ٱلْعَظِيمِ ﴿٧٦﴾ وَجَعَلْنَا ذُرِّيَّتَهُۥ هُمُ ٱلْبَاقِينَ ﴿٧٧﴾ وَتَرَكْنَا عَلَيْهِ فِى ٱلْءَاخِرِينَ ﴿٧٨﴾ سَلَـٰمٌ عَلَىٰ نُوحٍ فِى ٱلْعَـٰلَمِينَ ﴿٧٩﴾ إِنَّا كَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٨٠﴾ إِنَّهُۥ مِنْ عِبَادِنَا ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٨١﴾ ثُمَّ أَغْرَقْنَا ٱلْءَاخَرِينَ ﴿٨٢﴾ ﴾.[1]

يقول الزمخشري:(أي فوالله لنعم المجيبون نحن والجمع دليل العظمة والكبرياء، والمعنى إنا أجبناه أحسن الإجابة وأوصلها إلى مراده وبغيته من نصرته على أعدائه والانتقام منهم بأبلغ ما يكون، "هم الباقين" هم الذين بقوا وحدهم وقد فني غيرهم، فقد روي أنه مات كل من كان في السفينة غير ولده، أو هم الذين بقوا متناسلين إلى يوم القيامة، قال قتادة: الناس كلهم من ذرية نوح، وكان لنوح عليه السلام ثلاثة أولاد: سام وحام ويافث، فسام أبو العرب وفارس والروم، وحام أبو السودان من المشرق إلى المغرب، ويافث أبو الترك ويأجوج ومأجوج)[2].

والظاهر أن الطوفان كان عقوبة لقوم نوح وحدهم، وأنه ليس غرقا استوعب سكان القارات الخمس، فما ذنب هؤلاء المساكين ونوح رسالته محلية لا عالمية، اللهم إلا إذا كان المعمور يومئذ من هذا الكوكب ديار نوح وحسب[3].

فالبشرية كلها تجمعها قرابة الدم وكلها لآدم وآدم من تراب، وسواء صحت هذه الأنساب لسام وحام ويافث أم لم تصح فهي لا تعني في ميزان القرآن شيء، ومن بطّأ به عمله لم يسرع به نسبه، مهما كان هذا النسب حاميا أو ساميا أو يافثيا فلا فرق بين هؤلاء جميعا إلاّ بالتقوى ومقدار قربهم من الله تعالى، فالملعون في القرآن هم العصاة الكفرة لا غير.

(فالقرآن يفسر تاريخ الأفراد والجماعات والأمم والشعوب تفسيرا إسلاميا ويقوم الأشخاص تقويما إيمانيا، فكل شخص مسلم فالقرآن يثني عليه مهما كان أصله أو جنسه أو لونه أو أرضه أو لغته، وكل أمة

1-سورة الصافات: 76 – 82.

2-جار الله الزمخشري: الكشاف، ج3، ص343.

3-محمد الغزالي : قذائف الحق، ص24.

مسلمة فالقرآن يمدحها مهما كان أصلها أو لونها أو موطنها، فتاريخ المؤمنين تاريخ محمود في القرآن الكريم، وهو مشرق خير مبارك، وتاريخ العصاة والظالمين والكافرين تاريخ مرفوض في القرآن، وهو مظلم فاسد شرير)[1].

والذي نستخلصه مما سبق أن الميثاق في القرآن هو ميثاق الإيمان والإسلام والاستسلام لله تعالى وليس ميثاق الاصطفاء لفئة من الناس ولعن لفئة أخرى من غير مبرر أو سبب.

المطلب الثاني: عهد الله لإبراهيم عليه السلام بالإمامة.

إبراهيم عليه السلام له مكانة كبيرة في القرآن الكريم فهو خليل الرحمن وأبو الأنبياء عليهم السلام، ولذلك جاء ذكره في القرآن في غالب الأحيان ردا على ادعاءات اليهود ونفيا لمزاعمهم، فاليهود نسبوا أنفسهم لإبراهيم ونسبوا لإبراهيم عهودا ووعودا أعطاها له الله، وذلك لتحقيق أهداف سياسية مستغلين في ذلك هذه النسبة، ولذلك سنعرض في هذا المطلب بعض الردود القرآنية على اليهود وما يتعلق بإبراهيم في عدة نقاط:

1-الباعث لإبراهيم على الهجرة:

أمر الله سبحانه وتعالى إبراهيم عليه السلام بالهجرة إلى ربه، فخرج عليه السلام مهاجرا من وطنه وقومه إلى أرض الشام- بيت المقدس- ولم يكن معه في هجرته إلا زوجته سارة وابن أخيه لوط بن هاران[2]، قال تعالى: ﴿وَنَجَّيْنَٰهُ وَلُوطًا إِلَى ٱلْأَرْضِ ٱلَّتِى بَٰرَكْنَا فِيهَا لِلْعَٰلَمِينَ ﴿٧١﴾ وَوَهَبْنَا لَهُۥٓ إِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ نَافِلَةً ۖ وَكُلًّا جَعَلْنَا صَٰلِحِينَ ﴿٧٢﴾ وَجَعَلْنَٰهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا وَأَوْحَيْنَآ إِلَيْهِمْ فِعْلَ ٱلْخَيْرَٰتِ وَإِقَامَ ٱلصَّلَوٰةِ وَإِيتَآءَ ٱلزَّكَوٰةِ ۖ وَكَانُوا۟ لَنَا عَٰبِدِينَ ﴿٧٣﴾﴾.[3]

فهجرة إبراهيم عليه السلام من العراق إلى الشام الغرض منها هي فراره عليه السلام ومن معه بدينه والأمان على عبادة ربه، فنجّاه الله تعالى إلى الأرض التي باركها بكثرة ما بعث فيها من الأنبياء الذين انتشرت شرائعهم في أقاصي المعمورة فهي أس الخيرات الدينية والدنيوية لكثرة خصبها وأشجارها وثمارها وأنهارها[4]، قال تعالى:﴿ فَـَٔامَنَ لَهُۥ لُوطٌ ۘ وَقَالَ إِنِّى مُهَاجِرٌ إِلَىٰ رَبِّىٓ ۖ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٢٦﴾ وَوَهَبْنَا لَهُۥٓ

1-صلاح عبد الفتاح الخالدي: حقائق قرآنية حول القضية الفلسطينية، ط2، منشورات فلسطين المسلمة، لندن،1416هـ، 1995م، ص80.

2- محمد علي البار:الله جل جلاله والأنبياء، ص93.

3-سورة الأنبياء: 71- 73.

4-أحمد مصطفى المراغي: تفسير المراغي،ج17، ص52.

إِسۡحَٰقَ وَيَعۡقُوبَ وَجَعَلۡنَا فِي ذُرِّيَّتِهِ ٱلنُّبُوَّةَ وَٱلۡكِتَٰبَ وَءَاتَيۡنَٰهُ أَجۡرَهُۥ فِي ٱلدُّنۡيَا ۖ وَإِنَّهُۥ فِي ٱلۡأٓخِرَةِ لَمِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿٢٧﴾﴾.[1]

إن الله اختار الأرض المقدسة وباركها لتكون قدس أنبيائه وإشراقة رسالاته إلى العالمين وهي أرض الميعاد، التي وعد الله بها الصالحين من عباده، وآثر بها إبراهيم وذريته من بعده كما آثرهم بالبركة والرسالة حتى تكون الأرض المقدسة طهورا ومن عليها مطّهرين، وينقضي هذا الإيثار بشيوع الرسالة بين العالمين من كانوا من ذرية إبراهيم أو من غير ذريته، فالأرض قد باركها الله للعالمين جميعا، لا لإبراهيم ولا لذريته وحدهم ولكنها الأرض المقدسة عند كل من آمن برسالات السماء [2].

فهجرة إبراهيم عليه السلام لم تكن في يوم من الأيام من أجل قطعة أرض أو رقعة جغرافية أو لأي غرض دنيوي أو سياسي، وإنما هي هجرة دينية الهدف منها عبادة الله وإقامة شرعه الحنيف.

2-نظرة القرآن للوعود التوراتية:

كان الباعث على هجرة إبراهيم عليه السلام في التوراة هو العهد والوعد الذي يعد المحور الأساس الذي تدور عليه أسفار العهد القديم، والقرآن الكريم لا ينفي أن الله أعطى وعدا لإبراهيم عليه السلام، لأن الله وعد المؤمنين منذ الأزل بالنصر والتمكين والاستخلاف في الأرض، وإبراهيم عليه السلام من المؤمنين الصالحين.

وبالتالي فليس هناك مانع على الإطلاق من كون أن الله منحه الأرض المباركة ولذريته الصالحة من بعده، فالأحق بالمقدسات هم أصحاب العقائد الصحيحة وعلى رأسهم الأنبياء، ولا يمكن أن يرث شرار الناس وظلمتهم المقدسات التي طهرها الله وباركها وشرفها، فالوارث لهذه المقدسات يجب أن يكون مباركا ومقدسا ومطهرا، وإلا فلا معني لهذا التخصيص للأرض المقدسة.

وعلى ضوء هذا المعنى فلو حصل إبراهيم عليه السلام على وعد بالأرض كلها لكان مستحقا لهذا الوعد، وما الوعد إلاّ نتيجة حتمية لمقدمات إيمانية متمثلة في الوفاء بعهد الله وقد تحققت في إبراهيم عليه السلام.

يقول عمر الأشقر:(وقد صدّق القرآن الكريم التوراة في أن الله تبارك وتعالى أعطى الأرض المباركة إبراهيم وإسحق ويعقوب وموسى وهارون وبني إسرائيل إذا آمنوا واستقاموا على أمر الله والنصوص المثبتة لهذا كثيرة،

1 -سورة العنكبوت: 26-27.

2-حسين فوزي النجار: أرض الميعاد، ص112.

كما صدق القرآن التوراة بأن الله سيبارك مباركي إبراهيم ويلعن لاعنيه...،وهذا كله صحيح، والذي ليس بصحيح هو اختصاص إسحق بهذا الميراث، فهو شامل لذرية إسحق وذرية إسماعيل)[1].

وقد قلنا سابقا أن الأرض يرثها الصالحون وإبراهيم عليه السلام من الصالحين وهو عليه السلام من أحق الناس بهذه الوراثة، قال تعالى:﴿ وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي ٱلزَّبُورِ مِنۢ بَعْدِ ٱلذِّكْرِ أَنَّ ٱلْأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِيَ ٱلصَّٰلِحُونَ ﴿١٠٥﴾ ﴾[2].

(فالزبور هو الكتب المنزلة على الرسل -ومنها صحف إبراهيم-والمراد بالذكر هنا هو اللوح المحفوظ الذي كتب الله فيه كل شيء قبل أن يخلق الخلق، والصالح من استنار قلبه بالإيمان والعقائد الحقة وزكت نفسه بالفضيلة والأخلاق الحميدة، واستقامت أعماله وطابت أقواله، فكان مصدر خير ونفع لنفسه للناس استقام نظامه في عقده وخلقه وقوله وعمله فعظمت وزكت منفعته، وهذا هو معنى الصالحين حيثما جاء)[3].

3- الظالمون ليس لهم وعد ولا عهد ولا يستحقون الإمامة:

يذكر لنا الله تعالى ابتلاءه لنبيه إبراهيم الخليل عليه السلام بما كلفه من أوامر ونواهٍ فقام بها خير قيام فأنعم الله عليه بأكبر إنعام وهو أنه جعله إماما للناس، ومن أبرز تلك التكاليف وقوفه في وجه الوثنيين وتحطيم أوثانهم، والهجرة من ديارهم والهم بذبح ولده إسماعيل قربانا لله، وبناء البيت وحجه، والدعوة إليه مما استحق به الإمامة للناس كافة، وكذلك الختان وخصال الفطرة والصدق والصبر وبالجملة فقد نهض إبراهيم بكل ما عهد إليه ربه بالقيام به من الشرائع، فلذا أكرمه بالإمامة وشرفه بها[4].

التوراة جلعت الختان شرط في الحصول على العهد وهو التكليف الوحيد الذي يجب على إبراهيم أن يقوم به كعلامة على الوعد، أما القرآن فلم يذكر لنا الختان على الإطلاق، وإنما ذكره المفسرون للدلالة على أن إبراهيم كان أول من اختتن ليصبح إبراهيم عليه السلام قدوة في التمسك بالفطرة السليمة والعادات المستحسنة ولذلك قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:(الفطرة خمس أو خمس من الفطرة: الختان والاستحداد ونتف الإبط وتقليم الأظفار وقص الشارب)[5].

1-عمر الأشقر: قصص التوراة، ص76-106.

2-سورة الأنبياء :105.

3-ابن باديس : مجالس التذكير، ج1، ص392-394.

4- أبو بكر جابر الجزائري: أيسر التفاسير لكلام العلي الكبير، ط 4، مكتبة العلوم والحكم، المدينة المنورة، السعودية، 1423 هـ، 2002 م، ج 1، ص109 – 110.

5-رواه البخاري:كتاب اللباس، باب قص الشارب، رقم (5889).

بعدما توّج إبراهيم عليه السلام بالإمامة وعده الله بأن يورّث ذريته الصالحة دون الظالمة الإمامة التي شرفه بها، فجعل الله الوراثة لهذه الوعد مشروط بفرائض وواجبات وتبعات يجب على من طمع في نيل حظه من هذه الإمامة أن يحققها، فهي ليست ميراثا ماديا عنصريا يتوارثه الأبناء عن الآباء.

قال الله تعالى: ﴿ وَإِذِ ٱبْتَلَىٰٓ إِبْرَٰهِـۧمَ رَبُّهُۥ بِكَلِمَـٰتٍ فَأَتَمَّهُنَّ ۖ قَالَ إِنِّى جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا ۖ قَالَ وَمِن ذُرِّيَّتِى ۖ قَالَ لَا يَنَالُ عَهْدِى ٱلظَّـٰلِمِينَ ﴿١٢٤﴾ ﴾.[1]

(وسمي الوعد هنا عهدا لأن الله لا يخلف وعده كما أخبر بذلك **فصار وعده عهدا**، ولا يحسن أن يفسر الوعد هنا بغير هذا وإن كان في مواقع من القرآن أريد به غيره، ومن دقة القرآن هنا اختيار هذا اللفظ "العهد" لأن اليهود زعموا أن الله عهد لإبراهيم عهدا بأنه مع ذريته، ففي ذكر لفظ العهد تعريض بهم وإن كان صريح الكلام لتوبيخ المشركين)[2].

يقول سيد قطب:(أي إماما يتخذونه قدوة، ويقودهم إلى الله، ويقدّمهم إلى الخير ويكونون له تبع، وتكون له فيهم قيادة، إن الإمامة لمن يستحقونها بالعمل والشعور، و بالصّلاح والإيمان، وليست وراثة أصلاب وأنساب، فالقربى ليست وشيجة لحم ودم، وإنما هي وشيجة دين وعقيدة، ودعوى القرابة والدم والجنس والقوم ما هي إلا دعوى الجاهلية، التي تصطدم اصطداما أساسيا بالتصور الإيماني الصحيح، فالعدل هو أساس استحقاق هذه الإمامة بكل معانيها والتي تشمل إمامة الرسالة وإمامة الخلافة وإمامة الصلاة، والظلم سواء كان ظلم النفس بالشرك أو ظلم الناس بالبغي يسقط الحق في الإمامة ويمنعها)[3].

فالإمامة هي كمال الاستسلام لله تعالى والتوكل عليه وحفظ شرائعه والتجرد من الهوى وحظوظ النفس وقد توفرت في إبراهيم عليه السلام الذي كان أمة وحد في الدعوة والإخلاص لله والصبر والأخلاق والعبادة، ويقابل الإمامة الظلم والشرك والكفر وتضييع حدود الله واتّباع الشيطان.

فذّرية إبراهيم على يفهم من الآية منها الصالحة وهي التي يمكن لها في الأرض ولها تتحقق الإمامة والاستخلاف، ومنها الظالمة التي ليس لها عهد عند الله فلا شرف ولا عهد بل خسارة وبوار.

يقول ابن عاشور:(المراد بالإمام هنا الرسول، فإن الرسالة أكمل أنواع الإمامة، والرسول أكمل أفراد هذا النوع، وإنما عدل عن التعبير ب "رسولا" إلى إماما ليكون ذلك دالا على أن رسالته تنفع الأمة المرسل إليها بطريق التبليغ، وتنفع غيرهم من الأمم بطريق الاقتداء، فإن إبراهيم عليه السلام رحل إلى آفاق كثيرة فتنقل من بلاد الكلدان إلى العراق وإلى الشام والحجاز ومصر، وكان في جميع منازله محل التبجيل ولا شك أن

1- سورة البقرة: 124.

2-ابن عاشور :التحرير والتنوير، ج1،ص706.

3- سيد قطب: في ظلال القرآن،مج1،ج1، ص152-153.

التبجيل يبعث على الاقتداء، فيكون إبراهيم بقوله :"ومن ذريتي" قد سأل أن يكون في ذريته الإمامة بأنواعها من رسالة وملك وقدوة على حسب التهيؤ فيهم، وأقل أنواع الإمامة كون الرجل الكامل قدوة لبنيه وأهل بيته وتلاميذه)[1].

(فعهد الله إذن قاطع وواقع لكنه لا يعطى لشرار الناس وعصاتهم، بل هو وعد بالتمكين وخلافة الأرض لمن استقام على منهج الحق وشرعه وهذا ما لا ينطبق أبدا على اليهود)[2].

فالظالم-كاليهود- ليس ذا عهد عند الله تعالى وبالتالي ليس ذا حق بوعد بالأرض بما يلزم هذا الوعد من الإمامة بين الناس والحكم فيهم فلا يعطيه الله تعالى الحق بالحكم ولا بالملك في الأرض ولو كان من أبناء إبراهيم عليه السلام نفسه، وهو إن أخذها فليس بوعد الله، وإنما بظلم من البشر وغفلة من أهل العدل والخير والبر والرشد[3].

فالعهد في القرآن الذي حصل عليه إبراهيم يختلف من حيث المضمون عن العهد التوراتي.

فعهد التوراة هو عهد بمعنى الوعد بالأرض وتكثير للنسل ليس فيه أي التزام من الطرف الثاني الحاصل عليه إلا الختان الذي قام به إبراهيم وأهل بيته كعلامة على العهد الأبدي.

وأما العهد في القرآن فهو عهد إيمان وتقوى وإسلام وإصلاح وتحقيق العدل في الأرض ليكون بعد ذلك التمكين والاستخلاف في الأرض والسعادة في الدار الآخرة، فالوعد نتيجة وليس منحة.

4-إسكان إسماعيل وهاجر بمكة وبناء البيت الحرام:

رزق إبراهيم عليه السلام في الأرض المباركة بإسماعيل وذلك بعدما تزوج من هاجر جارية سارة التي وهبتها له، وبعد ذلك يأتي أمر الله لإبراهيم بأن يأخذ هاجر وابنه إسماعيل إلى واد غير ذي زرع إلى جوار بيت الله الحرام بمكة المكرمة التي لم تكن عامرة آنذاك بالسكان، وليس لأن سارة غارت من إسماعيل فأرادت التخلص منه بالاستبعاد لكي لا يرث الوعد مع إسحق كما ذكرت أسفار اليهود.

قال الله تعالى على لسان إبراهيم عليه السلام وهو يدعو ربه أن يحفظ هاجر وابنها، وأن يجعل هذا المكان مباركا خيّرا تقام فيه شعائر الله وتجبى إليه ثمرات كل شيء:﴿رَّبَّنَآ إِنِّيٓ أَسۡكَنتُ مِن ذُرِّيَّتِي بِوَادٍ غَيۡرِ ذِي زَرۡعٍ عِندَ بَيۡتِكَ ٱلۡمُحَرَّمِ رَبَّنَا لِيُقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ فَٱجۡعَلۡ أَفۡـِٔدَةٗ مِّنَ ٱلنَّاسِ تَهۡوِيٓ إِلَيۡهِمۡ وَٱرۡزُقۡهُم مِّنَ ٱلثَّمَرَٰتِ لَعَلَّهُمۡ يَشۡكُرُونَ ٣٧﴾.[4]

1-ابن عاشور:التحرير والتنوير، ج1، ص704.

2- أحمد سالم رحال: فلسطين بين حقيقة اليهود وأكذوبة التلمود، ط1 ، دار البداية، عمّان، الأردن، 1429هـ، 2008م، ص118.

3-جواد بحر:انتماء فلسطين، ص422.

4- سورة إبراهيم: 37.

إن ما ذكرته التوراة من أن سارة أمرت إبراهيم بطرد هاجر وابنها من المنزل الذي تسكنه، وأن إبراهيم وضع خبزا وقربة ماء وإسماعيل-وعمره في الثالثة عشر؟ !- على عاتق هاجر وأخرجهما من المنزل صورة قاسية لا تليق بنبي الله إبراهيم ولا بسارة، إن الأحاديث الصحيحة في أصح الكتب عندنا بعد القرآن الكريم تدلنا على أن الله هو الذي أمر إبراهيم بالذهاب بهاجر وإسماعيل ووضعهما عند بيته المحرم، وأراد من وراء ذلك سبحانه أن يبني الابن وأباه بعد ذلك البيت الحرام، وأراد أن تنشأ من إسماعيل أمة عظيمة عريقة كبيرة وكثيرة في ذلك المكان[1].

روى البخاري في الصحيح عن ابن عباس:(أول من اتخذ النساء المنطق من قبل أم إسماعيل،اتخذت منطقا لتعفّي أثرها على سارة ثم جاء بها إبراهيم وبابنها إسماعيل وهي ترضعه حتى وضعهما عند البيت عند دوحة فوق زمزم في أعلى المسجد وليس بمكة يومئذ أحد وليس بها ماء، فوضعهما هنالك ووضع عندهما جرابا فيه تمر وسقاء فيه ماء، ثم قفّى إبراهيم منطلقا فتبعته أم إسماعيل فقالت:" يا إبراهيم أين تذهب وتتركنا بهذا الوادي الذي ليس فيه إنس ولاشيء"، فقالت له ذلك مرارا وجعل لا يلتفت إليها، فقالت له:"آلله أمرك بهذا"؟، قال:" نعم"، قالت:" إذن لا يضيعنا"، فانطلق إبراهيم حتى كان عند الثنية حيث لا يرونه، استقبل بوجهه البيت ثم دعا بهذه الكلمات ورفع يديه فقال: (ربنا إني أسكنت) حتى بلغ (يشكرون))[2].

وقد تكفل الله بالغلام وأمه فأرسل جبريل عليه السلام فأخرج لهما الماء وطمأنهما على وجودهما في ذلك المكان، وهيّأ لهما من رغب في مساكنتهما في ذلك المكان، ثم بنى بعد ذلك إبراهيم وإسماعيل البيت الحرام[3]، وهذا الذي لم تذكره التوراة التي فيها انقطاع لسيرة إسماعيل، ومن المؤكد أنه متعمد، فلم تذكر بناء البيت الحرام ولا حال إسماعيل في مكة، وهذا كله لتجريده عليه السلام من كل ما قد يرفع من شأنه لأنه أب العرب الذين يحسدهم اليهود ويكنون لهم العداء، لأن النبي الخاتم من نسل إسماعيل وليس من اليهود.

يقول الله تعالى:﴿ وَإِذْ جَعَلْنَا ٱلْبَيْتَ مَثَابَةً لِّلنَّاسِ وَأَمْنًا وَٱتَّخِذُواْ مِن مَّقَامِ إِبْرَٰهِـۧمَ مُصَلًّى ۖ وَعَهِدْنَآ إِلَىٰٓ إِبْرَٰهِـۧمَ وَإِسْمَـٰعِيلَ أَن طَهِّرَا بَيْتِىَ لِلطَّآئِفِينَ وَٱلْعَـٰكِفِينَ وَٱلرُّكَّعِ ٱلسُّجُودِ ﴿١٢٥﴾ وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِـۧمُ رَبِّ ٱجْعَلْ هَـٰذَا بَلَدًا ءَامِنًا وَٱرْزُقْ أَهْلَهُۥ مِنَ ٱلثَّمَرَٰتِ مَنْ ءَامَنَ مِنْهُم بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْـَٔاخِرِ ۖ قَالَ وَمَن كَفَرَ فَأُمَتِّعُهُۥ قَلِيلًا ثُمَّ أَضْطَرُّهُۥٓ إِلَىٰ عَذَابِ ٱلنَّارِ ۖ وَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ ﴿١٢٦﴾ وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَٰهِـۧمُ ٱلْقَوَاعِدَ مِنَ ٱلْبَيْتِ وَإِسْمَـٰعِيلُ رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّآ ۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿١٢٧﴾ رَبَّنَا وَٱجْعَلْنَا مُسْلِمَيْنِ لَكَ وَمِن ذُرِّيَّتِنَآ أُمَّةً مُّسْلِمَةً لَّكَ وَأَرِنَا

1- عمر سليمان الأشقر: قصص التوراة، ص91.

2-رواه البخاري محمد بن إسماعيل:صحيح البخاري،كتاب أحاديث الأنبياء،رقم(3364).

3- عمر سليمان الأشقر: قصص التوراة، ص92.

مَنَاسِكَنَا وَتُبْ عَلَيْنَآ ۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١٢٨﴾ رَبَّنَا وَٱبْعَثْ فِيهِمْ رَسُولاً مِّنْهُمْ يَتْلُواْ عَلَيْهِمْ ءَايَـٰتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَـٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَيُزَكِّيهِمْ ۚ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿١٢٩﴾ ﴾[1].

5-حقيقة انتماء إبراهيم والجدير بوراثته:

يقّرر القرآن الكريم أن دين إبراهيم عليه السلام يقوم على الإسلام والإحسان لله، وهو دين بلغ فيه إبراهيم في علاقته بالله أن جعله الله سبحانه وتعالى في مقام التكريم له والنعمة عليه خليلا له، وساق ذلك في عبارة للناس دونها كل أساليب التكريم والنعم التي أسبغها الله على عباده[2]، يقول الله تعالى:﴿ وَمَنْ أَحْسَنُ دِينًا مِّمَّنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُۥ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ وَٱتَّبَعَ مِلَّةَ إِبْرَٰهِيمَ حَنِيفًا ۗ وَٱتَّخَذَ ٱللَّهُ إِبْرَٰهِيمَ خَلِيلاً ﴿١٢٥﴾ ﴾[3].

ثم يتابع القرآن الكريم هذا القول الفصل في حقيقة انتماء إبراهيم إلى دين الله الحق، وأنه بهذا الّدين الحّق لا تصبح دعوته ميراثا عنصريا يتداوله الأبناء عن الآباء حتى لو تجاوزوا في ذلك كل ضوابط الإيمان التي تحدد صلة العبد بربه، في منهج يقوم على الحق والخير والأمن بل يقرر القرآن أن الجدير بالميراث وبدعوى علاقته بإبراهيم هم الذين ءامنوا بما كان عليه إبراهيم من دين الحق[4].

ونجد في القرآن نهيا لليهود والنصارى عن إقحام إبراهيم عليه السلام فيما يخصهم بغير دليل واضح، لأن زمن إبراهيم عليه السلام كما هو معلوم سابق للتوراة بنحو أربعة قرون وزيادة والإنجيل نزل بعد التوراة بنحو عشرة قرون[5].

يقول تعالى في شأن ذلك مبينا الأحقية في وراثة عهد إبراهيم عليه السلام: ﴿يَـٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَـٰبِ لِمَ تُحَآجُّونَ فِىٓ إِبْرَٰهِيمَ وَمَآ أُنزِلَتِ ٱلتَّوْرَىٰةُ وَٱلْإِنجِيلُ إِلَّا مِنۢ بَعْدِهِۦٓ ۚ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿٦٥﴾ هَـٰٓأَنتُمْ هَـٰٓؤُلَآءِ حَـٰجَجْتُمْ فِيمَا لَكُم بِهِۦ عِلْمٌ فَلِمَ تُحَآجُّونَ فِيمَا لَيْسَ لَكُم بِهِۦ عِلْمٌ ۚ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿٦٦﴾ مَا كَانَ إِبْرَٰهِيمُ يَهُودِيًّا وَلَا نَصْرَانِيًّا وَلَـٰكِن كَانَ حَنِيفًا مُّسْلِمًا وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿٦٧﴾ إِنَّ أَوْلَى ٱلنَّاسِ بِإِبْرَٰهِيمَ لَلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُ وَهَـٰذَا ٱلنَّبِىُّ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ۗ وَٱللَّهُ وَلِىُّ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٦٨﴾ ﴾[6].

1- سورة البقرة: 125 – 129.

2- صابر طعيمة: التراث الإسرائيلي في العهد القديم وموقف القرآن الكريم منه، ط1، دار الجيل، ببيروت، لبنان، 1999 هـ، 1979 م، ص 697.

3- سورة النساء: الآية 125.

4- صابر طعيمة: المرجع السابق، ص 697.

5-محمد أبو زيد :نظرة قرآنية..، ص30.

6- سورة آل عمران: 65-68.

إذا فوراثة الوعد والعهد هي لمن آمن بالله واتبع ملة إبراهيم وهي الإسلام، وأن العهد لا يناله الظالمون ولو كانوا من ذريّة إبراهيم فالنسب ليس له اعتبار، وإنما المعيار الحقيقي في التفاضل هو الإيمان والتقوى والعمل الصالح، فالقرآن يعتبر إبراهيم مسلما بل هو إمام المسلمين والموحدين، والمسلمون هم أحق الناس بوراثته والانتساب إليه عليه السلام.

(وعلى هذا فحتى لو افترضنا صحة الوعد الذي أعطي لسيدنا إبراهيم في العهد القديم وذلك لعدم علمنا بما لم ينله التحريف من التوراة، فهو بلا شك وعد لنسل إبراهيم الذين اتبعوه على الحق وهم أمة محمد صلى الله علي وسلم، فالعلاقة التي تربط بني الإنسان ببعضهم هي علاقة إيمانية ولم تكن في يوم من الأيام علاقة نسب أو علاقة دم وقرابة كما يدعي اليهود، فلا أخوة إلا أخوة الإسلام ولا نسب إلا الانتساب لهذا الدين ولا خلافة لهذه الأرض إلا لعباد الله الصالحين)[1].

لم يتحقق الوعد التوراتي لإبراهيم ولا لإسحق ولا ليعقوب ولا للأسباط الذين هاجروا إلى مصر تاركين أرض كنعان لأصحابها السكان الأصليين وتغرب بنو إسرائيل في مصر قرون عديدة.

فإذا كان الوعد لا يتحقق لهؤلاء الكرام القائمون بفرائض الرب ووصاياه، الملتزمون بأوامره وشرائعه، فإن العقل والمنطق يجزمان بأنه لن يتحقق في عصر لئام الناس وشرارهم الملعونين في القرآن والتوراة والإنجيل، وفي هذا دلالة واضحة على أن الوعد المفترى أسطورة خيالية أضيفت إلى الكتاب المقدس لإعطاء صبغة دينية لهدف سياسي استيطاني استعماري[2].

المطلب الثالث: وراثة إسماعيل وإسحق عليهما السلام للإمامة واستحقاقهما للوعد

إسماعيل وإسحق عيهما السلام هما نبيان كريمان وصف الأول في القرآن بالحليم ووصف الثاني بالعليم، ولا يخبرنا الله عن أي فرق بينهما في استحقاق النبوة والميراث والوعد الذي ناله إبراهيم عليه السلام، بل كانا عليهما السلام قدوة وأئمة خير وصلاح للبشرية جمعاء، وعلى كل حال لا نجد في القرآن صراعا على ميراث إبراهيم.

صوّرت أسفار التوراة حياة الأنبياء كأنها صراع على من سينال النبوءة والبشارة بالوعد لعبت فيه النساء دورا بارزا"سارة ورفقة"، وجعلت الذبيح هو إسحق بدل إسماعيل، والنبوة والبركة التي هي منحة إلهية واصطفاء رباني خارجة عن إرادة البشر يمكن على حسبما جاء في سفر التكوين أن يُتحصل عليها بالإقصاء والاستبعاد والسرقة والوراثة العنصرية ولذلك رد القرآن على افتراءات اليهود في عدة نقاط:

1-أحمد سالم رحال: فلسطين بين حقيقة اليهود وأكذوبة التلمود، ص120-121.

2-صالح الرقب: ليس لليهود حق.. ، ص6.

1-الذبيح في القرآن هو إسماعيل:

أمر الله سبحانه وتعالى إبراهيم عليه السلام بذبح ابنه وفلذة كبده إسماعيل وذلك بعدما شب وبلغ السعي مع أبيه، فامتثل الأب والابن عليهما السلام لهذا الأمر ولم يعارضاه، قال تعالى:﴿ رَبِّ هَبۡ لِي مِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ۝١٠٠ فَبَشَّرۡنَٰهُ بِغُلَٰمٍ حَلِيمٖ ۝١٠١ فَلَمَّا بَلَغَ مَعَهُ ٱلسَّعۡيَ قَالَ يَٰبُنَيَّ إِنِّيٓ أَرَىٰ فِي ٱلۡمَنَامِ أَنِّيٓ أَذۡبَحُكَ فَٱنظُرۡ مَاذَا تَرَىٰۚ قَالَ يَٰٓأَبَتِ ٱفۡعَلۡ مَا تُؤۡمَرُۖ سَتَجِدُنِيٓ إِن شَآءَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلصَّٰبِرِينَ ۝١٠٢ فَلَمَّآ أَسۡلَمَا وَتَلَّهُۥ لِلۡجَبِينِ ۝١٠٣ وَنَٰدَيۡنَٰهُ أَن يَٰٓإِبۡرَٰهِيمُ ۝١٠٤ قَدۡ صَدَّقۡتَ ٱلرُّءۡيَآۚ إِنَّا كَذَٰلِكَ نَجۡزِي ٱلۡمُحۡسِنِينَ ۝١٠٥ إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ ٱلۡبَلَٰٓؤُاْ ٱلۡمُبِينُ ۝١٠٦ وَفَدَيۡنَٰهُ بِذِبۡحٍ عَظِيمٖ ۝١٠٧﴾[1].

محاولة ذبح إبراهيم عليه السلام لابنه هو ذبح لكل حب سوى حب الله، فإذا تحقق ذلك أنزل الله فداء من السماء ليفتدي به إسماعيل، حقا إن هذا لهو البلاء المبين، لا يستطيع أن يصمد له إلا إبراهيم وإسماعيل عليهما السلام، ليبقيا للبشرية نبراسا ونورا تهتدي به في ظلمات الحياة، ولنرى كيف يكون الحب الإلهي الخالص الذي يذبح من أجله حب الولد، ومن شيخ فانٍ أتاه هذا الولد وقد بلغ من العمر أرذله، وأي ولد؟، غلام عليم حليم تتراءى مخايل النبوة والنبل في جميع تصرفاته وسكناته وحركاته، حقّا إن هذا لهو البلاء المبين الذي ينبغي أن تنحني له البشرية رأسها إجلالا وإكبارا ومحبة وتوقيرا[2].

ولقد أثنى الله سبحانه على إسماعيل في القرآن الكريم ووصفه بأنه صادق الوعد، من الصالحين، الصابرين، الأخيار، وأنه قد عهد الله إليه مع أبيه أن يرفعا قواعد بيته الحرام، وأن يطهراه للطائفين والعاكفين والركع السجود، وهذه من أرفع المهام أكرمها دون ريب، وأن إسماعيل قد ضرب أروع مثل التضحية والفداء استجابة لأمر الله تعالى في قصة الذبح المشار إليها[3].

فذكر الله إيحاءه إليه:﴿وَأَوۡحَيۡنَآ إِلَىٰٓ إِبۡرَٰهِيمَ وَإِسۡمَٰعِيلَ وَإِسۡحَٰقَ وَيَعۡقُوبَ ﴾[4]، وذكر أنه ضمن ممن فضلهم على العالمين فقال:﴿ وَإِسۡمَٰعِيلَ وَٱلۡيَسَعَ وَيُونُسَ وَلُوطٗاۚ وَكُلّٗا فَضَّلۡنَا عَلَى ٱلۡعَٰلَمِينَ ۝٨٦﴾ [5]، وأثنى عليه ربه بأنه كان صادق الوعد وكان رسولا نبيا وكان يأمر أهله بالصلاة والزكاة وكان عند ربه مرضيا:﴿ وَٱذۡكُرۡ فِي ٱلۡكِتَٰبِ إِسۡمَٰعِيلَۚ إِنَّهُۥ كَانَ صَادِقَ ٱلۡوَعۡدِ وَكَانَ رَسُولٗا نَّبِيّٗا ۝٥٤ وَكَانَ يَأۡمُرُ أَهۡلَهُۥ بِٱلصَّلَوٰةِ

1- سورة الصافات: 100 – 107.

2- محمد علي البار: الله والأنبياء، ص 108.

3- محمد عبد الله الشرقاوي: في مقارنة الأديان بحوث ودراسات، ط 2، دار الجيل بيروت، لبنان، 1410هـ، 1990 م، ص 206.

4- سورة النساء :163.

5- سورة الأنعام: 86.

وَٱلزَّكَوٰةِ وَكَانَ عِندَ رَبِّهِۦ مَرۡضِيّٗا ﴿٥٥﴾﴾[1]، وأثنى عليه أنه كان من الصابرين:﴿ وَإِسۡمَٰعِيلَ وَإِدۡرِيسَ وَذَا ٱلۡكِفۡلِۖ كُلّٞ مِّنَ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿٨٥﴾﴾ [2]، وأنه كان من الأخيار:﴿ وَٱذۡكُرۡ إِسۡمَٰعِيلَ وَٱلۡيَسَعَ وَذَا ٱلۡكِفۡلِۖ وَكُلّٞ مِّنَ ٱلۡأَخۡيَارِ ﴿٤٨﴾﴾[3] [4].

لهذه الأوصاف التي ذكرها القرآن في حق إسماعيل وغيرها من الخصال الحميدة التي أثنى الله بها عليه مما جعله من المطففين الأخيار، والتي استحق بها الإمامة والتفضيل، وبهذا يكون القرآن الكريم نفى أن يكون إسماعيل مستبعدا من الميراث أو أقل شأنا من إسحق عليهما السلام.

وبشر إبراهيم عليه السلام بإسحق بعد حادثة الفداء، قال تعالى: ﴿ وَفَدَيۡنَٰهُ بِذِبۡحٍ عَظِيمٖ ﴿١٠٧﴾ وَتَرَكۡنَا عَلَيۡهِ فِي ٱلۡأٓخِرِينَ ﴿١٠٨﴾ سَلَٰمٌ عَلَىٰٓ إِبۡرَٰهِيمَ ﴿١٠٩﴾ كَذَٰلِكَ نَجۡزِي ٱلۡمُحۡسِنِينَ ﴿١١٠﴾ إِنَّهُۥ مِنۡ عِبَادِنَا ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ﴿١١١﴾ وَبَشَّرۡنَٰهُ بِإِسۡحَٰقَ نَبِيّٗا مِّنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿١١٢﴾ وَبَٰرَكۡنَا عَلَيۡهِ وَعَلَىٰٓ إِسۡحَٰقَۚ وَمِن ذُرِّيَّتِهِمَا مُحۡسِنٞ وَظَالِمٞ لِّنَفۡسِهِۦ مُبِينٞ ﴿١١٣﴾﴾[5].

وقال تعالى:﴿ وَلَقَدۡ جَآءَتۡ رُسُلُنَآ إِبۡرَٰهِيمَ بِٱلۡبُشۡرَىٰ قَالُواْ سَلَٰمٗاۖ قَالَ سَلَٰمٞۖ فَمَا لَبِثَ أَن جَآءَ بِعِجۡلٍ حَنِيذٖ ﴿٦٩﴾ فَلَمَّا رَءَآ أَيۡدِيَهُمۡ لَا تَصِلُ إِلَيۡهِ نَكِرَهُمۡ وَأَوۡجَسَ مِنۡهُمۡ خِيفَةٗۚ قَالُواْ لَا تَخَفۡ إِنَّآ أُرۡسِلۡنَآ إِلَىٰ قَوۡمِ لُوطٖ ﴿٧٠﴾ وَٱمۡرَأَتُهُۥ قَآئِمَةٞ فَضَحِكَتۡ فَبَشَّرۡنَٰهَا بِإِسۡحَٰقَ وَمِن وَرَآءِ إِسۡحَٰقَ يَعۡقُوبَ ﴿٧١﴾ قَالَتۡ يَٰوَيۡلَتَىٰٓ ءَأَلِدُ وَأَنَا۠ عَجُوزٞ وَهَٰذَا بَعۡلِي شَيۡخًاۖ إِنَّ هَٰذَا لَشَيۡءٌ عَجِيبٞ ﴿٧٢﴾ قَالُوٓاْ أَتَعۡجَبِينَ مِنۡ أَمۡرِ ٱللَّهِۖ رَحۡمَتُ ٱللَّهِ وَبَرَكَٰتُهُۥ عَلَيۡكُمۡ أَهۡلَ ٱلۡبَيۡتِۚ إِنَّهُۥ حَمِيدٞ مَّجِيدٞ ﴿٧٣﴾﴾[6]، ومما يدل على أن إسماعيل هو المأمور بذبحه هو أن البشارة بإسحاق كانت مقرونة بالوعد بأن يجعله الله نبيا، فكيف يأمر الله إبراهيم بذبح إسحاق علية السلام وقد وعده بأن يجعله نبيا من الصالحين، وكذلك البشارة بيعقوب الذي هو من صلب إسحق فكيف يولد له وهو يأمر بذبحه مراهقا[7].

1- سورة مريم: 54- 55.

2- سورة الأنبياء : 85.

3- سورة ص: 48.

4-عمر سليمان الأشقر: قصص التوراة، ص 104.

5- سورة الصافات: 107- 113.

6- سورة هود: 69- 73.

7- محمد بيومي مهران: دراسات تاريخية من القرآن الكريم، ط 2، دار النهضة العربية، بيروت، لبنان، 1408هـ، 1988م، ج1، ص172.

2-نهي القرآن عن التفرقة بين الأنبياء والرسل

من العقائد الراسخة التي أكدها القرآن الكريم النهي عن التفرقة بين الأنبياء والرسل، لأنهم عليهم السلام يقتبسون من مشكاة واحدة، وفي هذه النقطة يختلف القرآن الكريم مع ما ذكرته أسفار التوراة من استئثار إسحق بالعهد والوعد دون إسماعيل، فلا فرق بين النبيين في القرآن الكريم من حيث الميراث والنسبة لإبراهيم عليه السلام.

جعل الله سبحانه وتعالى في ذريته إبراهيم عليه السلام النبوة والكتاب، وكل الأنبياء بعده عليه الصلاة والسلام من ذريته، فظهر من إسحق الأنبياء العديدون، وظهر من إسماعيل عليه السلام محمد صلى الله عليه وآله وسلم، خاتم الأنبياء والمرسلين وحبيب رب العالمين، وأفضل الخلق أجمعين[1].

قال تعالى:﴿وَوَهَبْنَا لَهُۥٓ إِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ ۚ كُلًّا هَدَيْنَا ۚ وَنُوحًا هَدَيْنَا مِن قَبْلُ ۖ وَمِن ذُرِّيَّتِهِۦ دَاوُۥدَ وَسُلَيْمَٰنَ وَأَيُّوبَ وَيُوسُفَ وَمُوسَىٰ وَهَٰرُونَ ۚ وَكَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٨٤﴾ وَزَكَرِيَّا وَيَحْيَىٰ وَعِيسَىٰ وَإِلْيَاسَ ۖ كُلٌّ مِّنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿٨٥﴾ وَإِسْمَٰعِيلَ وَٱلْيَسَعَ وَيُونُسَ وَلُوطًا ۚ وَكُلًّا فَضَّلْنَا عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٨٦﴾ وَمِنْ ءَابَآئِهِمْ وَذُرِّيَّٰتِهِمْ وَإِخْوَٰنِهِمْ ۖ وَٱجْتَبَيْنَٰهُمْ وَهَدَيْنَٰهُمْ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٨٧﴾﴾[2].

فالإرث هو إرث البركة والرسالة والاختيار للأرض المقدسة وليس للشعب، ووجه الاختيار للشعب أي شعب أنه اختص بالرسالة كما اختص بنو إسرائيل برسالة موسى والأنبياء ولن تحل في الشعب المختار بركة العهد وبركة الرسالة ما لم يؤمن، ولن تكون له الأرض الموعودة ما لم تحل فيه بركة العهد وبركة الرسالة معا فإذا تجاوزتاه فقد حرم منها إلى الأبد، فإذا اختص بنو إسرائيل بالرسالة فقد حلت فيهم بركة العهد وكانت لهم الأرض الموعودة ما داموا قائمين على العهد، فإذا تجاوزوه وتجاوزتهم الرسالة لم يكن لهم في الأرض الموعودة نصيب ولن تكون لهم عودة إليها[3].

والله يأمرنا في القرآن الكريم ألا نفرق بين أحد من رسله فكلهم عليهم السلام دينهم واحد وهو الإسلام، قال تعالى عن يعقوب وهو يوصي أبناءه عند الاحتضار بالتمسك بالإسلام والتوحيد والحنيفية التي كان عليها إبراهيم وإسماعيل وإسحق: ﴿أَمْ كُنتُمْ شُهَدَآءَ إِذْ حَضَرَ يَعْقُوبَ ٱلْمَوْتُ إِذْ قَالَ لِبَنِيهِ مَا

1- محمد علي البار:الله والأنبياء، ص97.

2- سورة الأنعام: 84 – 87.

3-حسين فوزي النجار: أرض الميعاد، ص111.

تَعۡبُدُونَ مِنۢ بَعۡدِى قَالُواْ نَعۡبُدُ إِلَـٰهَكَ وَإِلَـٰهَ ءَابَآئِكَ إِبۡرَٰهِـۧمَ وَإِسۡمَـٰعِيلَ وَإِسۡحَـٰقَ إِلَـٰهً۬ا وَٲحِدً۬ا وَنَحۡنُ لَهُ ۥ مُسۡلِمُونَ ﴿١٣٣﴾ ﴾ [1].

وتقديم إسماعيل على إسحق في الآية الكريمة لا يعنى التفضيل، ولا تقديم إسحق على إسماعيل يعنى التفضيل، إنما أشارت الآية هنا إلى إن إبراهيم أنجب إسماعيل أولا، فإسماعيل وعى عقيدة أبيه التوحيدية قبل إسحق بسبب فارق السن[2].

وبهذا يكون إبراهيم عليه السلام قد ورّث ابنيه إسماعيل وإسحق عليهما السلام عقيدة التوحيد الصافية واصطفى الله سبحانه وتعالى إبراهيم وابنيه وجعل فيهم النبوة والكتاب، وكانوا من الذين نالهم عهد الله ووعده، فالقرآن بهذه الحقائق يرد على اليهود الذين حرفوا التوراة.

إذن فعلى ضوء هذا المعنى القرآني ففلسطين وأرض الشام هي أرض ذات جذور إسلامية، (أي على معنى الإسلام المتعارف عليه عند الأنبياء عليهم السلام والقائم على توحيد الله تعالى وعبادته وحده لا شريك له، ولأجل هذه المعاني التوحيدية، كانت العبادة لله وحده وكانت المساجد لله وحده وكانت الكعبة لله وحده وكان الأقصى لله وحده)[3].

وإذا أردنا أن ننظر إلى القضية من ناحية النسب فإن إبراهيم عليه السلام كما يقول علماء الأنساب ما هو إلاّ عربي وأبناؤه تبع له بطبيعة الحال، وكل الدلائل والقرائن تؤيد هذا القول، يقول العقاد:

(فإذا فتشنا عن نسبة لإبراهيم لم نجد أصدق من النسبة العربية، كما كانت العربية يومئذ بين جزيرة العرب وبقاع الهلال الخصيب)[4].

1- سورة البقرة: 133.

2- حسن الباش: التوراة والقرآن، ص 187.

3-جواد بحر: انتماء فلسطين، ص78.

4-محمود عباس العقاد: الموسوعة، ج1، ص514.

المطلب الرابع: اصطفاء الله ليعقوب عليه السلام

تعمد كتبة العهد القديم على ترسيخ فكرة جوهرية وهي أن الله اختار يعقوب وخصه بالعهد والوعد وذلك ليصبح أبناؤه من بعده الورثة الوحيدين له عليه السلام، لكن القرآن الكريم لا يقر اليهود على هذا بل رد مزاعم التوراة تجاه هذا النبي الكريم في عدة حقائق:

الحقيقة الأولى: يعقوب نبي مسلم وإمام صالح وليس يهوديا

ذكر يعقوب عليه السلام في القرآن الكريم لما بشر إبراهيم عليه السلام بإسحق عليه السلام، قال تعالى:﴿ وَٱمۡرَأَتُهُۥ قَآئِمَةٞ فَضَحِكَتۡ فَبَشَّرۡنَٰهَا بِإِسۡحَٰقَ وَمِن وَرَآءِ إِسۡحَٰقَ يَعۡقُوبَ ۝٧١ ﴾[1].

وقد أثنى الله تعالى على هذا النبي وعلى أبيه، ووصفه أنه من العابدين الصالحين وأنه كان يهدى بأمر الله، وأنه قد أوحى إليه فعل الخيرات وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة وأنه كان من المهتدين[2].

قال تعالى:﴿ فَلَمَّا ٱعۡتَزَلَهُمۡ وَمَا يَعۡبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَهَبۡنَا لَهُۥٓ إِسۡحَٰقَ وَيَعۡقُوبَۖ وَكُلّٗا جَعَلۡنَا نَبِيّٗا ۝٤٩ وَوَهَبۡنَا لَهُم مِّن رَّحۡمَتِنَا وَجَعَلۡنَا لَهُمۡ لِسَانَ صِدۡقٍ عَلِيّٗا ۝٥٠﴾[3]، وقال:﴿وَوَهَبۡنَا لَهُۥٓ إِسۡحَٰقَ وَيَعۡقُوبَ نَافِلَةٗۖ وَكُلّٗا جَعَلۡنَا صَٰلِحِينَ ۝٧٢ وَجَعَلۡنَٰهُمۡ أَئِمَّةٗ يَهۡدُونَ بِأَمۡرِنَا وَأَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡهِمۡ فِعۡلَ ٱلۡخَيۡرَٰتِ وَإِقَامَ ٱلصَّلَوٰةِ وَإِيتَآءَ ٱلزَّكَوٰةِۖ وَكَانُواْ لَنَا عَٰبِدِينَ ۝٧٣ ﴾[4].

وورث يعقوب عليه السلام دين التوحيد الإسلام عن آبائه إبراهيم وإسماعيل وإسحق، قال تعالى:﴿وَوَصَّىٰ بِهَآ إِبۡرَٰهِـۧمُ بَنِيهِ وَيَعۡقُوبُ يَٰبَنِيَّ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصۡطَفَىٰ لَكُمُ ٱلدِّينَ فَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ ۝١٣٢ أَمۡ كُنتُمۡ شُهَدَآءَ إِذۡ حَضَرَ يَعۡقُوبَ ٱلۡمَوۡتُ إِذۡ قَالَ لِبَنِيهِ مَا تَعۡبُدُونَ مِنۢ بَعۡدِي قَالُواْ نَعۡبُدُ إِلَٰهَكَ وَإِلَٰهَ ءَابَآئِكَ إِبۡرَٰهِـۧمَ وَإِسۡمَٰعِيلَ وَإِسۡحَٰقَ إِلَٰهٗا وَٰحِدٗا وَنَحۡنُ لَهُۥ مُسۡلِمُونَ ۝١٣٣ ﴾[5].

فالتوحيد هو القضية الكبرى التي تشغل حيز تفكير يعقوب عليه السلام في ساعة الاحتضار، والإسلام هو الدين الذي ورثه لأبنائه وأكبر وصية تركها لأبنائه قبل وفاته هي أن لا يعبد أحد منهم شيئا سوى الله وحده لا شريك له، وأن يعيشوا ويموتوا على ملة إبراهيم وإسماعيل وإسحق إلها واحدا وأن يكونوا مسلمين مستسلمين لله منقادين لأوامره.

1- سورة هود: 71.

2- محمد عبد الله الشرقاوي: في مقارنة الأديان، ص211.

3- سورة مريم: 49- 50.

4- سورة الأنبياء: 72- 73.

5- سورة البقرة: 132- 133.

الحقيقة الثانية: اليهود اليوم ليس لهم علاقة بيعقوب و لا بالأسباط عليهم السلام

فيعقوب في القرآن الكريم كان على دين أبيه إسحق وجده إبراهيم عليهما السلام، وهو الإسلام، أي أنه لم يكن يهوديا ولا نصرانيا[1]، يقول الله تعالى : ﴿ وَقَالُواْ كُونُواْ هُودًا أَوْ نَصَٰرَىٰ تَهْتَدُواْۗ قُلْ بَلْ مِلَّةَ إِبْرَٰهِـۧمَ حَنِيفًاۖ وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ١٣٥ قُولُوٓاْ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْنَا وَمَآ أُنزِلَ إِلَىٰٓ إِبْرَٰهِـۧمَ وَإِسْمَٰعِيلَ وَإِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ وَٱلْأَسْبَاطِ وَمَآ أُوتِيَ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ وَمَآ أُوتِيَ ٱلنَّبِيُّونَ مِن رَّبِّهِمْ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُۥ مُسْلِمُونَ ١٣٦ ﴾[2].

وهذا هو المعنى الذي أشار إليه الحديث الشريف الذي يرويه أبو هريرة أن رسول الله صلى اله عليه وسلم قال:(أنا أولى الناس بعيسى ابن مريم في الدنيا والآخرة، والأنبياء إخوة لعلاّت أمهاتهم شتى ودينهم واحد)[3].

فأولى الناس بميراث الأنبياء من آدم إلى عيسى عليهم السلام هم أمة محمد صلى الله عليه وسلم، وليس لليهود والنصارى أ ي حقّ في أن يدّعوا أن لهم صلة بيعقوب الذي هو "إسرائيل" والذي معناه "عبد الله" وليس معناه أنه صارع الرب وقدر عليه كما هو في أساطير العهد القديم التي تسيء إلى الذات المقدسة وللأنبياء عليهم السلام.

يقول سيد قطب مبينا وحدة الدين والرسالة:(تلك الوحدة الكبرى للدين بين الرسالات جميعا وبين الرسل جميعا، هي قاعدة التصور الإسلامي وهي التي تجعل من الأمة المسلمة الأمة الوارثة لتراث العقيدة القائمة على دين الله في الأرض، الموصولة بهذا الأصل العريق، السائرة في الدرب على هدى ونور، والتي تجعل من النظام الإسلامي النظام العالمي الذي يملك الجميع الحياة في ظله دون تعصب ولا اضطهاد، والتي تجعل من المجتمع الإسلامي مجتمعا مفتوحا للناس جميعا في مودة وسلام)[4].

فيعقوب عليه السلام وظيفته هي الدعوة إلى التوحيد وليس تلقي الوعود والبركات، ولم يرث إلا عهدا واحدا وهو العهد الذي أعطاه الله سبحانه وتعالى لإبراهيم عليه السلام ولذريته الصالحة من بعده، قال

1- جمال عبد الهادي محمد مسعود و وفاء محمد رفعت جمعة: ذرية إبراهيم عليهم السلام والمسجد الأقصى، ط1، دار الوفاء، المنصورة، مصر، 1986م، ص 63.

2- سورة البقرة:135.

3-رواه البخاري: كتاب أحاديث الأنبياء، رقم(3443).

4- سيد قطب: في ظلال القرآن، مج1، ج1، ص162.

تعالى:﴿ وَإِذِ ٱبۡتَلَىٰٓ إِبۡرَٰهِـۧمَ رَبُّهُۥ بِكَلِمَٰتٖ فَأَتَمَّهُنَّۖ قَالَ إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامٗاۖ قَالَ وَمِن ذُرِّيَّتِيۖ قَالَ لَا يَنَالُ عَهۡدِي ٱلظَّٰلِمِينَ ١٢٤ ﴾ [1].

واتبع أبناء يعقوب عليه السلام ملة إبراهيم عليه السلام والتي هي الإسلام والحنيفية السمحة، فعندما كان يوسف عليه السلام في السجن صرح بهذه الحقيقة الخالدة والتي لا تنطفئ عبر الزمان فقال:﴿إِنِّي تَرَكۡتُ مِلَّةَ قَوۡمٖ لَّا يُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَهُم بِٱلۡأٓخِرَةِ هُمۡ كَٰفِرُونَ ٣٧ وَٱتَّبَعۡتُ مِلَّةَ ءَابَآءِيٓ إِبۡرَٰهِيمَ وَإِسۡحَٰقَ وَيَعۡقُوبَۚ مَا كَانَ لَنَآ أَن نُّشۡرِكَ بِٱللَّهِ مِن شَيۡءٖۚ ذَٰلِكَ مِن فَضۡلِ ٱللَّهِ عَلَيۡنَا وَعَلَى ٱلنَّاسِ وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَشۡكُرُونَ ٣٨ يَٰصَٰحِبَيِ ٱلسِّجۡنِ ءَأَرۡبَابٞ مُّتَفَرِّقُونَ خَيۡرٌ أَمِ ٱللَّهُ ٱلۡوَٰحِدُ ٱلۡقَهَّارُ ٣٩ مَا تَعۡبُدُونَ مِن دُونِهِۦٓ إِلَّآ أَسۡمَآءٗ سَمَّيۡتُمُوهَآ أَنتُمۡ وَءَابَآؤُكُم مَّآ أَنزَلَ ٱللَّهُ بِهَا مِن سُلۡطَٰنٍۚ إِنِ ٱلۡحُكۡمُ إِلَّا لِلَّهِۚ أَمَرَ أَلَّا تَعۡبُدُوٓاْ إِلَّآ إِيَّاهُۚ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلۡقَيِّمُ وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعۡلَمُونَ ٤٠ ﴾[2].

الحقيقة الثالثة: الأرض لله يملّكها لمن يشاء

فالعهد حسب المنطق القرآني هو عهد توحيد وإيمان وإسلام وليس عهد أرض وحدود، ولو كان الله وعد أنبياءه الكرام بأرض لوفى بوعده لهم، إن كتبة العهد القديم جعلوا وظيفة الأنبياء هي تلقي العهود والوعود بالأرض وتكثير النسل من الرب، وألحقوا بهم عليهم السلام ما ينافي عصمتهم فجعلوا منهم شرابا للخمور وزناة وسارقين وأصحاب دياثة، وهذا كله من أجل تحقيق مآرب سياسية، ولا نجد أي أثر للدعوة والإصلاح التي هي المهمة الأساسية التي أنيطت بهم.

إن الله سبحانه وتعالى هو صاحب الأرض وهو الملك الذي يملك كل شيء، فالملك ملكه والأرض أرضه يعطيها لمن يشاء وينزعها ممّن يشاء على حسب ما تقتضيه حكمته ومشيئته، قال تعالى:﴿قُلِ ٱللَّهُمَّ مَٰلِكَ ٱلۡمُلۡكِ تُؤۡتِي ٱلۡمُلۡكَ مَن تَشَآءُ وَتَنزِعُ ٱلۡمُلۡكَ مِمَّن تَشَآءُ وَتُعِزُّ مَن تَشَآءُ وَتُذِلُّ مَن تَشَآءُۖ بِيَدِكَ ٱلۡخَيۡرُۖ إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ ٢٦ ﴾ [3].

وقال تعالى عن الأرض كل الأرض أنه وضعها لكل الخلق ولم يختص بها فئة من الناس:﴿ وَٱلۡأَرۡضَ وَضَعَهَا لِلۡأَنَامِ ١٠ ﴾[4].

1- سورة البقرة: 124.

2- سورة يوسف: 37- 40.

3-سورة آل عمران:26.

4-سورة الرحمن: 10.

أي للخلائق جميعا المختلفة أنواعهم وأشكالهم وألوانهم وألسنتهم[1].

يقول القرضاوي:(لو فرضنا أن المراد من نسل إبراهيم أولاده من صلبه، فلماذا حرم أبناء إسماعيل بكره وولده الأول؟، ولماذا انحاز الله الحكم العدل إلى بني إسرائيل ضد بني إسماعيل؟ !، وكيف يعطي الله الحكم العدل الذي حرم الظلم على نفسه وحرمه على عباده أرضا يملكها أصحابها ملكا شرعيا مستقرا لفئة من الناس هم دخلاء على هذه الأرض غرباء عنها، وأين عدل الله وقسطه، وهو يحب المقسطين ولا يحب الظالمين؟)[2].

وإذا أخذنا بمنطق التوراة فإن الوعد لا يكون حقيقة إلا إذا كان للعرب المسلمين من أبناء إسماعيل عليه السلام وأبناء عيسو، فبهما كثّر الله نسل إبراهيم عليه السلام فصار كنجوم السماء، وكرمل البحر، وملكوا الأرض التي تمتد من المحيط إلى الخليج، وليس الشام أومن النيل إلى الفرات وحسب، وكان منهم الملوك، وتباركت بهم جميع شعوب الأرض.

ولا يمكن أن يكون الوعد في نسل يعقوب عليه السلام، لأنه بالرغم من(مضي ما يقارب أربعة آلاف سنة على هذا الوعد فإن نسل إبراهيم عليه السلام من حفيده إسرائيل عليه السلام لا يزيدون على خمسة عشر مليونا مع الأمم التي تهودت مثل بعض عرب اليمن وبعض الأحباش ويهود الخزر ومعظم يهود أوروبا، فالعهد قد استقر ونفذ في إسماعيل عليه السلام ثم تحقق واستعلن في محمد صلى الله عليه وسلم وخلفائه من بعده وأمته، ويأبى الواقع في التاريخ الماضي والحاضر ما ادّعاه الأحبار في توراتهم)[3].

والذي نستخلصه مما سبق أن المسلمين هم الأحق بالوراثة لوعد إبراهيم عليه السلام بالإمامة بكل معانيها من تمكين في الأرض وإقامة العدل فيها ونشر دعوة التوحيد ووراثة المقدسات بما فيها أرض الشام المباركة، ولا يمكن أن يكون الوعد لليهود الذين حرفوا رسالة الأنبياء وجعلوها ميراثا عنصريا حصروها في وعد بالأرض وليس عهدا مقدسا يتشرف بوراثته أصحاب العقيدة الصافية العقول السليمة والقلوب الطاهرة.

فالعهد في القرآن هو عهد إيمان ورسالة وتكاليف يقوم بها المسلمون فيكونون من الذين راعوا العهد الوارثين للوعد، وبذلك يعطيهم الله الأرض التي كتب وراثتها للصالحين، في كل زمان من إبراهيم إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها، والحق في الأرض المقدسة هو لمن راعى العهد، وكذلك كانت في كل زمان فلم يرثها إلا المسلمون الصالحون وعلى رأسهم الأنبياء الكرام.

1- ابن كثير: تفسير القرآن العظيم، مج4، ج7، ص310.

2-يوسف القرضاوي :القدس قضية كل مسلم ، ط[ ]،دار الطبع[]،ص30-31، www.al-mostafa.com .

3-عبد الوهاب طويلة: مغالطات اليهود، ص91.

الفصل الثالث

العهد

مع موسى

و يوشع بن نون

العهد مع موسى و يوشع بن نون

استبعد كتبة العهد القديم كل أبناء إبراهيم من حق الشراكة في العهود والوعود، وعملوا جاهدين في حصر كل الفضائل في نبي الله يعقوب عليه السلام، وذلك ليخلصوا في الأخير إلى أن الوعد والاصطفاء هو من نصيب اليهود لا غير.

ثم أعاد كتبة التوراة التذكير بالوعد في مرحلة موسى عليه السلام وذلك بعد نسيانه لقرون طويلة أقام فيها بنو إسرائيل في مصر، حيث تكلمت الأسفار اليهودية عن تجديد العهد بين الرب يهوه وشعبه، واختير موسى ليكون المنفذ الفعلي لمشروع الوعد.

وقد جاءت الأحداث التي سردتها الأسفار المقدسة عن هذه المرحلة منصبة كلها لخدمة غرض واحد وهو أن الله اختار بني إسرائيل ليكونوا له خاصة من بين الشعوب وأنه أعطاهم الأرض الموعودة التي حلف للآباء بأن يرثوها هم وأبناؤهم من بعدهم بمقتضى العهد والوعد، فمرحلة موسى ويوشع بن نون عليهما السلام كانت مقدمة لدخول بني إسرائيل فلسطين وإقامة المملكة بعد ذلك في مرحلة داوود وسليمان عليهما السلام، وهذه الأخيرة يمجدها اليهود ويجعلونها من أزهى الفترات التي عاشوها عبر تاريخهم الطويل لأنها أول دولة أقيمت لهم على الأرض وهي التي بني فيها الهيكل.

وقد تكلم القرآن الكريم عن هذه المرحلة-مرحلة موسى- وسرد علينا بعض الوقائع التي تشبه تلك التي تحدثت عنها التوراة خاصة تلك التي تتكلم عن خروج موسى عليه السلام ببني إسرائيل ووقوفه على تخوم الأرض المقدسة حيث أمر قومه بقتال القوم الجبارين وفتح الأرض، لكن بني إسرائيل أحجموا وأعرضوا وعصوا موسى عليه السلام، فضرب الله عليهم التيه أربعن عاما فني فيها ذلك الجيل ونشأ من خلالها جيل جديد استطاع أن يدخل فلسطين بقيادة يوشع بن نون عليه السلام.

ففي مرحلة موسى كما هو في التوراة كان تجسيدا فعليا للوعود السابقة وتحقيقا لها، فهل هذا هو الحال بالنسبة للقرآن الكريم؟.

ولذلك سنتحقق من قضية الوعد في هذه الفترة وحقيقة اختيار بني إسرائيل ومدى أهليتهم للحصول على وعود الله، كل هذا مع نقد بعض الأحداث التاريخية التي تحدثت عنها التوراة والتي تبرز لنا صدق التوراة وكذبها لأنها تساهم في إبراز صدق الوعد وعدمه.

المبحث الأول: في التوراة

المطلب الأول: العهد والوعد مع موسى

المطلب الثاني: الأمر بدخول الأرض الموعودة وإعراض بني إسرائيل

المطلب الثالث : عقاب بني إسرائيل بالتيه لعصياهم

المطلب الرابع: انتهاء مرحلة التيه ودخول الأرض الموعودة بقيادة يوشع بن نون

المبحث الثاني: في القرآن الكريم

المطلب الأول: عهد الله تعالى لموسى عليه السلام وحقيقته

المطلب الثاني: أمر الله لبني إسرائيل بفتح الأرض المقدسة وجبن بني إسرائيل

المطلب الثالث: الحرمان من دخول الأرض والعقاب بالتيه لعصياهم

المطلب الرابع: انتهاء مرحلة التيه وفتح يشوع عليه السلام للأرض المقدسة

المبحث الأول: في التوراة

شخصية موسى عليه السلام من أعظم الشخصيات التي يعظمها اليهود، فهم يعتقدون أنه لم يقم في بني إسرائيل نبي مثله، فهو المخلص الذي خلص الشعب العبراني من العبودية وعليه نزلت الأسفار الخمسة، ومن خلاله تم الحصول على أرض الميعاد بعهد من الرب.

فموسى قام بإخراج بني إسرائيل من قبضة فرعون وتوجه بهم نحو الأرض المقدسة بعد انشقاق البحر، إلا أن المنية وافته في سيناء بعد التيه، ليتسلم تلميذه يوشع بن نون زمام القيادة بعد ذلك فيتحقق الوعد على يديه بعد أن خاض حروب إبادة وتطهير على سكان كنعان -حسب رواية التوراة-.

فلولا مرحلة موسى ويوشع لما استوطن بنو إسرائيل أرض القدس ولما قامت لهم دولة أو مملكة والتي يطالب الصهاينة من خلالها اليوم بما يسمى بالحق التاريخي.

المطلب الأول:تجديد العهد والوعد مع موسى والخروج من مصر

رأينا في الفصل الثاني في المبحث الأول كيف أن الوعد التوراتي انتقل بطريقة وراثية عنصرية استعملت في سبيل الحصول عليه جميع أساليب الغش والاحتيال التي لا تخطر على بال.

كما رأينا (أن الإله إيل كان يذكر الآباء الأوائل بالوعد كلما انتقلوا وارتحلوا من مكان لآخر، وقد توقف عن التذكير بالوعد بعد أن انتقل يعقوب وأبناؤه من ضنك العيش في بلاد كنعان التي كانت تعاني كسواها من أقاليم الشرق العربي من القحط والجفاف إلى بحبوحته في مصر في ظل الجاه والعّز الذي وصل إليه يوسف بن يعقوب الذي كان يركب في المركبة التي تلي فرعون مباشرة، ولكن بعد موت النبي يوسف وبتغير صروف الزمان بدأت معاناة شعب الله المختار تزداد يوما اثر يوم)[1].

1- الوعد الأول:

يذكر سفر الخروج أن الرب نسي شعبة المختار قرون عديدة كما نسي العهد الذي قطعه على نفسه بأن يورث نسل إبراهيم من يعقوب أرض كنعان، ولما زاد اضطهاد الفراعنة للإسرائيليين صرخوا فسمع الرب صراخهم فتذكر ميثاقه:

«وحدث في تلك الأيام الكثيرة أن ملك مصر مات وتنهد بنو إسرائيل من العبودية وصرخوا، فصعد صراخهم إلى الله من أجل العبودية، فسمع الله أنينهم فتذكر الله ميثاقه مع إبراهيم وإسحق ويعقوب ونظر الله بني إسرائيل وعلم الله »[1].

1- إسماعيل ناصر الصمادي: نقد النص التوراتي، ج1، ص 238.

1- سفر الخروج : 2 / 23-25.

ولما سمع يهوه بما حل بالشعب العبري وتذكر الميثاق اختار موسى ليكون المخلص لابن الرب البكر وليخرجهم من أرض العبودية إلى أرض الوعد كنعان التي تفيض لبنا وعسلا.

(لقد ذكرت التوراة أن الوعد الإلهي قبل إعطائه لموسى عليه السلام كان ينتقل من نبي إلى نبي واحد فقط من أنبيائه مع حرمان غيره منه، ولم تبين لمن انتقل الوعد الإلهي بعد يعقوب ثم عاودت نقله لموسى عليه السلام، أي هناك سلسلة من الأنبياء أو الصالحين ما بين يعقوب وموسى عليه السلام لم يعطوا الوعد الإلهي، وإن كان الوعد شاملا لذرية يعقوب فإن موسى منهم فلماذا خص به إذا وحده دون غيره من بني إسرائيل؟)[1].

عند التأمل في أسفار العهد القديم نجد أن المهمة الأساسية التي كلّف بها موسى هي إنقاذ بني إسرائيل مما حاق بهم من العذاب على يد فرعون وجنوده ومن ثم تنفيذ وعد الرب بمنحهم أرض كنعان ميراثا لهم ولأبنائهم ولأحفادهم من بعدهم[2].

يخبرنا سفر الخروج أنه بينما كان موسى يرعى الغنم في جبل الله ناداه الرب من وسط العليقة وقال له أنه إله آبائه إبراهيم وإسحق ويعقوب فخاف موسى وغطى وجهه لخوفه من رؤية الله عيانا- وموسى هو النبي الوحيد الذي رأى يهوه وجها لوجه- وحدث يهوه موسى قائلا له:

« إني قد رأيت مذلة شعبي الذي في مصر، وسمعت صراخهم من أجل مسخريهم إني علمت أوجاعهم، فنزلت لأنقذهم من أيدي المصريين، وأصعدهم من تلك الأرض إلى أرض جيدة وواسعة، إلى أرض تفيض لبنا وعسلا إلى مكان الكنعانيين والحثيين[3] والأموريين[4] والفرزّيين[5] والحّويين[6]

1- صالح الرقب: ليس لليهود حق ديني، ص10.

2- حسن الباش: التوراة والقرآن، ج1، ص 243.

3-الحثيون:هم ذرية حث ثاني أبناء كنعان، وهم من الأمم الساكنة كنعان قبل قدوم العبرانيين(قاموس الكتاب المقدس:ص289).

4- الأموريون :من الشعوب السامية،وقد حكموا أجزاء من فلسطين وسوريا وبابل بعضا من الزمن وكان البابليون من قبل سنة 2000ق.م يسمون سوريا وفلسطين بأرض الأموريين، وكان ملوك الأسرة الأولى في بابل من القرن التاسع عشر إلى القرن السابع عشر ق.م أموريين،وكان حمورابي الذي عمل الشرائع والقوانين من أشهر ملوك هذه الأسرة(المرجع نفسه:ص 119).

5-الفرزيون:اسم كنعاني معناه أهل الريف، وهي طائفة مهمة من الكنعانيين، أحصيت مرارا مع قبائل فلسطين، وربما كانوا كالرفائيين من السكان الأصليين، ومن عنصر غير عنصر الكنعانيين،وأقدم منهم في البلاد، حيث كانوا منذ زمن إبراهيم(المرجع نفسه:ص675).

6- الحويون:اسم عبري معناه قرية أو مخيم، وهم احد أجناس كنعان قبل غزوا العبرانيين لها،سكن فريق منهم في شكيم زمن يعقوب عليه السلام، وسكن فريق منهم في جبعون وجوارها زمن يوشع بن نون، وكان لهم مقر واسع وربما كان مقرهم الرئيسي في سفح جبل لبنان،من جبل حرمون إلى مدخل حماه،وكانوا من السكان الأصليين في فلسطين مع الكنعانيين، وكانت لهم قرى يملكونها حتى في عهد داود عليه السلام(المرجع نفسه:ص329).

واليبوسيين[1]، والآن هو ذا صراخ بني إسرائيل قد أتى إلي»[2].

هذا الوعد واحد من بين أكثر من ستة وعود التي أعطاه الرب لموسى دون أن تستقر هذه الوعود على حدود ثابتة، ولذلك سنذكر بعض هذه الوعود في ثنايا العرض على حسب ما تقتضيه طبيعة الموضوع.

2-الوعد الثاني:

وبعد تجديد العهد والوعد مع موسى يعّرف الرب موسى باسمه " أهيه الذي هو أهيه "، ثم عدّله إلى "يهوه"، وطلب من موسى العودة إلى مصر لينقذ بني إسرائيل من اضطهاد المصريين لهم، ويعود بهم إلى الأرض التي كان قد وعد آباءهم الأوائل[3].

« ثم كلم الله موسى وقال له: أنا الّرب وأنا ظهرت لإبراهيم وإسحق ويعقوب بأني الإله القادر على كل شيء، وأما باسمي "يهوه" فلم أعرف عندهم، وأيضا أقمت معهم عهدي أن أعطيهم أرض كنعان أرض غربتهم التي تغربوا فيها، وأنا أيضا قد سمعت أنين بني إسرائيل الذين يستعبدهم المصريون، وتذكرت عهدي، لذلك قل لبني إسرائيل : "أنا الرب وأنا أخرجكم من تحت أثقال المصريين، وأنقذكم من عبوديتهم، وأخلصكم بذراع ممدودة وبأحكام عظيمة وأتخذكم لي شعبا وأكون لكم إلها فتعلمون أني أنا الرب إلهكم الذي يخرجكم من تحت أثقال المصريين، وأدخلكم إلى الأرض التي رفعت يدي أن أعطيها لإبراهيم وإسحق و يعقوب، وأعطيكم إياها ميراثا أنا الرب"، فكلم موسى هكذا بني إسرائيل، ولكن لم يسمعوا لموسى من صغر النفس، ومن العبودية القاسية»[4].

وهذا النص يوضح لنا عدة أمور منها:

أ-اسم الله يهوه منحه الرب لبني إسرائيل في عهد موسى ولم يكن الأنبياء السابقون يعرفونه.

ب-تذكر الله لوعده بعد أن سمع أنين بني إسرائيل.

ج-أن الأرض ستعطى لهم ميراثا.

د-عدم سماع بني إسرائيل لنبيهم لعلة نفسية عند اليهود هي الصغار والشعور بالذل[5].

وبعد الضربات العشر التي تعرض لها المصريون والتي كانت قاسية عليهم واقتناع بني إسرائيل بالوعد (التف بنو إسرائيل حول موسى وهم بمصر لا كرسول ولكن كقائد وزعيم يرجى على يده الخلاص من

1-اليبوسيون:اسم قبيلة كنعانية سكنت يبوس أو أورشليم والجبال التي حولها في أيام يشوع، ولم يستطع العبرانيون طردهم حتى في زمن داود، بل سكنوا مع بني يهوذا وبنيامين، وكان موضع يبوس منحصرا بالجبل الجنوبي الشرقي، الذي دعي بعدئذ صهيون أو مدينة داود(قاموس الكتاب المقدس: ص1053).

2- سفر الخروج : 3 / 6-9.

3- إسماعيل ناصر الصمادي: نقد النص التوراتي، ج1، ص154.

4- سفر الخروج : 6/ 2-9.

5-أحمد ربيع أحمد يوسف: أرض الميعاد بين الحقيقة والمغالطة، ص435.

الاستعباد المصريين)[1]، ويقودهم إلى الأرض الموعودة التي أعطاها الرب للآباء، وفي الشهر الثالث من خروج بني إسرائيل من أرض مصر، جاءوا إلى برية سيناء وهناك نزل إسرائيل مقابل الجبل وأما موسى فصعد إلى الله فأخبره أن بني إسرائيل إذا حفظوا عهده معه فإنه سيجعلهم خاصة له من بين جميع الشعوب ويعطيهم الأرض الموعودة التي حلف لآبائهم:

« فناداه الرب من الجبل قائلا : "هكذا تقول لبيت يعقوب وتخبر بني إسرائيل، أنتم رأيتم ما صنعت بالمصريين، وأنا حملتكم على أجنحة النسور، وجئت بكم إلّي فالآن إن سمعتم لصوتي وحفظتكم عهدي تكونون لي خاصة من بين جميع الشعوب فإن لي كل الأرض وأنتم تكونون لي مملكة كهنة وأمة مقدسة هذه الكلمة التي تكلم بها بني إسرائيل" »[2].

3-عدد الخارجين :

يذكر سفر الخروج أن عدد بني إسرائيل كان كثيرا جدا بعد أن توالدوا وأثمروا وكثروا إلى درجة أن الأرض امتلأت بهم[3]، وفي سفر العدد أن موسى لما أحصى في سيناء في السنة الثانية من الخروج عدد الخارجين إلى الحرب من بني إسرائيل الذين يقدرون على حمل السلاح فوجدهم أكثر من ستمائة ألف وهذا العدد مرفوض لدى الباحثين في التاريخ، واعتبره ابن خلدون من الكذب المرفوض علميا[4]،لأننا إذا أخذنا برواية التوراة نجد أن عددهم في مجموعهم مع النساء والأطفال والشيوخ يفوق(مليون شخص والصحيح أنهم لا يتعدون خمسة آلاف شخص وهذا يتناسب مع المدة التي أقاموها في مصر وهي أربعة قرون)[5].

جاء في سفر العدد:« كان جميع المعدودين ستمائة ألف وثلاثة آلاف وخمسمائة وخمسين»[6]، وربما كان هذا التهويل للأرقام سببه هو تثبيت الوعد الذي أعطي لإبراهيم وإسحق ويعقوب، والذي من مضامينه تكثير النسل حتى يصير كنجوم السماء وعدد حبات الرمل الذي في شاطئ البحر، فكأن كاتب الأسفار يقول لنا أن بني إسرائيل لما كثروا فقد أصبحوا مهيئين لنيل الوعد بالأرض، وبالتالي فالوعد الأبوي قد تحقق في زمن موسى ويشوع بتكثير نسل يعقوب ودخول أرض الميعاد.

1-أحمد شلبي : اليهودية، ص67.

2- سفر الخروج : 19/ 3-6.

3-انظر سفر الخروج :1/1-7.

4-يقول عبد الرحمن بن خلدون:(ويبعد أن يتشعب نسل بني إسرائيل لمثل هذا العدد في أربعة أجيال، وإن زعموا أن عدد تلك الجيوش إنما كان في زمن سليمان ومن بعده فبعيد أيضا..وَاْعتَبر ذلك في الحاضر المشاهد والقريب المعروف تجد زعمهم باطلا ونقلهم كاذبا)، المقدمة، تحقيق أحمد جاد، ط1، دار الغد الجديد، القاهرة، مصر، 1428هـ، 2007م، ص22-23.

5-عدنان حداد: الخطر اليهودي على المسيحية والإسلام قراءة توراتية في نفسية اليهود وتفكيرهم عبر العصور، ط1،دار البيروني، بيروت، لبنان، 1997م، ص60.

6-سفر العدد :1/47.

إن الذي ذكرته الأسفار عن عدد الخارجين مع موسى عليه السلام يقودنا إلى التشكيك في صدق الأسفار وما احتوته من وعود وعهود، ومنه لا يمكن التعويل عليها كمصدر لمطالبة اليهود بأي حق ديني في أرض فلسطين.

4-بنود العهد وشروطه:

وفي سيناء يخبرنا سفر الخروج أنه بعد استقبال موسى للوصايا العشر من يهوه، يتلقى وعدا آخر ولكنه في هذه المرة مشروط، وهو إن سمع بنو إسرائيل لوصايا الرب وعملوا بها أدخلهم أرضا تفيض لبنا وعسلا، ويبيد ويزيل من أمامهم الأمم التي تسكن فلسطين من الأموريين والحويين واليبوسيين ويملكهم أرضهم وديارهم وأموالهم.

«هاأنا مرسل ملاكا أمام وجهك ليحفظك في الطريق و ليجيء بك إلى المكان الذي أعددته، احترز منه واسمع لصوته ولا تتمرد عليه لأنه لا يصفح عن ذنوبكم، لأن اسمي فيه ولكن إن سمعت لصوته وفعلت كل ما أتكلم به، أعادي أعداءك وأضايق مضايقيك فإن ملاكي يسير أمامك، ويجيء بك إلى الأموريين والحثيين و الفرزيين والكنعانيين والحويين واليبوسيين، فأبيدهم،لا تسجد لآلهتهم ولا تعبدها ولا تعمل كأعمالهم، بل تبيدهم وتكسر أنصابهم وتعبدون الرب إلهكم، فيبارك خبزك وماءك وأزيل المرض من بينكم ولا تكون مسقطة و لا عاقر في أرضك وأكمل عدد أيامك وأرسل هيبتي أمامك، وأزعج جميع الشعوب الذين تأتي عليهم وأعطيك جميع أعدائك مدبرين، وأرسل أمامك الزنابير فتطرد الحويين والكنعانيين والحثيين من أمامك، لا أطردهم من أمامك في سنة واحدة لئلا تصير الأرض خربة فتكثر عليك وحوش البرية، قليلا، قليلا أطردهم من أمامك إلى أن تثمر وتملك الأرض، وأجعل تخومك من بحر سوف إلى بحر فلسطين ومن البرّية إلى النهر، فإني أدفع إلى أيديكم سكان الأرض فتطردهم من أمامك، لا تقطع معهم ولا مع آلهتهم عهدا، لا يسكنوا في أرضك لئلا يجعلوك تخطئ إلي، إذا عبدت آلهتهم فإنه يكون لك فخا»[1].

ويظهر لنا جليا من هذا النص أن أرض فلسطين لم تكن خالية من السكان، بل كانت عامرة، والتوراة تسميهم سكان الأرض، أي أصحابها وملاكها (من القبائل العربية كالكنعانيين والعموريون العمالقة الذين عاشوا في هذه البلاد قبل مجيء جماعة موسى بألفي سنة، وكانت لغة هذه القبائل هي اللغة السامية العربية الأم ثم تفرعت منها اللهجات العربية السامية من غير أن تفقد أصولها منها الكنعانية والفينيقية والموآبية والعبرانية والعمورية والآرامية والمعينية والسبئية والإثيوبية والعربية والأمهرية)[2].

1- سفر الخروج: 23/ 20- 33.

2- أحمد سوسة: العرب واليهود في التاريخ، ط2، العربي للإعلان والطباعة والنشر، دمشق، سوريا، ت[]، ص (خ).

بعد تلقي موسى للعهد من يهوه، (دعا شيوخ بني إسرائيل ووضع أمامهم الكلمات التي أوصى بها الرب، وبالفعل قبل الشعب قبوله للعهد، إذ قالوا: "كل الأقوال التي تكلم بها الرب نفعل"[1]، ولكن للأسف قبلوا العهد بالكلام لكنهم رفضوه بالعمل)[2].

وأكّد موسى هذا العهد بالدم الذي هو علامته « وأخذ موسى الدم ورش على الشعب وقال هو ذا دم العهد الذي قطعه الرب معكم على جميع هذه الأقوال»[3]، والملاحظ هنا هو أن العهود تكون غالبا مرتبطة بشيء رمزي كقوس قزح أو الختان أو الدم، وهذه العلامات والرموز لا يفهم المغزى والمعنى والغرض من ورائها.

المهم هو أن العهد في مرحلة موسى أصبح علاقة بين طرفين، أي بين يهوه واليهود، خلافا لما كان عليه سابقا، حيث كان العهد لا يعني سوى التزاما من طرف واحد هو الرب، أي بمعنى أن العهد لم يصبح وعدا، بل عهدا مشروطا بالطاعة و الالتزام بالشريعة، ولم يبق مجرد منحة إلهية دون أدنى التزام من الطرفين،(لأن العهد أو الميثاق إنما يكون شريعة بين طرفين أو اكثر يحدد لكل موقفه أمام الآخر بالنسبة لما تم توثيقه والتعاقد عليه)[4].

يقول محمد خليفة:(وفي هذه المرحلة تطورت عقيدة العهد التي كانت لها بدايات في مرحلة الآباء، فالإله في هذه المرحلة يسمى بإله العهد وتسمى جماعته التي تعبده بجماعة العهد، فقد اعتقدت الجماعة العبرية التي خرجت من مصر بعد وقوف إلهها إلى جانبها خلال أحداث الخروج أنها مختارة من عند هذا الإله لكي تكون جماعته ويلاحظ أن هذا الاختيار نعمة إلهية، وليس لصفات خاصّة في هذه الجماعة.

وفكرة العهد فكرة قديمة ربما تعود إلى تلك الرابطة القوية التي كانت تربط القبائل بآلهتها فهناك شبه عهد مقطوع بين الإله والقبيلة التي تعبده وهو عهد بإخلاص العبادة له بمفرده دون آلهة القبائل الأخرى، وهو أيضا عهد بحماية هذا الإله لقبيلته وعنايته بها وتدبيره لمؤونتها وقيادته لحروبها ضد أعدائها وهكذا النظام الديني القبلي يفترض وجود هذا العهد)[5].

1-سفر الخروج :3/24.

2- تادرس يعقوب ملطي: من تفسير وتأملات الآباء الأولين(تفسير سفر الخروج)، ط1، دار الكتب العلمية ، القاهرة، مصر، ت[]، ص122.

3- سفر الخروج :8/24.

4-عقيد أحمد عبد الوهاب: فلسطين بين الحقائق والأباطيل،ط1، مكتبة وهبة، القاهرة، مصر، 1392هـ، 1972م، ص40.

5-محمد خليفة حسن أحمد: تاريخ الديانة اليهودية، ط1، دار قباء، القاهرة، مصر، ص200.

5- عبادة بني إسرائيل للعجل ونقضهم العهد:

الجدير بالذكر هنا هو أن بني إسرائيل على الرغم من تعهدهم لموسى بأنهم سيلتزمون بالعهد الذي أخذه عليهم إلا أنهم سرعان ما نقضوه، مما يؤكد أن بني إسرائيل ليسوا أهلا لأن يكونوا أصحاب حق في الوعد، وخاصية نقضهم للعهود ملازمة لهم على مر العصور وليس في عهد موسى فقط، فما من عهد يبرمونه إلا وسرعان ما ينقضونه.

فمن النقاط الأساسية في العهد المأخوذ من بني إسرائيل هي نبذ الوثنية والشرك، وقد أخلّ اليهود بهذا البند وموسى عليه السلام معهم، (فلم يمض على توثيق العهد الكثير حتى كان الشعب قد عبدوا العجل الذهب في سيناء، كان ذلك في الفترة التي صعد فيها موسى الجبل يتلقى فيها الشريعة من ربه، وكاد غضب الرب يفتك بهم لولا تضرع موسى، حيث طلب من ربه أن يكمل وعده بدخول الأرض)[1]، وذكره بالقسم الذي حلف لإبراهيم وإسحق ويعقوب الذي فيه وعد بتكثير النسل وإعطاء الأرض الموعودة.

«"ارجع عن حمو غضبك، واندم على الشر بشعبك، واذكر إبراهيم وإسحق وإسرائيل، عبيدك الذين حلفت لهم بنفسك، وقلت لهم أكثر نسلكم كنجوم السماء وأعطي نسلكم كل هذه الأرض التي تكلمت عنها فيملكونها إلى الأبد"، فندم الرب على الشر الذي قال إنه يفعله بشعبه»[2].

والقارئ للتوراة يجد فيها الكثير من النصوص التي فيها مساس بالذات الإلهية، فهذا النص على سبيل المثال لا الحصر فيه وصف لله بالنسيان والندم والبداء والغضب بحيث يبدوا أن موسى أكثر رزانة من الرب، كما كان يعقوب أقوى من يهوه في حادثة المصارعة التي انتزع من خلالها البركة والوعد بالقوة وأصبح اسمه إسرائيل لأنه تغلب على الرب.

ومن هنا فهل الإله الذي صفته بهذا الشكل هو أهل لأن يعطي وعودا وعهودا؟، و هل الشعب الذي يتسم بصلابة الرقبة والخيانة والغدر ونقض العهود هو أهل لأن يكون صاحب وعد؟!.

يقول ابن حزم:(وكيف يجوز أن يريد الله عز وجل إهلاك قوم قد تقدم وعده لهم بأمور عجيبة ولم يتمها لهم بعد؟، وحاش لله من أن يريد إخلاف وعده فيريد الكذب، ثم أن هذا النص فيه كذب ظاهر بقوله:"فيملكونها إلى الأبد"، فما ملكوها إلا مدة ثم خرجوا عنها إلى الأبد، والله تعالى لا يكذب ولا يخلف وعده)[3].

1-ليلى سعد الدين: مثل الذين حملوا التوراة، ص76.
2-سفر الخروج :32/12-14.
3-ابن حزم : الفصل،ج1، ص327.

المطلب الثاني: الأمر بدخول الأرض الموعودة وإعراض بني إسرائيل

بعد أن صفح الرب عن بني إسرائيل لما عبدوا العجل يعطيهم وعدا جديدا ولكنه في هذه المرة متوقف على قتالهم للعماليق أي سكان الأرض الموعودة، إلا أنهم تمردوا للمرة الثانية فنقضوا العهد محتجين بعدم القدرة على القتال رغم تأكيد الرب لوعده لهم بالنصر وطرد الفلسطينيين من أمامهم:

1-الوعد الثالث:

جاء الوعد الثالث لموسى مقترنا بالأمر بالدخول إلى أرض فلسطين وأن الرب سيطرد شعوب هذه الأرض ويملكها لبني إسرائيل وفي هذا الوعد نلاحظ تقلص الموعود فهو فلسطين فقط وليس من النيل إلى الفرات:

« وقال الرب لموسى اذهب اصعد من هنا أنت والشعب الذي أصعدته من مصر إلى الأرض التي حلفت لإبراهيم وإسحق ويعقوب قائلا: لنسلك أعطيها وأنا أرسل أمامك ملاكا وأطرد الكنعانيين والأموريين والحثيين والفرزيين والحويين واليبوسيين إلى أرض تفيض لبنا وعسلا »[1].

يقول صالح الرقب:(وهذا النص الذي أعطي بموجبه موسى أرض فلسطين يتناقض تماما مع نص الوعد الذي أعطي بموجبه إبراهيم الأرض المقدسة من نهر مصر إلى نهر الفرات، ذلك أن نص الوعد لموسى جعل أرض فلسطين فقط هي التي أعطيت لإبراهيم ونسله من بعده، وفي هذا دلالة على أن هذه الوعود لا علاقة لها بالوحي الإلهي، ليس لها علاقة بالرب عز وجل، وإنما هي من عقلية تتسم بالغباء المطبق والجهل المركب)[2].

2-الوعد الرابع والتجسس على الأرض الموعودة:

يخبرنا سفر التثنية أنه لما كان بنو إسرائيل في أرض سيناء وخلال رحلة الشعب الإسرائيلي نحو أرض الكنعانيين، وبعد أن يقترب الوعد من التحقق وتقترب الطريق من نهايتها، يستذكر الرب "يهوه"، ويتلوا على قوم موسى حدود الأرض الموعودة[3]، ويأمرهم بالدخول إليها وتملكها:

« في عبر الأردن في أرض موآب، ابتدأ موسى يشرح هذه الشريعة قائلا:" الرب إلهنا كلمنا في حوريب قائلا: كفاكم قعودا في هذا الجبل، تحولوا وارتحلوا وادخلوا جبل الأموريين وكل ما يليه من العربة والجبل والسهل والجنوب وساحل البحر أرض الكنعاني ولبنان إلى النهر الكبير نهر الفرات، انظر قد جعلت

1- سفر الخروج: 33/1-3.

2-صالح الرقب: ليس لليهود حق ديني، ص10.

3- إسماعيل ناصر الصمادي: نقد النص التوراتي، ج1، ص239.

أمامكم الأرض، ادخلوا وتملكوا الأرض التي أقسم الرب لآبائكم إبراهيم وإسحق ويعقوب أن يعطيها لهم ولنسلهم من بعدهم»[1].

أمر يهوه موسى بالتجسس على الأرض التي سيمنحها بني إسرائيل فقال له:«أرسل رجالا ليتجسسوا أرض كنعان التي أنا معطيها لبني إسرائيل، رجلا واحدا لكل سبط من آبائه ترسلون، كل واحد رئيس فيهم»[2].

دعا موسى اثني عشر نقيبا من نقباء بني إسرائيل وطلب منهم أن يأتوه بخبر العدو في أرض كنعان، وكان بينهم يوشع بن نون وكالب بن يفنه، فلما رجع النقباء، و ملأوا قلوب بني إسرائيل فرقا من "العماليق[3]"[4]، قالوا لموسى:

« "قد ذهبنا إلى الأرض التي أرسلتنا إليها، وحقا إنها أرض تفيض لبنا وعسلا، وهذا ثمرها، غير أن الساكن في الأرض معتز، والمدن حصينة عظيمة جدا، وأيضا قد رأينا بني عناق هناك، العمالقة ساكنون في أرض الجنوب والحثيون واليبوسيون والاموريون ساكنون في الجبل، والكنعانيون ساكنون عند البحر وعلى جانب الأردن"، لكن كالب أنصت الشعب إلى موسى وقال:" إننا نصعد ونمتلكها لأننا قادرون عليها "، وأما الرجال الذين صعدوا معه فقالوا:" لا نقدر أن نصعد إلى الشعب لأنهم أشد منا "، فأشاعوا مذمة الأرض التي تجسّسوها في بني إسرائيل قائلين:" الأرض التي مررنا فيها لنتجسسها هي أرض تأكل سكانها وجميع الشعب الذي رأينا فيها أناس طوال القامة، وقد رأينا هناك الجبابرة، بنى عناق من الجبابرة ، فكنا في أعيننا كالجراد، وهكذا كنّا في أعينهم "»[5].

3-جبن بني إسرائيل وتمردهم على موسى:

ثار بنو إسرائيل على موسى وهارون بعد سماعهم عن قوة العمالقة وأحجموا عن دخول الأرض، ومع ذلك فإن موسى يبدأ يحرضهم على القتال لكنهم كانوا مع كثرتهم يخافون القتال[6]، « فصاحوا:" ليتنا متنا في أرض مصر أو ليتنا متنا في هذا الفقر، ولماذا أتى بنا الرب إلى هذه الأرض لنسقط بالسيف، تصير

1- سفر التثنية: 1/ 5-8.

2- سفر العدد: 13/1-2.

3-العماليق: نسبة إلى عماليق ابن ألفاز بن عيسو أمير أدوم،وهم من أقدم سكان سورية الجنوبية،وكانوا يقطنون في البدء في قادش جنوب فلسطين(قاموس الكتاب المقدس:ص636).

4- محمد علي البار:الله والأنبياء، ص 254.

5- سفر العدد: 13/27-33.

6- محمد بيومي مهران: بنو إسرائيل، ط1، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، مصر، 1999م، ج1، ص433.

نساؤنا وأطفالنا غنيمة أليس خيرا لنا أن نرجع إلى مصر؟، فقال بعضهم لبعض:" نقيم رئيسا ونرجع إلى مصر "»[1].

هذا التمرد على موسى عليه السلام من بني إسرائيل ليس بغريب، وإن كانت هذه النصوص تجيء به تحت لون جديد، فهو تمرد لا يحمل في ثناياه أشد التحامل على موسى فحسب، وإنما هو يحمل في نفس الوقت نوايا خلعه كرئيس والمناداة برئيس جديد[2]، واستمر ذلك هو موقف إسرائيل حتى نهاية عهد موسى وهو موقف الشعب المتمرد على موسى وحركته التحريرية[3].

« فسقط موسى وهارون على وجهيهما أمام كل معشر جماعة بنى إسرائيل، ويشوع بن نون وكالب بن يفنه من الذين تجسسوا الأرض مزقا ثيابهما وكلّما كل جماعة بني إسرائيل قائلين :" الأرض التي مررنا فيها لنتجسسها، الأرض جيدة جدا، إن سّر بنا الرب يدخلنا هذه الأرض ويعطينا إياها، أرضا تفيض لبنا وعسلا، إنما لا تتمردوا على الرب، ولا تخافوا من شعب الأرض لأنهم خبزنا، قد زال عنهم ظلهم، والرب معنا، لا تخافوهم»[4].

فما كان من بني إسرائيل إلا أن قاموا لرجمهما بالحجارة، ثم ظهر مجد الرب وقال الرب لموسى:« حتى متى يهينني هذا الشعب وحتى متى لا يصدقونني بجميع الآيات التي عملت في وسطهم؟، إني أضربهم بالوباء وأبيدهم وأصيرك شعبا أكبر وأعظم منهم»[5].

فقام موسى وبكى وتضرع للرب أن يصفح عن ذنب هذا الشعب الصلب الّرقبة الكثير الذنوب، فقال الرب قد صفحت حسب قولك، وحلف أن لا يدخل أحد من هؤلاء القوم الأرض المقدسة التي حلف لآبائهم، سوى يوشع بن نون وكالب بن يفنّه[6].

والذي يقرأ مثل هذه النصوص التوراتية تأخذه الحيرة، فكأن الرب يريد أن يحقق الوعد للشعب، والشعب يتمرد عليه بالعصيان والكفر، فبنو إسرائيل رفضوا الوعد ولم يكونوا جادّين، والرب تائه ومضطرب فيعطي وعودا ثم يتراجع عنها، ولولا حكمة موسى لانتهى كل شيء ولما بقي شعب اسمه شعب إسرائيل.

التوراة إذن تعترف بأن اليهود رفضوا الرب وكفروا بوعوده ونقضوا عهوده، عبدوا العجل وعصوا يهوه وآذوا موسى ورفضوا قتال الفلسطينيين وأحجموا عن الدخول إلى الأرض الموعودة، فهل بعد هذا يمكن أن

1- سفر العدد: 14/ 1-4.

2- أبكار السّقاف: إسرائيل وعقيدة الأرض الموعودة، ط2، مكتبة مدبولي، القاهرة، مصر، 1997م، ص221.

3-أحمد عبد الوهاب: فلسطين بين الحقائق والأباطيل،ص62.

4- سفرا العدد: 14/ 5-9.

5- سفرا العدد: 14/ 11-12.

6- محمد علي البار: الله والأنبياء، ص255، وانظر سفرا العدد: 14/13-25.

يقال أن لليهود حق مقدس لا يمكن التنازل عنه؟ !.

المطلب الثالث: عقاب بني إسرائيل بالتيه لعصيانهم

تاه بنو إسرائيل في سيناء بعد رفضهم قتال العماليق لكن على ما يبدو أن هذا التيه لم يؤثر في العهد الذي حصلوا عليه من الرب، فموسى في نهاية هذه المرحلة نجح في الحصول على بعض الأراضي المتاخمة لأرض كنعان وذلك بعد سلسلة من الحروب خاضها مع شعوب المنطقة ليموت بعد ذلك ويحرم من دخول الأرض الموعودة عقابا له على خيانته-على حسب التوراة-.

1-الحكمة من التيه:

ضرب الله على بني إسرائيل التيه في البرية أربعين عاما بدل أن يبطش بهم حتى فني ذلك الجيل الذي شهد معجزات الرب وعصاه فكانت تلك أول لعنة تنزل ببني إسرائيل[1]، والعقاب بالتيه يعتبر بمثابة الدليل القاطع على عدم جدية الوعد وكونه أسطورة لا حقيقة لها، إذ كيف يعطي الرب وعدا موثقا بالحلف واليمين لموسى وقومه بأن يدخلهم الأرض ثم يحنث في يمينه، كما نستنتج من هذه المرحلة سمة الشخصية اليهودية المتسمة بالتملص من أحكام الشريعة وخرقها للعهود وهي خاصية ملازمة لهم على مر العصور كما سنذكر في الفصل القادم مما ينفي كونهم مؤهلين لنيل أي عهد أو وعد.

فبعد أن رفض بنو إسرائيل القتال يثور الرب ويغضب عليهم ويعزم على معاقبتهم بالتيه، « وكلم الرب موسى وهارون قائلا: " حتى متى اغفر لهذه الجماعة الشريرة المتذمرة على، قد سمعت تذمر بني إسرائيل الذي يتذّمرونه علي... في هذا الفقر تسقط جثثكم جميع المعدودين منكم حسب عددكم من ابن عشرين سنة فصاعدا الذين تذمروا علي لن يدخلوا الأرض التي رفعت يدي لأسكننكم فيها ماعدا كالب بن يفنة ويشوع بن نون، وأما أطفالكم الذين قلتم يكونون غنيمة فإني سأدخلهم فيعرفون الأرض التي احتقرتموها... فجثثكم أنتم تسقط في هذا القفر وبنوكم يكونون رعاة في هذا القفر أربعين سنة... أنا الرب قد تكلمت لأفعلن هذا بكل هذه الجماعة الشريرة المتفقة علي في هذا القفر يفنون، وفيه يموتون"»[2].

وإضافة إلى الذين حرموا من الدخول إلى الأرض هارون الذي صنع العجل وأمر بني إسرائيل بعبادته فأغوى بني إسرائيل حسب الرواية التوراتية فالعصمة للأنبياء عليهم السلام ليس لها أهمية في التوراة، «وكلم الرب موسى:"... يضم هارون إلى قومه لأنه لا يدخل الأرض التي أعطيت لبني إسرائيل لأنكم عصيتم قولي عند ماء مريبة "»[3].

وفي الأربعين سنة التي قضاها العبرانيون في سيناء انقرض جيل وحل محله جيل جديد ترعرع ونشأ على:

1- حسين فوزي النجار: أرض الميعاد، ص 137.

2- سفرا العدد: 14/ 26-35.

3- سفرا العدد: 20/ 24.

أ - الإيمان بخصوصية تميزه على بقية الشعوب.

ب-التمسك بشريعة هي له وحده دون باقي الأمم.

ج-الاعتقاد الراسخ بحقه الشرعي بالاستيلاء عنوة على الأرض الموعودة.

وبقدر ما يكون المبدآن الأولان راسخين وعميقين يكون تحقيق الثالث سهلا وميسورا[1].

2-الحروب التي قام بها موسى:

ومع نهاية مرحلة التيه قرر موسى غزو الأرض الموعودة، فبدأ سلسلة من الحروب مع سكان فلسطين، انتصر فيها اليهود على عدة ممالك في المنطقة وأخذوا أرضهم، وكلما دخلوا مملكة عاثوا فيها فسادا بالقتل والتدمير.

ولم تذكر التوراة أي محاولة للتفاهم مع هذه الشعوب أو دعوتها للصلح أو للاستسلام على الأقل من طرف موسى،(فلا ريب أن الجهاد العادل الرحيم حق، وإزالة الباطل من عمل الأنبياء، لكن طرد السكان مباشرة بدون أية محاولة للإصلاح ليس من عمل الأنبياء)[2].

جاء في سفر العدد:« ولما سمع الكنعاني ملك عراد الساكن في الجنوب أن إسرائيل جاء في طريق أتاريم، حارب إسرائيل، وسبى منهم سبيا فنذر إسرائيل نذرا للرب وقال:" إن دفعت هؤلاء القوم إلى يدي أحرّم مدنهم "، فسمع الرب لقول إسرائيل، ودفع الكنعانيين، فحرموهم ومدنهم فدعي اسم المكان حرمة »[3].

بعد هذه الحادثة أراد بنو إسرائيل المرور بأرض الأموريين فلم يسمح لهم ملك الأموريين سيحون بذلك فحاربه بنو إسرائيل وضربوه بحد السيف وملكوا أرضه من أرنون إلى يبوق إلى بني عمون[4].

« فأخذ إسرائيل كل هذه المدن ... فأقام إسرائيل في أرض الأموريين، وأرسل موسى ليتجسس يعزيز، فأخذوا قراها وطردوا الأموريين الذين هناك ثم تحولوا وصعدوا في طريق باشان فخرج عوج ملك باشان للقائهم هو وجميع قومه إلى الحرب في إذرعي، فقال الرب لموسى:" لا تخف منه لأني قد دفعته إلى يدك مع جميع قومه وأرضه فتفعل به كما فعلت بسيحون ملك الأموريين الساكن في حشبون "، فضربوه وبنيه وجميع قومه حتى لم يبق له شارد، وملكوا أرضه »[5].

« وكلم الرب موسى قائلا:" انتقم نقمة بني إسرائيل من المديانيين ثم تضم إلى قومك "، فكلم موسى الشعب قائلا:" جردوا منكم رجالا للجند فيكونوا على مديان ليجعلوا نقمة الرب على مديان، ألفا واحدا

1-عدنان حداد : الخطر النهودي على المسيحية والإسلام، ص63.

2-عبد الوهاب طويلة: مغالطات اليهود، ص492.

3- سفرا العدد: 21/ 1-3.

4- محمد علي البار: الله والأنبياء ، ص 266.

5- سفرا العدد: 21 / 25-35.

من كل سبط من أسباط بني إسرائيل ترسلون للحرب »[1].

« فتجندوا على مديان كما أمر الرب قتلوا كل ذكر وملوك مديان قتلوهم فوق قتلاهم: " أوي" و"راقم" و"صور" و"حور" و"رابع"، خمسة ملوك مديان، و"بلعام بن بعور" قتلوه بالسيف وسبى بنو إسرائيل نساء مديان وأطفالهم، ونهبوا جميع بهائهم، وجميع مواشيهم وكل أملاكهم، وأحرقوا جميع مدنهم بمساكنهم، وجميع حصونهم بالنار، وأخذوا كل الغنيمة وكل النهب من الناس والبهائم، وأتوا إلى موسى وألعازار الكاهن وإلى جماعة بني إسرائيل، بالسبي والنهب و الغنيمة، إلى المحلة، إلى عربات موآب التي على أردنّ أريحا »[2].

ألا تنبئنا هذه الأحداث عما تنطوي عليه النفسية اليهودية من حقد وغل ومكر شديد، وغدر بالغ وحقد أسود فهم يكرهون المجتمعات البشرية، يأكل الحقد قلوبهم ولا يحفظون لقوم عهدا ولا ذمة وليس لهم ضمير يؤنبهم على هذا أو يردهم إلى الصواب، و لم يعرف التاريخ أسرع نقضا للعهد ولا أحقد منهم[3].

3- الوعد الخامس:

وفي عربات موآب على أردن أريحا يكلم الرب موسى قائلا له:« كلم بني إسرائيل وقل لهم إنكم عابرون الأردن إلى أرض كنعان فتطردون كل سكان الأرض من أمامكم، وتمحون جميع تصاويرهم، وتبيدون كل أصنامهم المسبوكة وتخربون جميع مرتفعاتهم وتملكون الأرض وتسكنون فيها، لأني قد أعطيتكم الأرض لكي تمتلكوها، وتقتسمون الأرض بالقرعة حسب عشائركم، الكثير تكثرون له نصيبه، والقليل تقللون له نصيبه، حيث خرجت له القرعة فهناك يكون له، حسب أسباط آبائكم تقتسمون، وإن لم تطردوا سكان الأرض من أمامكم يكون الذين تستبقون منهم أشواكا في أعينكم، ومناخس في جوانبكم، ويضايقونكم على الأرض التي انتم ساكنون فيها، فيكون أني افعل بكم كما هممت أن أفعل بهم »[4].

وهكذا إن لم يقتل اليهود أعداءهم قتلهم يهوه، وهو قادر على ذلك، وقد فعله من قبل، فلا عجب إذن إن كان هو همّ اليهود الإبادة الجماعية للغوييم، فالخطر عليهم إن لم يفعلوا ذلك كبير من إلههم هم[5].

وإذا كان الأمر كذلك فهل يرجى سلام مع اليهود الذين يؤمنون بهذه التوراة التي تحض على القتل والتدمير، إن شعبا له مثل هذا الكتاب لا يمكن إقامة صلح معه، التوراة تأمره بطرد وقتل الشعوب التي تعترض طريقه وتحول دون إقامة كيانه العنصري، لقد انخدع العرب والمسلمون عندما راحوا يعقدون مشاريع

1- سفرا العدد: 31/ 1-4.

2- سفرا العدد: 31/ 7-12.

3-يوسف رشاد: التوراة العدّو اللدود للسامية، ط1، دار الكتاب العربي، (دمشق-القاهرة)، 2008، ص34.

4- سفر العدد: 33/ 51-65.

5-سهيل ديب : التوراة ، ص38.

الصلح مع الصهاينة، لأن الصهيونية ما هي إلاّ تجسيد لنصوص التوراة التي تأمر بالقتل والتوسع الاستعماري وأكل حقوق الأمم واستعبادهم وطردهم.

يقول عشراتي:(إن هذا السياق التنظيمي الذي جاء ليحل إشكال توزيع الغنيمة، حتى لا تنقلب الرماح إلى صدور الإخوة، قد وضع أسس التوزيع، ووطد بها عقيدة إهلاك العدو صاحب الأرض الأصلي، بروح من العداوة المبدئية التي يكنها صدر الإله للشعب الكنعاني، والتي تضمنتها توجيهاته المشفوعة بهذا التهديد بالانتقام من شعبه الإسرائيلي نفسه إن هم لم يفنوا الكنعانيين)[1].

4-الوعد السادس وحرمان موسى من دخول الأرض الموعودة:

وفي الأخير وبعد الوعود المتتالية على موسى من يهوه فإن موسى يموت على الحدود، ولا يسمح له بالدخول إلى الأرض التي تسيل باللبن والعسل، والشيء الوحيد الذي حصل عليه موسى بعد أربعين سنة من العناء والوعود هو رؤية أرض الوعد والنظر إليها من بعيد فقط، جاء في سفر التثنية:

« وكلم الرب موسى في ذلك اليوم قائلا: اصعد إلى جبل عباريم...قبالة أريحا، وانظر أرض كنعان التي أنا أعطيها لبني إسرائيل ملكا، ومت في الجبل الذي تصعد إليه، وانضم إلى قومك، كما مات هارون أخوك في جبل هور وضم إلى قومه، لأنكما ختنتماني في وسط بني إسرائيل عند ماء مريبة قادش في برية صين، إذ لم تقدساني في وسط بني إسرائيل، فإنك تنظر الأرض من قبالتها ولكنك لا تدخل إلى هناك إلى الأرض التي أنا أعطيها لبني إسرائيل »[2].

إذا كان موسى في نظر التوراة التي بين أيدينا خائنا فكيف تنسب هذه التوراة إليه وتصبغ عليها صفة القدسية[3]، وكيف يصدق اليهود الرسالة التي جاء بها موسى وما حوته من شرائع وعقائد وتعاليم، فالخائن لا يصلح أن يؤتمن على أرزاق الناس وأعراضهم، فكيف يكون أهلا لحمل رسالة السماء وتبليغها للناس، وإذا علمنا هذا فالوعد الذي امتلأت به أسفار العهد القديم لا حقيقة له، بل هو من وضع وكتابة خائن دسه في النصوص المقدسة، وحرف جوهر الدين الذي جاء به موسى عليه السلام.

وتأتي النهاية المحزنة وينزل الستار على هذا المشهد الأخير[4]،ويموت موسى ولا يسمح له الرب بدخول الأرض الموعودة ولكن يسمح له أن يراها بعينيه فقط، هذا ما قاله كاتب سفر التثنية الذي يظهر لنا من خلال قراءته أن المتحدث ليس موسى وإنما هو شخص أتى من بعده بمدة فهو يتكلم بضمير الغائب وفي الأخير يقول ولم يعرف قبر موسى إلى اليوم، أي إلى يوم كتابة السفر:

1-عشراتي سليمان: الكتاب المقدس والواقعة الإسرائيلية، ص94.

2- سفر التثنية: 32 / 48-52.

3-أحمد سوسة: العرب واليهود، ص290.

4- محمد على البار: الله والأنبياء..، ص273.

« وصعد موسى من عربات موآب إلى "جبل نبو" إلى رأس الفسجة الذي قبالة أريحا، فأراه الرب جميع الأرض من جلعاد إلى دان، وجميع نفتالي وأرض أفرايم ومنسى، وجميع أرض يهوذا إلى البحر الغربي والجنوب والدائرة بقعة أريحا مدينة النخل إلى صوغر، وقال له الرب:" هذه هي الأرض التي أقسمت لإبراهيم وإسحق ويعقوب قائلا لنسلك أعطيها ، قد أريتك إياها بعينيك، ولكنك إلى هناك لا تعبر"، فمات هناك موسى عبد الرب في أرض موآب حسب قول الرب، ودفنه في الجواء في أرض موآب مقابل بيت فغور، ولم يعرف إنسان قبره إلى هذا اليوم »[1]

وهكذا تم اغتصاب الأرض وتقسيم الأسلاب والأسرى والممتلكات بمشيئة الرب وبإشرافه، وتم كذلك توزيع السكان الجدد وفق تخطيط تعميري إلهي، وكذلك أرسى الرب حدود الوطن الجديد لشعبه ورسمها من الجهات الأربع، ليوطد وبصورة نهائية أركان الإقامة الوطنية لشعبه، فلا يشتته بعدئذ التغرب والتطواف وراء مظنة المواعيد[2].

والجدير بالذكر هنا هو أن النص التوراتي الذي ذكرناه مؤخرا يتناقض مع نص سابق له يخبر أن موسى أتم كتابة التوراة بتمامها« فعندما كمل موسى كتابة كلمات هذه التوراة في كتاب إلى تمامها، أمر موسى اللاويين حاملي تابوت عهد الرب قائلا:" خذوا كتاب التوراة هذا وضعوه بجانب تابوت عهد الرب إلهكم ليكون هناك شاهدا عليكم" »[3] فالنص الذي ينص على موت موسى يقينا ليس من التوراة حسب النص الثاني ، واليهود متفقون على أن النص الذي فيه موت موسى من التوراة، إن التناقض يظهر هنا لأن النص الأول فيه "فمات هناك موسى عبد الرب" فكيف يكون كتب عن حال موته بداهة لابد أن يكون كاتب هذه الأسفار غير موسى عليه السلام[4].

(ويعتبر خروج موسى من مصر وموته على حدود أرض الميعاد الشرقية إعلان بدء تنفيذ المشروع اليهودي، وتعبئة أتباعه من الناحية المعنوية والمادية، ووقوفهم على حدود تلك الأرض يعلن تحول مشروع أرض الميعاد من الفكرة إلى أرض الواقع وينتظر لحظة بدء التنفيذ)[5].

ويبدو أن غرض كتبة التوراة من وضع هذه القصص الأسطورية هو تهيئة المنفيين اليهود في بابل نفسيا بعد زوال الممالك والسبي ليرحلوا من بابل، (ومنها يقومون باحتلال العالم كما وعدهم يهوه، والطريق إلى ذلك ستكون طبعا طويلة وشاقة، ومن المستحسن أن يكون لها سابقة في تاريخ اليهود، ولذلك فقد ألفوا

1- سفر التثنية: 34/ 1-6.

2- عشراتي سليمان: الكتاب المقدس، ص94.

3-سفر التثنية :31/24-26.

4-فرج الله عبد الباري: اليهودية بين الوحي الإلهي والانحراف البشري، ص30.

5-جبر الهلول : مرجع سابق، ص89.

ملحمة، تصف بعبارات أسطورية قصة رحيل سابق من بلد قوي آخر"مصر"، ثم كيف سيحتلون بعد ذلك الأرض التي تدر لبنا وعسلا، أما قصة ضياعهم في الصحراء لمدة أربعين عاما فغايتها تنبيههم إلى أن الطريق ستكون صعبة، وأن أجيالا ستمر قبل أن يتحقق الوعد)[1].

المطلب الرابع : انتهاء مرحلة التيه ودخول الأرض الموعودة بقيادة يشوع بن نون

انتهاء مرحلة التيه وتسلم يشوع القيادة بعد موت موسى تعتبر بمثابة بداية التنفيذ الفعلي للوعد المعطى لإبراهيم، ففي هذه الفترة يدخل بنو إسرائيل وقد كثروا أرض الميعاد التي حلف الرب أن يعطيها لهم ملكا أبديا، فبدخول الجماعات العبرية الأرض المقدسة تأتي مرحة القضاة وبعدها مرحلة إقامة المملكة وهذه الأخيرة هي التجسيد الفعلي والأخير للوعد الذي طال لعدة قرون.

1- الوعد مع يشوع :

جاء في سفر يشوع أنه بعد موت عبد الرب موسى، أن الرب كلم خادم موسى يشوع بن نون وقال له:« "موسى عبدي قد مات، فالآن قم اعبر هذا الأردن أنت وكل هذا الشعب إلى الأرض التي أنا معطيها لهم، أي لبني إسرائيل، كل موضع تدوسه بطون أقدامكم لكم أعطيته، كما كلمت موسى، من البرية ولبنان هذا إلى النهر الكبير نهر الفرات، جميع أرض الحثيين وإلى البحر الكبير نحو مغرب الشمس يكون تخمكم، لا يقف إنسان في وجهك كل أيام حياتك، كما كنت مع موسى أكون معك، لا أهملك ولا أتركك، تشدد وتشجع، لأنك أنت تقسم لهذا الشعب الأرض التي حلفت لآبائهم أن أعطيهم »[2].

(وهذه العهود التي تعطيهم كل هذه الأراضي الشاسعة تصطدم مع ما يسمى الآن بدولة إسرائيل لأنه ليس منها شيء خارج حدود فلسطين بل وفي جزء من فلسطين، وهذا يقودنا إلى التفرقة بين ما يسمى ب:"أرض دولة إسرائيل" و"أرض إسرائيل"أو"أرض الميعاد".

فما يسمى بدولة إسرائيل هو هدف مرحلي عند اليهود يتناسب مع الظروف الراهنة للعالم وبالذات ما هو داخل فلسطين وما حولها من الدول، وبعبارة أخرى هذه الدول الآن تعتبر خطوة تكتيكية ونواة أرض إسرائيل الموعودة وهي المذكورة في عهودهم التوراتية، وهذا ما يفسره العلم الذي وضعوه لدولتهم حيث لون الأعلى والأسفل بالأزرق رمزا لنهري الفرات والنيل ووضعت في وسطه نجمة داوود السداسية رمزا إلى دولة داوود وسليمان)[3].

1-سهيل ديب: التوراة، ص29.

2- سفر يشوع: 1/ 1-5.

3-محمد أبو زيد : نظرة قرآنية، ص43.

2- التجسس على أريحا:

بعد الوعد الذي حصل عليه يشوع من يهوه يأمر يشوع الشعب بأن يتجهزوا لعبور الأردن ليمتلكوا الأرض التي أعطاهم الرب، ويرسل الجواسيس للاستطلاع، « فأمر يوشع بن نون رجلين جاسوسين سرا قائلا:" اذهبا انظرا الأرض وأريحا "، فذهبا ودخلا بيت امرأة زانية اسمها راحاب واضطجعا هناك»[1].

وعلم ملك أريحا بوجودهما فأرسل جنوده للبحث عنهما، وأنكرت راحاب وجودهما بعد أن خبأتهما، ثم أخرجتهما بعد أن ذهب الطلب[2]، « وقالت لهما :" فالآن احلفا لي بالرب وأعطياني علامة أمانة، لأني قد عملت معكما معروفا، بأن تعملا أنتما أيضا مع بيت أبي معروفا، وتستحييا أبي وأمي وإخوتي وأخواتي وكل مالهم، وتخلصا أنفسنا من الموت، فقال لها الرجلان:" نفسنا عوضكم للموت إن لم تفشوا أمرنا هذا، ويكون إذا أعطانا الرب الأرض أننا نعمل معك معروفا وأمانة "»[3].

عند تتبعنا لأسفار التوراة نجد أن النساء كان لهم دورا جوهريا في مسيرة الوعد وخطوات تنفيذه، فكاتب هذه الأسفار استغل اسم سارة زوجة إبراهيم ثم رفقة زوجة إسحق، ثم يأتي هنا ليقحم اسم الزانية راحاب لتنفيذ المشروع اليهودي.

3- غزو الأرض وإبادة السكان:

بعد المعروف الذي فعلته راحاب للجواسيس، سار يشوع والتابوت أمامهم يدلهم، وفي التابوت جلس الله، وعبروا نهر الأردن بعد أن انفلق النهر فلقتين وعبر الشعب النهر مشيا[4].

وما إن وطأت الجماعات العبرية أرض كنعان تحصنوا في جبل الجلجال[5] المطل على أريحا على مقربة من الضفة الغربية لنهر الأردن، وهناك قام يوشع بختن جميع الذكور لأنهم كانوا قلفاء، وختن يشوع لهم يدل تخليهم عن هذه العملية بعد استقرارهم في مصر، فهل أصابت بني إسرائيل اللعنة لأنهم نكثوا عهد الختان الذي أعلن فيه الرب أن كل من لا يختن مقطوع لأنه نكث العهد؟، أم أن هذا يضاف إلى جملة التناقضات التي تحملها نصوص العهد القديم.

المهم أن بني إسرائيل كان هدفهم الأول هو غزو مدينة أريحا التي أقفلت على نفسها أبوابها بعد سماع شعبها بدخول القبائل العبرية، وحسب تعليمات الرب جاءت القوات العبرية بقيادة يشوع ودارت خلال

1- سفر يشوع: 2/ 1.

2- محمد علي البار: الله والأنبياء، ص 288.

3- سفر يشوع: 2 / 12-14.

4- محمد علي البار: الله والأنبياء، ص288.

5-الجلجال : قرية في سهل أريحا إلى الشرق منها و الشمال الشرقي من أورشاليم تبعد حوالي أربعة أميال عن الأردن (أحمد سوسة: العرب واليهود، ص464).

ستة أيام ستة دورات حول صور مدينة أريحا الحصين بواقع دورة كل يوم، وفي اليوم السابع قاموا بالدوران سبع دورات متلاحقة بينما كان الكهنة يضربون بالأبواق، وبعد انتهاء الدورة السابعة هتف الشعب بصوت واحد، فسقط سور المدينة في مكانه كما لو أن زلزالا ضرب أركانه[1].

« وصعد الشعب إلى المدينة، كل رجل مع وجهه واخذوا المدينة، وحّرموا كل ما في المدينة من رجل وامرأة، من طفل وشيخ، حتى البقر والغنم والحمير بحد السيف...وأحرقوا المدينة بالنار مع كل ما بها، إنما الفضة والذهب وآنية النحاس والحديد جعلوها في خزانة بيت الرب، واستحيا يشوع راحاب الزانية وبيت أبيها وكل مالها، وسكنت في وسط إسرائيل »[2].

ونحن ننقل هذه النصوص لا بأس أن نستطرد قليلا لنتحقق من صدق هذه الأحداث الدموية التي قام بها يشوع، يقول جارودي عن حقيقة دخول أريحا وتدمير أسوارها من قبل بني إسرائيل:

(وأول ما يصدمنا هنا هو الأدلة المستمدة من علم الآثار، إذ أثبتت الحفريات على ما يبدوا، أنه لا يمكن أن يكون اليسرائيليون الذين وفدوا نهاية القرن الثالث عشر قبل الميلاد قد استولوا على أريحا لأن المدينة كانت مهجورة قبل ذلك بزمن، حيث دمرت المدينة التي يرجع تاريخها إلى منتصف العصر البرونزي حوالي عام 1550ق.م، ثم هجرها أهلها إعقاب ذلك، وفي منتصف القرن الرابع عشر قبل الميلاد عاد بعض السكان واستوطنوا أماكن قليلة متفرقة من المدينة، ومن المستحيل الربط بين حادثة تدمير أريحا ودخول اليسرائيليين في نهاية القرن الثالث عشر قبل الميلاد)[3].

وهذا التحريف للنصوص المقدسة والتزييف للتاريخ استهدف من خلاله كتبة التوراة تحقيق غرضين رئيسيين:

الأول هو تمجيد تاريخ اليهود وجعلهم صفوة الأقوام البشرية والشعب المختار الذي اصطفاه الرب من دون بقية الشعوب، ولتحقيق ذلك كان لابد من إرجاع أصلهم إلى أقدس شخصية قديمة وهي إبراهيم عليه السلام.

الثاني هو جعل فلسطين وطنهم الأصلي على الرغم من تأكيد التوراة ذاتها من أن فلسطين أرض غربة بالنسبة لإبراهيم فضلا عن بني إسرائيل.

وهكذا ابتدع مدّونوا التوراة فكرة منح الرب أرض كنعان لإبراهيم وذريته، وأن يهوه إلههم الخاص أمرهم بإبادة الكنعانيين هم وأطفالهم وشيوخهم ونسائهم ليحلوا محلهم[4].

1- إسماعيل ناصر الصمادي: نقد النص التوراتي، ج1، ص246.

2- سفر يشوع :6/ 20- 25.

3-روجيه جارودي: الأساطير المؤسسة للسياسية الإسرائيلية، ص70.

4-أحمد سوسة : العرب واليهود، ص(ر- ش).

بدأ موسي حملة التطهير العرقي واستكملها يشوع بن نون والذي يعتبر نموذجا يقتدى به في الإجرام والوحشية، فإذا كان قتل الفلسطينيين هو من أجل الحصول على أرضهم، فلماذا يقتل يشوع البهائم، إن هذا يكشف عن نفسية اليهود المريضة التي تحمل الحقد على كل ما له علاقة بالشعوب الأخرى، كما يظهر لنا جليا مدى الإفساد الذي سيلحقه اليهود إن هم سيطروا على الأرض والعباد، فشريعة التوراة التي تحمل في طياتها القتل والتدمير والإفساد يؤمن بها اليهود كما يؤمن بها أكثر من مليار من النصارى.

يقول سهيل ديب:(هذه خلاصة الشريعة اليهودية لنيل الوعد، وأوامر القتل الجماعي هذه تتكرر في كل التوراة التي تنظم حياة وتفكير اليهودي وعاداته، وعلينا أن نتذكر دوما أن التعاليم اليهودية هذه تقرأ سنويا في كل كنيس في العالم)[1].

بعد أريحا دخل يشوع عاي ودمرها، ثم التقى مع حلف من ملوك أورشليم وحبرون ويرموت ولخيش وعجلون، فأوقع بهم الهزيمة ووقعوا في يده أسرى فقتلهم وصلبهم نهارا بأكمله، ثم خاض حروبا أخرى مع عدد من الملوك الآخرين، وأوقع بهم هزائم أخرى واستولى على أراضيهم[2].

ويظهر من خلال هذه النصوص التي تذكر أن بني إسرائيل خاضوا هذه الحروب الكثيرة مع أصحاب المنطقة أن فيها من المبالغة الشيء الكثير، فبنو إسرائيل لم يكونوا أصحاب حرب وقتال في كل تاريخهم، وهم الذين رفضوا دخول الأرض المقدسة مع موسى وتاهوا في سيناء.

ونجاحهم قد يرجع إلى انقسام العشائر الكنعانية (بسبب الصراعات الداخلية بين الحكام والتي تفاقمت بسبب تدخلات السلطات المصرية التي انتهجت سياسة فرق تسد فتركوا كنعان إبان دخول أسباط بني إسرائيل متشرذمة تعاني مدنها من آثار العزلة السياسية في مقابل الحماس الديني والقومي المتأجج في نفوس بني إسرائيل وتطلعهم لاحتلال أراضي جديدة موعودة)[3].

وبالتالي لم يكن هناك فتح بالمعنى الصحيح على الرغم من أقاصيص مؤرخيهم المملوءة انتفاخا، ومن تعداد الانتصارات، وتقتيل الأهالي وانهيار أسوار أريحا بالنقر في النواقير ووقف يوشع للشمس إمعانا في الذبح، فاستقرار العبريين بفلسطين تم على مراحل وبالتدرج فهم قضوا زمنا طويلا ليكون لهم سلطان ضئيل في فلسطين لا أن يكونوا سادتها[4]، مما يرجح أن كتبة الأسفار المقدسة استغلوا أحداث التاريخ القديمة والمعالم الأثرية وأساطير شعوب المنطقة في تدوين تاريخهم، ومن ثم إثبات أحقيتهم في أرض فلسطين وما

1-سهيل ديب : التوراة، ص34.

2- حسين فوزي النجار: أرض الميعاد، ص142.

3- أبراهام مالمات، حييم تدمور: العبرانيون وبنو إسرائيل في العصور القديمة بين الرواية التوراتية والاكتشافات الأثرية، ترجمة رشاد الشامي، ط1، المكتب المصري لتوزيع المطبوعات، القاهرة، مصر، 2001م،ج1، ص 148.

4- جوستاف لوبون: اليهود في تاريخ الحضارات الأولى، ترجمة عادل زعيتر، ط1، مكتبة النافذة، الجيزة، مصر، 2009م، ص52.

حولها لأن اليهود ليسو أهلا لأن يكونوا أصحاب حضارة ونفع للبشرية، ولكن الكشوف الأثرية على ما يبدوا لا تسعف هذا التزييف اليهودي للتاريخ والدين، بل يتضح مدى الخلل الذي تحويه كتبهم كلما تقدم الزمن، وهذا ينسف كل الجهود الدءوبة التي تسعى إلى إثبات الإدعاءات الصهيونية.

(إن المكتشف الأثري يناقض بوضوح الصورة التوراتية، فمدن كنعان لم تكن ضخمة ولم تكن محصنة ولم تكن رؤوسها في السماء كما ورد في التوراة، وبطولة المحتلين والأقلية في مواجهة الأكثرية -اليهود ويشوع في مواجهة الكنعانيين-وتخليص الإله الذي قاتل إلى جانب شعبه، ما هي إلاّ بدعة لاهوتية ليس لها أساس من الصحة)[1].

يقول جارودي عن أخذ يوشع لمدينة عاي:(تعد هذه القصة أكثر قصص الغزوات تفصيلا على الإطلاق ولا تنطوي القصة على أي عناصر خارقة، مما يجعلها ممكنة الحدوث، بيد أن علم الآثار يكذبها تماما، فالمدينة دمرت في العصر البرونزي القديم حوالي 2400ق.م، ومن ثم فعندما جاء اليسرائيليون لم تكن هناك مدينة تدعى عاي، ولم يكن هناك ملك يدعى ملك عاي، ولم يكن هناك سوى أطلال خربة يرجع تاريخها إلى 1200ق.م)[2].

وبالرغم من أن يشوع يعتبر هو المنفذ الفعلي لمشروع أرض الميعاد، إلاّ أن الوعود التي أعطيت له لم تصل فيها حدود الأرض الموعودة مساحة الوعد الثالث لإبراهيم والذي ينص على أنها من نهر الفرات إلى نهر النيل[3]، وهذا يدل دلالة واضحة على مدى التناقض الحاصل في النصوص، ففي كل مرة تعطي حدود جديدة للأرض الموعودة، يقول كاتب سفر يشوع:

« وشاخ يشوع ، وتقدم في الأيام، فقال له الرب :" أنت قد شخت، تقدمت في الأيام، وقد بقيت أرض كثيرة جدّا للامتلاك، هذه هي الأرض الباقية:كل دائرة الفلسطينيين، وكل الجشوريّين من الشيحور الذي هو أمام مصر إلى تخم عقرون شمالا...،من التيمن كل أرض الكنعانيين، ومغارة التي للصيدونيين إلى أفيق إلى تخم الأموريين، وأرض الجبليين، وكل لبنان نحو شروق الشمس، من بعل جاد تحت جبل حرمون إلى مدخل حماة، جميع سكان الجبل من لبنان إلى مسرفوت مايم، جميع الصيدونبين، أنا أطردهم من أمام بني إسرائيل إنما اقسمها بالقرعة لإسرائيل ملكا كما أمرتك" »[4].

1-أبراهام مالمات: العبرانيون وبنو إسرائيل، ج1، ص12.

2-روجيه جارودي: الأساطير المؤسسة للسياسة الإسرائيلية، ص70.

3-جبر الهلول: المواثيق والعهود، ص89.

4- سفر يشوع: 13/ 1- 6.

4-تحقق الوعد وتوزيع الأرض على الأسباط:

حسب التوراة يكون قد تحقق فعلا الوعد الإلهي، وأبيدت القوات الكنعانية، واستعد بنو إسرائيل لتقسيم الأرض باعتبارها ميراثهم الذي وهبهم الله إياها[1].

وقام يوشع بن نون قبل وفاته بتوزيع كل الأرض التي استولى عليها قبل وفاته، وتوزيع الأرض التي لم يستول عليها بعد على عشائر بنى إسرائيل ماعدا سبط اللاوي، لأنهم الكهنة كما حدد ذلك موسى، ولهم مقابل ذلك الأموال الخاصة بالمعبد والنذور، ومدنا للسكن في الأرض مع مسارحها لبهائمهم[2].

وبهذا يكون الوعد قد تحقق لبني إسرائيل على عهد يوشع بن نون وتم تنفيذ الوعد، ودخل بنو إسرائيل الأرض التي أقسم لآبائهم أن يعطيها إياهم واقتسموها وسكنوا فيها كما أوصى موسى عليه السلام، وإنما سكنوا أرض كنعان إلا بعضا منها[3]، وليس كلها وليس من الفرات إلى النيل.

والنص الموالي ينسف عبارة "أرض إسرائيل الكبرى" من أساسها ويفضح زيفها فهي ليست إلا تعبيرا عن الرغبة في توسع استعماري لا يجد له من نصوص أسفار إسرائيل المقدسة سندا ولا دليلا[4].

جاء في سفر يشوع: « فأعطى الرب إسرائيل جميع الأرض التي أقسم أن يعطيها لآبائهم، فامتلكوها وسكنوا بها، فأراحهم الرب حواليهم حسب كل ما أقسم لآبائهم، ولم يقف قدامهم رجل من جميع أعدائهم بل دفع الرب جميع أعدائهم بأيديهم، ولم تسقط كلمة من جميع الكلام الصالح الذي كلم به الرب بيت إسرائيل، بل الكل صار»[5].

تعترف التوراة بأن الوعد قد تحقق في عهد يشوع، وبالتالي لم يعد هناك حق يمكن المطالبة به، فكل ما تكلم به الرب صار ولم تسقط كلمة واحدة من جميع الكلام الصالح، فلماذا يصر الصهاينة إذن على العودة وتحقيق نبوءة التوراة، فالوعد قد بطل مفعوله ولم يعد ساريا، لماذا لم يطالب اليهود عبر قرون طويلة بحقهم المكذوب منذ السبي.

يقول جبر الهلول:(والوعود في المراحل الثلاث - إبراهيم وموسى ويوشع-أشبه ما تكون بمشروع مر على لجان ثلاث: في اللجنة الأولى طرحت الفكرة من عدة أشخاص وفي نهاية الجلسة تمت الموافقة على جميع المقترحات، ثم تحولت فيما بعد إلى لجنة الدراسة والتدقيق حيث نالت الموفقة على التنفيذ مع بعض

1- إسرائيل فنكل شتاين، نيل إشر سيلبرمان: التوراة اليهودية مكشوفة على حقيقتها، ترجمة سعد رستم، ط2، الأوائل للنشر، دمشق، سوريا، 2006م، ص112.

2- محمد علي البار: الله والأنبياء، ص305.

3-عبد الوهاب طويلة: مغالطات اليهود، ص153.

4-لواء أحمد عبد الوهاب: رسالة من التوراة إلى مؤتمر السلام، ص49.

5-سفر يشوع : 43/21-45.

المقترحات الأخرى والشّروحات الإضافية، ثم تحولت إلى لجنة التنفيذ فور تسلمها خطط المشروع مع إبداء بعض الآراء، متبعة في تنفيذها تقسيم المشروع إلى مراحل كلما انتهت مرحلة تم التحول إلى المرحلة الأخرى وذلك وفق الإمكانات المتاحة، وقد نفذ يشوع جزءا ترك للأجيال المتعاقبة تنفيذ الباقي)[1].

إن الغش والسرقة واللعن والقتل والتدمير واستعمال النساء هي السبيل الوحيدة التي يجب أن يقوم بها اليهود للحصول على وعود الرب الذي اختارهم من بين الشعوب واتخذهم ابنا، هذا ما نستخلصه من خلال تتبع مسيرة الوعد.

(وقد أثرت هذه العقيدة اليهودية في حياة اليهود تأثيرا كبيرا، وقد أصبحت هي المرتكز الأساسي في حياتهم، والمنطلق الذي تنطلق منه جميع تصرفاتهم وهي قطب الرحى الذي تدور حوله جميع نواحي الحياة، التربوية والتعليمية والاجتماعية، والعسكرية والسياسية)[2]، وإذا علمنا هذا جيدا يتضح لنا كما يقول أحمد سوسة[3] أن وعد بلفور ما هو إلا نسخة مطابقة الأصل للوعد التوراتي المزيف، فكلا الوعدين يهدفان إلى عملية واحدة من حيث الإعداد والتصميم:

1-طرد سكان فلسطين العرب من مساكنهم بالقوة

2-إحلال اليهود مكان العرب (باسم ما يعرف بالعودة حاملين شعار"أرض بلا شعب لشعب بلا أرض" وكأن فلسطين فارغة من أهلها)[4].

1-جبر الهلول : مرجع سابق، ص90.

2- محمد عثمان شبير: صراعنا مع اليهود في ضوء السياسة الشرعية،ط1، مكتبة الفلاح، الكويت،1407هـ، 1987م، ص85.

3-أحمد سوسة : العرب واليهود، ص(خ خ).

4-(حوارات) عبد الوهاب المسيري: الصهيونية واليهودية، تحرير سوزان حرفي، ط1، دار الفكر، دمشق، سوريا، 2009م، ج4، ص60.

المبحث الثاني: في القرآن

ذكر القرآن الكريم الوقائع والأحداث التي رافقت فترة موسى ويوشع بنون عليهما السلام، فسرد علينا الخروج والتيه ودخول الأرض المقدسة وتمرد بني إسرائيل على الأنبياء والرسل وعلى رأسهم موسى وهارون عليهما السلام، وفي هذا المبحث سنعرف حقيقة العهد والوعد ومصداقية ما يدعيه اليهود وذالك من خلال القرآن الكريم.

المطلب الأول: عهد الله تعالى لموسى عليه السلام وحقيقة الوعد

نجد قصة موسى عليه السلام قد تكررت في القرآن الكريم في عدة مواضع من القرآن الكريم كما لم تتكرر قصة أخرى، وقد بين القرآن الكريم أن موسى عليه السلام راعته العناية الإلهية من خلال نجاته من القتل ونشأته في بيت فرعون وكيف أن الظروف كانت مساعدة لموسى عليه السلام ليكبر ويتلقى رسالة السماء، فاصطفاه الله تعالى بالنبوة وشدّ أزره بأخيه هارون وأعطاه المعجزات وأيده بها.

نستنتج من خلال المبحث السابق أن التوراة ترسخ في نفوس اليهود مايلى:

-أن الرب اختار بني إسرائيل واختصهم بالعهد والوعد باعتبارهم نسل يعقوب عليه السلام.

-أن مهمة موسى هو الخروج بجموع بني إسرائيل الغفيرة ليتحقق لهم ما وعدوا به من طرف الرب.

وفي هذا المطلب نناقش هذه الأفكار على ضوء القرآن الكريم في النقاط التالية:

1-مهمة موسى عليه السلام:

مهمة موسى على حسب الرواية التوراتية هي تخليص بني إسرائيل من العبودية، والسير بهم نحو أرض الميعاد ليتحقق لهم الوعد، أما مهمته عليه السلام فيبينها لنا القرآن في الآيات الموالية:

يقول الله تعالى:﴿ فَلَمَّا قَضَىٰ مُوسَى ٱلۡأَجَلَ وَسَارَ بِأَهۡلِهِۦٓ ءَانَسَ مِن جَانِبِ ٱلطُّورِ نَارٗاۖ قَالَ لِأَهۡلِهِ ٱمۡكُثُوٓاْ إِنِّيٓ ءَانَسۡتُ نَارٗا لَّعَلِّيٓ ءَاتِيكُم مِّنۡهَا بِخَبَرٍ أَوۡ جَذۡوَةٖ مِّنَ ٱلنَّارِ لَعَلَّكُمۡ تَصۡطَلُونَ ﴿٢٩﴾ فَلَمَّآ أَتَىٰهَا نُودِيَ مِن شَٰطِيِٕ ٱلۡوَادِ ٱلۡأَيۡمَنِ فِي ٱلۡبُقۡعَةِ ٱلۡمُبَٰرَكَةِ مِنَ ٱلشَّجَرَةِ أَن يَٰمُوسَىٰٓ إِنِّيٓ أَنَا ٱللَّهُ رَبُّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴿٣٠﴾ وَأَنۡ أَلۡقِ عَصَاكَۖ فَلَمَّا رَءَاهَا تَهۡتَزُّ كَأَنَّهَا جَآنّٞ وَلَّىٰ مُدۡبِرٗا وَلَمۡ يُعَقِّبۡۚ يَٰمُوسَىٰٓ أَقۡبِلۡ وَلَا تَخَفۡۖ إِنَّكَ مِنَ ٱلۡأٓمِنِينَ ﴿٣١﴾ ٱسۡلُكۡ يَدَكَ فِي جَيۡبِكَ تَخۡرُجۡ بَيۡضَآءَ مِنۡ غَيۡرِ سُوٓءٖ وَٱضۡمُمۡ إِلَيۡكَ جَنَاحَكَ مِنَ ٱلرَّهۡبِۖ فَذَٰنِكَ بُرۡهَٰنَانِ مِن رَّبِّكَ إِلَىٰ فِرۡعَوۡنَ وَمَلَإِيْهِۦٓۚ إِنَّهُمۡ كَانُواْ قَوۡمٗا فَٰسِقِينَ ﴿٣٢﴾ قَالَ رَبِّ إِنِّي قَتَلۡتُ مِنۡهُمۡ نَفۡسٗا فَأَخَافُ أَن يَقۡتُلُونِ ﴿٣٣﴾ وَأَخِي هَٰرُونُ هُوَ أَفۡصَحُ مِنِّي لِسَانٗا فَأَرۡسِلۡهُ مَعِيَ رِدۡءٗا

يُصَدِّقُنِيٓ ۖ إِنِّيٓ أَخَافُ أَن يُكَذِّبُونِ ﴿٣٤﴾ قَالَ سَنَشُدُّ عَضُدَكَ بِأَخِيكَ وَنَجْعَلُ لَكُمَا سُلْطَٰنًا فَلَا يَصِلُونَ إِلَيْكُمَا ۚ بِـَٔايَٰتِنَآ أَنتُمَا وَمَنِ ٱتَّبَعَكُمَا ٱلْغَٰلِبُونَ ﴿٣٥﴾ ﴾[1].

ويقول الله تعالى: ﴿ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ وَجَعَلْنَا مَعَهُۥٓ أَخَاهُ هَٰرُونَ وَزِيرًا ﴿٣٥﴾ فَقُلْنَا ٱذْهَبَآ إِلَى ٱلْقَوْمِ ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا فَدَمَّرْنَٰهُمْ تَدْمِيرًا ﴿٣٦﴾ ﴾[2].

فالمهمة التي كلف بها موسى متشعبة الأوجه، وباعتباره مصطفى من قبل الله سبحانه لتبليغ الرسالة فقد كانت هذه المهمة تهدف إلى هداية القوم المشركين وعلى رأسهم فرعون، وتهدف فيما تهدف إلى رفع الظلم الذي أحيط ببني إسرائيل ومن ثم إخراجهم من أرض مصر[3].

أدّى موسى عليه السلام المهمة التي أنيطت به كاملة غير منقوصة، لكن رغم هذا لم يلق من فرعون وقومه إلا التعنت والتعصب والطغيان، فصبر موسى عليه السلام ومن معه من بني إسرائيل على الأذى الذي تعرضوا له، فلما زاد طغيان فرعون وجنده شاءت الأقدار أن تنتهي حياة موسى وأتباعه في مصر فأمرهم سبحانه بالخروج منها والتوجه إلى أرض الشام ليفتحوها ويسكنوا فيها وينشروا دعوة التوحيد هناك لتتحقق لهم بذلك الوراثة والتمكين في الأرض ويكونوا أئمة صلاح وخير للعالمين كما كان إبراهيم عليه السلام من قبل.

يوضح القرآن الكريم هذه الحقيقة التي بعث من أجلها موسى عليه السلام:﴿طسٓمٓ ﴿١﴾ تِلْكَ ءَايَٰتُ ٱلْكِتَٰبِ ٱلْمُبِينِ ﴿٢﴾ نَتْلُوا۟ عَلَيْكَ مِن نَّبَإِ مُوسَىٰ وَفِرْعَوْنَ بِٱلْحَقِّ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٣﴾ إِنَّ فِرْعَوْنَ عَلَا فِى ٱلْأَرْضِ وَجَعَلَ أَهْلَهَا شِيَعًا يَسْتَضْعِفُ طَآئِفَةً مِّنْهُمْ يُذَبِّحُ أَبْنَآءَهُمْ وَيَسْتَحْيِۦ نِسَآءَهُمْ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ مِنَ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴿٤﴾ وَنُرِيدُ أَن نَّمُنَّ عَلَى ٱلَّذِينَ ٱسْتُضْعِفُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَنَجْعَلَهُمُ ٱلْوَٰرِثِينَ ﴿٥﴾ وَنُمَكِّنَ لَهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ وَنُرِىَ فِرْعَوْنَ وَهَٰمَٰنَ وَجُنُودَهُمَا مِنْهُم مَّا كَانُوا۟ يَحْذَرُونَ ﴿٦﴾﴾[4].

يقول ابن كثير:("إِنَّ فِرْعَوْنَ عَلَا فِى ٱلْأَرْضِ وَجَعَلَ أَهْلَهَا شِيَعًا "أي تجبر وعتا وطغى وبغى، وآثر الحياة الدنيا وأعرض عن طاعة الرب الأعلى وجعل أهلها شيعا، أي قسم رعيته إلى أقسام وفرق وأنواع، يستضعف طائفة منهم وهم شعب بنى إسرائيل الذين هم من سلالة نبي الله يعقوب بن إسحق بن إبراهيم خليل الله وكانوا إذ ذاك خيار أهل الأرض، وقد سلط عليهم هذا الملك الظالم الغاشم الكافر الفاجر،

1- سورة القصص: 29 – 35.

2- سورة الفرقان: 35- 36.

3- حسن الباش: التوراة والقرآن، ج 1، ص 244.

4- سورة القصص: 1- 6.

يستعبدهم ويستخدمهم في أخس الصنائع والحرف وأرداها وأدناها ومع هذا:" يذبح أبنائهم ويستحي نساءهم إنه كان من المفسدين ")[1].

التوراة تركز على إخراج بنى إسرائيل من مصر دون سواهم، وتظهر أن الرب الذي بعث موسى هو رب بنى إسرائيل وحدهم، ثم تقحم وعد هذا الرب لهم بمنحهم أرض كنعان ميراثا لهم ولأبنائهم[2]، أما مهمة موسى في القرآن فهي دعوة المصريين وبني إسرائيل إلى عبادة الله رب العالمين كلهم وليس رب إسرائيل وحدها، ورفع الظلم الذي وقع على الفئة المؤمنة وليس لخلاص الشعب المختار.

فالله سبحانه وتعالى أراد أن يمكن لدين الإسلام وللمسلمين الذين اتبعوا موسى عليه السلام الذين استضعفوا في مصر واضطهدوا من طرف فرعون وجنده ويعطيهم الأرض المقدسة لتكون منطلق دعوتهم، ويجعلهم أئمة يقتدى بهم في الخير والصلاح كما وعد الله إبراهيم عليه السلام من قبل، وهذا لا ينطبق على بني إسرائيل فقط بل على المؤمنين من المصريين الذين خرجوا مع موسى، فلا يمكن القول أن الذين اتبعوا دعوة موسى عليه السلام هم بنو إسرائيل فقط، فالسحرة الذين آمنوا بموسى عليه السلام مثلا لم يكونوا من بني إسرائيل وإنما كانوا من المصريين، والقرآن سمى أتباع موسى ببني إسرائيل من باب التغليب لا غير ولأن من أسلم مع بني إسرائيل أصبح منهم.

2-عدد الخارجين مع موسى وهويتهم:

التوراة وصفت الخارجين من بني إسرائيل من مصر مع موسى بأنهم يبلغون من الكثرة التي تبلغ بهم إلى درجة المليون، لكننا نجد في القرآن لفتة كريمة وهي أن عدد بني إسرائيل كانوا قلة قليلة [3]، ولم يكونوا بالكثرة التي ذكرتها أسفار العد القديم، فالله يخبرنا أن فرعون وصف بني إسرائيل بالشرذمة القليلين فقال: ﴿إِنَّ هَٰٓؤُلَآءِ لَشِرۡذِمَةٞ قَلِيلُونَ ۝﴾[4]، ومع هذه القلة من بني إسرائيل قد يكون خرج معهم الكثير من المصريين.

(فالمؤرخون وعلماء اللاهوت يجمعون على أن هناك الكثير من غير بني إسرائيل، ممن اعتنق اليهودية منذ بدء دعوة موسى عليه السلام، وعلى رأسهم هؤلاء جميعا السحرة المصريون والذين تكاد تجمع الكتب المقدسة من قبل والمؤرخون من بعد على أنهم هم الذين آمنوا بدعوة موسى عليه السلام عن عقيدة وإيمان)[5].

1- ابن كثير: قصص الأنبياء، ط2، دار الإمام مالك للكتاب، الجزائر، 1432هـ، 2011م، ص236.
2- حسن الباش: التوراة والقرآن، ج1، ص 244.
3- انظر كتاب الفصل لابن حزم، ج1،ص331-332.
4-سورة الشعراء :54.
5-محمد بيومي مهران :بنو اسرائيل، ج5،ص124.

يقول جوستاف لوبون:(ولحق ببني إسرائيل عدد من المصريين الساخطين ومن الأسارى ومن العبيد المتمردين ولما جاوز بنو إسرائيل بحر القلزم-الأحمر- بدوا عشيرة أي جماعة مصرة على الظهور بأنها نسل رجل واحد، وإن كانت فاتحة صفوفها بالحقيقة لجميع الفّرار المستعدين لانتحال اسمها وتقاليدها، ومعبوداتها الأهلية)[1].

ويعتبر الباحثون أن مرحلة الخروج هي مرحلة فاصلة للنقاوة الجنسية لبني إسرائيل[2]، فلم يعد شعب إسرائيل سلالة واحدة حيث اختلطوا بالمصريين والفلسطينيين والبابليين خلال السبي وغيرهم من الشعوب التي عاشوا معها، مما يبطل ادّعاء الاختصاص بالوعد الذي جعلوه في سلالة يعقوب عليه السلام.

3-وعد الله لبني إسرائيل:

بعد هلاك فرعون ومن معه وخروج بني إسرائيل من مصر يخبرنا القرآن الكريم أن الله أورث بني إسرائيل الأرض، وأنه أتم كلمته عليهم قال تعالى: ﴿ وَأَوْرَثْنَا ٱلْقَوْمَ ٱلَّذِينَ كَانُواْ يُسْتَضْعَفُونَ مَشَٰرِقَ ٱلْأَرْضِ وَمَغَٰرِبَهَا ٱلَّتِى بَٰرَكْنَا فِيهَا ۖ وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ ٱلْحُسْنَىٰ عَلَىٰ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ بِمَا صَبَرُواْ ۖ وَدَمَّرْنَا مَا كَانَ يَصْنَعُ فِرْعَوْنُ وَقَوْمُهُۥ وَمَا كَانُواْ يَعْرِشُونَ ﴿١٣٧﴾﴾[3].

ويحتمل أن يكون المقصود بلفظ "كلمة ربك" هنا هو (وعد الله لبني إسرائيل على لسان موسى في قوله:﴿ قَالَ عَسَىٰ رَبُّكُمْ أَن يُهْلِكَ عَدُوَّكُمْ وَيَسْتَخْلِفَكُمْ فِى ٱلْأَرْضِ فَيَنظُرَ كَيْفَ تَعْمَلُونَ ﴿١٢٩﴾﴾[4]، أو على لسان إبراهيم وهي وعد تمليكهم الأرض المقدسة، فتمام الكلمة تحقيق وعدها)[5]، والله لما أورثهم هذه الأرض لا يعني تمكينهم فيها لمدة طويلة، فقد يذهب الميراث بأسرع مما جاء[6]، فهم ورثوها لصلاحهم وكفر الفراعنة والأمم التي كانت تسكنها في ذلك الوقت، ثم نزعت منهم لما كفروا وظلموا لأنه لا مجال لأن يختصهم الله بالميراث بعيدا عن الصلاح الذي هو شرط في وراثة الوعد.

وهذا يتوافق مع الآية:﴿ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ كَمَا ٱسْتَخْلَفَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ ٱلَّذِى ٱرْتَضَىٰ لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّنۢ بَعْدِ خَوْفِهِمْ

1-جوستاف لوبون: اليهود في تاريخ الحضارات، ص50.

2- للاستزادة في هذا الموضوع انظر كتاب بنو إسرائيل لمحمد بيومي مهران ،ج5، ففيه تفنيد لأسطورة الوعد من خلال إبطال مزاعم النقاوة الجنسية.

3- سورة الأعراف: 137.

4-سورة الأعراف : 129.

5-ابن عاشور : التحرير والتنوير، ج9، ص77.

6-محمد أبو زيد : نظرة قرآنية في العهود التوراتية،ص39.

أَمْنًا ۚ يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئًا ۚ وَمَن كَفَرَ بَعْدَ ذَٰلِكَ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ ﴿٥٥﴾﴾[1]، ويتوافق كذلك مع قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي الزَّبُورِ مِن بَعْدِ الذِّكْرِ أَنَّ الْأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِيَ الصَّالِحُونَ ﴿١٠٥﴾﴾[2]، فالله وعد المؤمنين الصالحين منذ الأزل بأن يورثهم الأرض ما داموا على العهد، وهذا ينطبق على بني إسرائيل وغيرهم فلا داعي للاختصاص هنا.

إذن الوعد بالأرض منوط بالإيمان بالله تعالى وحده والاستقامة على ذلك الإيمان، وقد أنجز الله سبحانه وتعالى وعده لإبراهيم وإسحق ويعقوب علهم السلام ووفوا بالشرط كلهم، ثم رحل يعقوب عليه السلام مع أولاده إلى مصر بسبب القحط، ومكثوا فيها زمنا، ثم خرج بهم موسى وهارون علهما السلام ليعودوا إلى تلك الأرض، لكنهم لم يكونوا أهلا للوفاء بالشرط وتنفيذ الوعد في ذلك الوقت، فعاقبهم بالتيه في الصحراء أربعين سنة دون أن يدخلوها، فلما انقرض ذلك الجيل المشاكس، وظهر جيل صالح تم تنفيذ الوعد، فعبر بهم يشوع بن نون نهر الأردن، وفتحوا الأرض وسكنوها[3].

والأرض التي أورثها الله بني إسرائيل هي المسجد الأقصى وما حوله[4]، وقد تكون الشام كلها[5] أو بعضها[6]، ولا يمكن القول أن المقصود بالأرض هنا هو مصر لأن بنو إسرائيل خرجوا منها وتاهوا في سيناء وليس هناك أي دليل على أنهم حكموا مصر،(فلم يخبرنا القرآن من الذي حكم مصر في زمن موسى عليه السلام ولا بعده ولا حدود حكمه بالتفصيل، وفي حالة وجوده فإنه كان لفترة بسيطة من الزمن وذلك لسببين:

أ-لكثرة كفر اليهود وسرعة تفلّتهم من الديانات وكان الله يعالجهم بالقوبة المدمرة التي تسلبهم كل عز كما هو حالهم في بلاد الشام إن لم يكن أشدّ.

ب-عدم وجود آثار أو نقوش إلى هذه اللحظة تشير إلى ذلك)[7].

والذي يرجح أن الأرض المقصودة لا تخرج عن دائرة فلسطين والشام هو وصف الموروث بالبركة وهذا من خصائص بلاد الشام، (وكان دخولهم الأرض المباركة بعد التيه في سيناء أربعين سنة)[8].

1-سورة النور :55.
2-سورة الأنبياء :105.
3- عبد الوهاب طويلة : مغالطات اليهود، ص210.
4-عمر الأشقر :قصص التوراة، ص77.
5-ابن كثير : تفسير القرآن، مج2، ج3، ص304.
6-محمد أبو زيد : نظرة قرآنية في العهود التوراتية ، ص40.
7-محمد أبو زيد : نظرة قرآنية في العهود التوراتية ، ص37.
8-صلاح الخالدي: حقائق قرآنية، ص31.

يقول ابن عاشور:(والمراد هنا تمليك بني إسرائيل جميع الأرض المقدسة بعد أهلها من الأمم التي كانت تملكها من الكنعانيين وغيرهم، وقد قيل إن فرعون كان له سلطان على بلاد الشام، فملكهم الله الأرض وجعلهم أمة حاكمة جزاء لهم على ما صبروا على الاستعباد، غيرة من الله على عبيده، وفي هذه الآية التعريض ببشارة المؤمنين بمحمد صلى الله عليه وسلم بأنهم ستكون لهم عاقبة السلطان كما كانت لبني إسرائيل، جزاء على صبرهم على الأذى في الله، ونذارة المشركين بزوال سلطان دينهم)[1].

فالوعد في القرآن الكريم لم يكن هو الباعث على الخروج من مصر، بل خروج بني إسرائيل كان سببه الاضطهاد الذي حصل لهم في أرض مصر، فالله أراد أن ينصر الفئة المؤمنة المتبعة لموسى عليه السلام، ويجعلهم أئمة في الخير والصلاح، فالوعد نتيجة كما قلنا وليس عطاء دون مقابل، فهو مشروط بالوفاء بعهد الله تعالى.

ومن الشروط التي أمر الله بني إسرائيل بتحقيقها هو طاعة موسى والعمل بالتوراة وبما جاء فيها من تعاليم ربانية، (ففي سيناء ذهب موسى لميقات ربه ليتلقى تعاليم الشريعة من قبل وحى الله عز وجل، وقد غاب موسى عن قومه ثلاثين يوما وأتبعها بعشر ليال ثم تلقى رسالة السماء)[2]، وأنزل الله عليه التوراة في الألواح،(وكانت الألواح من جوهر نفيس، وفي الصحيح أن الله كتب له التوراة بيده، وفيها مواعظ عن الآثام، وتفصيل كل ما يحتاجون إليه من الحلال والحرام والحدود والأحكام)[3].

يقول تعالى: ﴿ وَوَٰعَدۡنَا مُوسَىٰ ثَلَٰثِينَ لَيۡلَةٗ وَأَتۡمَمۡنَٰهَا بِعَشۡرٖ فَتَمَّ مِيقَٰتُ رَبِّهِۦٓ أَرۡبَعِينَ لَيۡلَةٗۚ وَقَالَ مُوسَىٰ لِأَخِيهِ هَٰرُونَ ٱخۡلُفۡنِي فِي قَوۡمِي وَأَصۡلِحۡ وَلَا تَتَّبِعۡ سَبِيلَ ٱلۡمُفۡسِدِينَ ﴿١٤٢﴾ وَلَمَّا جَآءَ مُوسَىٰ لِمِيقَٰتِنَا وَكَلَّمَهُۥ رَبُّهُۥ قَالَ رَبِّ أَرِنِيٓ أَنظُرۡ إِلَيۡكَۚ قَالَ لَن تَرَىٰنِي وَلَٰكِنِ ٱنظُرۡ إِلَى ٱلۡجَبَلِ فَإِنِ ٱسۡتَقَرَّ مَكَانَهُۥ فَسَوۡفَ تَرَىٰنِيۚ فَلَمَّا تَجَلَّىٰ رَبُّهُۥ لِلۡجَبَلِ جَعَلَهُۥ دَكّٗا وَخَرَّ مُوسَىٰ صَعِقٗاۚ فَلَمَّآ أَفَاقَ قَالَ سُبۡحَٰنَكَ تُبۡتُ إِلَيۡكَ وَأَنَا۠ أَوَّلُ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ﴿١٤٣﴾ قَالَ يَٰمُوسَىٰٓ إِنِّي ٱصۡطَفَيۡتُكَ عَلَى ٱلنَّاسِ بِرِسَٰلَٰتِي وَبِكَلَٰمِي فَخُذۡ مَآ ءَاتَيۡتُكَ وَكُن مِّنَ ٱلشَّٰكِرِينَ ﴿١٤٤﴾ وَكَتَبۡنَا لَهُۥ فِي ٱلۡأَلۡوَاحِ مِن كُلِّ شَيۡءٖ مَّوۡعِظَةٗ وَتَفۡصِيلٗا لِّكُلِّ شَيۡءٖ فَخُذۡهَا بِقُوَّةٖ وَأۡمُرۡ قَوۡمَكَ يَأۡخُذُواْ بِأَحۡسَنِهَاۚ سَأُوْرِيكُمۡ دَارَ ٱلۡفَٰسِقِينَ ﴿١٤٥﴾ ﴾[4].

ولم يخبرنا القرآن عن العهد الذي ذكرته التوراة بتمليك أرض الكنعانيين وغيرهم من سكان فلسطين، ولا يوجد في القرآن أي ذكر للدم الذي رشه موسى على الشعب كعلامة للعهد، فالله أنزل التوراة هدى ونور،

1-ابن عاشور : التحرير والتنوير، ج9، ص76.
2- حسن الباش: التوراة والقرآن، ج1، ص257.
3-ابن كثير : قصص الأنبياء، ص296.
4- سورة الأعراف: 142- 145.

وأمر موسى وقومه أن يعملوا بما جاء فيها من شرائع وأحكام، فمهمة موسى عليه السلام ليست تحقيق المكاسب المادية لبني إسرائيل وإنما مهمته هي الهداية والإرشاد لطريق الخير والصلاح وهذه هي وظيفة كل نبي في كل زمان ومكان، وهو العهد المأخوذ على كل الأنبياء.

المطلب الثاني: أمر الله لبني إسرائيل بفتح الأرض المقدسة وجبن بني إسرائيل

الذي يتأمل في القرآن الكريم يعلم أن بني إسرائيل الذين خرجوا مع موسى عليه السلام كانوا غير مؤهلين لنيل الوعد، فبالرغم من الآيات التي رأوها من غرق فرعون وإهلاكه، وإنزال المن والسلوى عليهم وتفجير العيون وتظليل الغمام عليهم وغيرها من المعجزات، إلا أنهم ارتكبوا مخالفات كثيرة تصل إلى درجة الكفر.

فمن المخالفات التي ارتكبها القوم عبادتهم العجل الذهبي الذي صنعه لهم السامري، وذلك لما ذهب موسى ليتلقى التوراة (وقد وعدوا موسى عليه السلام أن يقيموا على أمره وما تركهم عليه من الإيمان، فأخلفوا موعده بعبادتهم العجل)[1]، وفي هذه النقطة يختلف القرآن تماما مع التوراة، فهارون عليه السلام الذي اتهمته التوراة بصناعة العجل وأمرهم بعبادته له صورة مغايرة في القرآن، فالقرآن الكريم يخبرنا أن هارون عليه السلام نهاهم عن عبادة العجل وحذرهم من الشرك، ولكن القوم لم يسمعوا له، وهنا يتبين لنا مدى التمرد الذي وصل إليه بنو إسرائيل.

قال تعالى: ﴿وَمَآ أَعۡجَلَكَ عَن قَوۡمِكَ يَٰمُوسَىٰ ﴿٨٣﴾ قَالَ هُمۡ أُوْلَآءِ عَلَىٰٓ أَثَرِي وَعَجِلۡتُ إِلَيۡكَ رَبِّ لِتَرۡضَىٰ ﴿٨٤﴾ قَالَ فَإِنَّا قَدۡ فَتَنَّا قَوۡمَكَ مِنۢ بَعۡدِكَ وَأَضَلَّهُمُ ٱلسَّامِرِيُّ ﴿٨٥﴾ فَرَجَعَ مُوسَىٰٓ إِلَىٰ قَوۡمِهِۦ غَضۡبَٰنَ أَسِفٗاۚ قَالَ يَٰقَوۡمِ أَلَمۡ يَعِدۡكُمۡ رَبُّكُمۡ وَعۡدًا حَسَنًاۚ أَفَطَالَ عَلَيۡكُمُ ٱلۡعَهۡدُ أَمۡ أَرَدتُّمۡ أَن يَحِلَّ عَلَيۡكُمۡ غَضَبٞ مِّن رَّبِّكُمۡ فَأَخۡلَفۡتُم مَّوۡعِدِي ﴿٨٦﴾ قَالُواْ مَآ أَخۡلَفۡنَا مَوۡعِدَكَ بِمَلۡكِنَا وَلَٰكِنَّا حُمِّلۡنَآ أَوۡزَارٗا مِّن زِينَةِ ٱلۡقَوۡمِ فَقَذَفۡنَٰهَا فَكَذَٰلِكَ أَلۡقَى ٱلسَّامِرِيُّ ﴿٨٧﴾ فَأَخۡرَجَ لَهُمۡ عِجۡلٗا جَسَدٗا لَّهُۥ خُوَارٞ فَقَالُواْ هَٰذَآ إِلَٰهُكُمۡ وَإِلَٰهُ مُوسَىٰ فَنَسِيَ ﴿٨٨﴾ أَفَلَا يَرَوۡنَ أَلَّا يَرۡجِعُ إِلَيۡهِمۡ قَوۡلٗا وَلَا يَمۡلِكُ لَهُمۡ ضَرّٗا وَلَا نَفۡعٗا ﴿٨٩﴾ وَلَقَدۡ قَالَ لَهُمۡ هَٰرُونُ مِن قَبۡلُ يَٰقَوۡمِ إِنَّمَا فُتِنتُم بِهِۦۖ وَإِنَّ رَبَّكُمُ ٱلرَّحۡمَٰنُ فَٱتَّبِعُونِي وَأَطِيعُوٓاْ أَمۡرِي ﴿٩٠﴾ قَالُواْ لَن نَّبۡرَحَ عَلَيۡهِ عَٰكِفِينَ حَتَّىٰ يَرۡجِعَ إِلَيۡنَا مُوسَىٰ ﴿٩١﴾﴾[2].

فالله وعدهم وعدا حسنا ولكنهم كفروا بعبادتهم للعجل، والوعد الحسن قيل أن المقصود به:

1-أن الله وعدهم أن يعطيهم التوراة التي فيها هدى ونور، ولا وعد أحسن من ذلك وأجمل[3].

1-الزمخشري : الكشاف، ج2،ص550.

2-سورة طه :83-91.

3-الزمخشري:الكشاف، ج2، ص549.

2- وعدهم بالنصر ودخول الأرض المقدسة في ظل التوحيد[1]، باعتبارهم المسلمين في ذلك الوقت الوارثين للمقدسات.

ومن المخالفات التي اقترفها بنو إسرائيل رفضهم دخول الأرض المقدسة التي أمرهم الله بفتحها ونشر دين الإسلام، ولا يمكن أن يقال غير هذا، فلا يمكن القول أن الله أمرهم بدخول الأرض ليمتلكوها ويخرجوا منها أهلها، وهذا ما فعله الفاتحون المسمون في عصر الرسول صلى الله عليه وسلم والخلفاء الراشدين فلم يقتلوا ولم يدمروا ولم يكن هدفهم امتلاك الأراضي، فالرسول عليه الصلاة والسلام لم يستعمل السيف إلا ضد الذين حاربوه وحالوا دون وصول الحق للعالمين.

(قام موسى عليه السلام وذكر بنى إسرائيل بنعم الله عليهم قبل أن يخبرهم بوجوب قتال العماليق الذين كانوا في الأرض المقدسة، ومن أَجَلِّ تلك النعم عليهم تتالى الأنبياء فيهم منذ إبراهيم عليه السلام إلى عيسى عليه السلام كلما مات نبي أو قتل بعث الله فيهم نبيا آخر، وجعل فيهم ملوكا حيث جعل طالوت "شاول" ملكا وجاء بعده داوود وسليمان واستمرت المملكة بعد سليمان في "يهوذا"دولة يهوذا ، و"إسرائيل " دولة إسرائيل لعدة قرون قبل خرابهما)[2].

قال تعالى: ﴿ وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِۦ يَٰقَوْمِ ٱذْكُرُوا۟ نِعْمَةَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَعَلَ فِيكُمْ أَنۢبِيَآءَ وَجَعَلَكُم مُّلُوكًا وَءَاتَىٰكُم مَّا لَمْ يُؤْتِ أَحَدًا مِّنَ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٢٠﴾ ﴾[3].

في هذه الآية بيان لنعم ثلاث أسبغها الله تعالى عليهم:

-**النعمة الأولى:** هي جعل كثير من الأنبياء فيهم كموسى وهارون وزكرياء ويحي وعيسى عليهم السلام، ولم يبعث الله تعالى أنبياء في أمة من الأمم كما بعث في بنى إسرائيل.

-**النّعمة الثانية:** فهي جعلكم ملوكا، أي جعلكم أحرار تملكون أمر أنفسكم بعد أن كنتم مملوكين لفرعون وقومه أو جعلكم تملكون المساكن وتستعملون الخدم بعد أن كنتم لا تملكون شيئا من ذلك.

-**النعمة الثالثة:** فهي أنه سبحانه آتاهم من ألوان الإكرام والمنن ما لم يؤت أحدا من عالمي زمانهم، فقد فلق لهم البحر وأغرق عدوهم وأنزل عليهم المّن والسلوى، وفجر لهم من الحجر اثنا عشر عينا[4].

وبعد هذا التذكير من موسى عليه السلام لبنى إسرائيل بنعم الله وآلائه عليهم، حرضهم على الجهاد ودخول الأرض المقدسة لفتحها وتطهيرها من الشرك، ومن ثم السكنى فيها والإقامة بها ماداموا متمسكين بملة إبراهيم عليه السلام، (فليس لنسل إبراهيم عليه السلام أن يتمكنوا في الأرض إلا إذا سلكوا سبيل

1-سيد قطب : في ظلال القرآن، مج4، ج16،ص2347(طبعة دار الشروق).

2- محمد علي البار: الله والأنبياء، ص253.

3- سورة المائدة: 20.

4- محمد سيد طنطاوي: بنو إسرائيل في القرآن والسنة، ط2، دار الشروق، القاهرة، مصر، 1420هـ، 2000م، ص484.

أبيهم في التقوى والصلاح ، إذ ليس الوعد مرتبط بنسل ارتباطا أبديا مطلقا وإنما هو مرتبط بأهل الصلاح)[1].

يقول الله تعالى: ﴿ يَـٰقَوْمِ ٱدْخُلُوا۟ ٱلْأَرْضَ ٱلْمُقَدَّسَةَ ٱلَّتِى كَتَبَ ٱللَّهُ لَكُمْ وَلَا تَرْتَدُّوا۟ عَلَىٰٓ أَدْبَارِكُمْ فَتَنقَلِبُوا۟ خَـٰسِرِينَ ﴿٢١﴾ قَالُوا۟ يَـٰمُوسَىٰٓ إِنَّ فِيهَا قَوْمًا جَبَّارِينَ وَإِنَّا لَن نَّدْخُلَهَا حَتَّىٰ يَخْرُجُوا۟ مِنْهَا فَإِن يَخْرُجُوا۟ مِنْهَا فَإِنَّا دَٰخِلُونَ ﴿٢٢﴾ قَالَ رَجُلَانِ مِنَ ٱلَّذِينَ يَخَافُونَ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِمَا ٱدْخُلُوا۟ عَلَيْهِمُ ٱلْبَابَ فَإِذَا دَخَلْتُمُوهُ فَإِنَّكُمْ غَـٰلِبُونَ ۚ وَعَلَى ٱللَّهِ فَتَوَكَّلُوٓا۟ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿٢٣﴾ قَالُوا۟ يَـٰمُوسَىٰٓ إِنَّا لَن نَّدْخُلَهَآ أَبَدًا مَّا دَامُوا۟ فِيهَا ۖ فَٱذْهَبْ أَنتَ وَرَبُّكَ فَقَـٰتِلَآ إِنَّا هَـٰهُنَا قَـٰعِدُونَ ﴿٢٤﴾ ﴾[2].

قال ابن كثير:(أخبر تعالى عن تحريض موسى عليه السلام لبنى إسرائيل على الجهاد والدخول إلى بيت المقدس، الذي كان بأيديهم زمان أبيهم يعقوب، لما ارتحل هو وبنوه وأهله إلى بلاد مصر أيام يوسف عليه السلام، ثم لم يزالوا بها حتى خرجوا مع موسى فوجد فيها قوما من العمالقة الجبارين، قد استحوذوا عليها وتملكوها، فأمرهم رسول الله موسى عليه السلام بالدخول إليها وبقتال أعدائهم، وبشرهم بالنصرة وبالظفر عليهم، فنكلوا وعصوا وخالفوا أمره)[3].

وسبب عصيان بنى إسرائيل لموسى عليه السلام ما أذاعه النقباء من أخبار مهيلة مخيفة تصف العمالقة الكنعانيين بصفات لا تكاد تتصور في العقول، اللهم إلا اثنين منهم وهما يوشع بن نون وكالب بن يفنه وهما اللذان قال الله تعالى عنهما : " قال رجلان من الذين يخافون " أمر الله تعالى، " أنعم الله عليهما " فعصمهما من إفشاء سّر ما رأوا من قوة الكنعانيين إلا لموسى عليه السلام قالا للقوم:" ادخلوا عليهم الباب" أي باب المدينة فإذا دخلتموه فإنكم غالبون، "وذلك لعنصر المباغتة وهو عنصر مهم في الحروب، " على الله فتوكلوا " وهاجموا القوم واقتحموا عليهم المدينة "إن كنتم مؤمنين" بما أوجب الله عليكم من جهاد وكتب لكم من الاستقرار بهذه البلاد والعيش بها لأنها أرض القدس والطهر[4].

ولكن بنى إسرائيل قالوا غير عابئين بالنصيحة، بل معلنين العصيان والمخالفة: "يا موسى لن ندخل هذه الأرض- التي وعدتنا بدخولها- في أي وقت من الأوقات، وبأية حال من الأحوال فضلا عن أن نقتحمها عليهم ما داموا هم يقومون فيها لأننا لا طاقة لنا بقتالهم"، ثم أضافوا إلى هذا القول الذي ينم عن جنبهم وجزعهم، سلاطة في اللسان، وسوء أدب في التعبير، وتطاولا على نبيهم عليه السلام، فقالوا " فاذهب أنت

1-عبد الوهاب طويلة: مغالطات اليهود، ص215.

2- سورة المائدة: 21– 24.

3- ابن كثير: تفسير القرآن العظيم،مج2، ج3، ص 49.

4- أبو بكر جابر الجزائري: أيسر التفاسير، ج1، ص616.

وربك فقاتلا إنا ها هنا قاعدون "[1]، فأعلنوها بلا مواربة لموسى عليه السلام أنهم لن يدخلوا تلك الأرض أبدا مهما كان فيها من خير، ومهما كان هناك وعد من الله بالغلبة والفوز ومهما كانت المغريات وحجتهم في ذلك أنهم يخشون قتال الجبارين والحقيقة أنهم يهابون الموت[2].

خرق بنو إسرائيل بهذه الحادثة شرط تمكينهم في الأرض المقدسة، فعصوا نبيهم موسى عليه السلام، وقالوا له اذهب أنت وربك فقاتلا وكأن رب موسى ليس هو رب بني إسرائيل، وهذا التمرد على نبي الله الذي ذكره لنا القرآن يتوافق مع ما ذكرته التوراة، وهو سلسلة من سلاسل العصيان والردة التي حدثت في أوساط بني إسرائيل.

يقول ابن كثير معقبا على هذه القصة:(وهذه القصة تضمنت تقريع اليهود وبيان فضائحهم ومخالفتهم لله ولرسوله ونكولهم عن طاعتهما فيما أمرهم به من الجهاد، فضعفت أنفسهم عن مصابرة الأعداد ومجالدتهم ومقاتلتهم، مع أن بين أطهرهم رسول الله صلى الله عليه وسلم وكليمه وصفية من خلقه في ذلك الزمان، وهو يعدهم بالنصر والظفر بأعدائهم هذا وقد شاهدوا ما أحل الله بعدوهم فرعون من العذاب والنكال والغرق له وجنوده في اليم وهم ينظرون لتقر به أعينهم وما بالعهد من قدم، ثم ينكلون عن مقاتلة أهل بلد هي بالنسبة إلى ديار مصر لا توازي عشر المعشار في عدة أهلها وعددهم، فظهرت قبائح صنيعهم للخاص والعام وافتضحوا فضيحة لا يغطيها الليل، ولا يسترها الذيل، هذا وهم في جهلهم يعمهون وفي غيهم يترددون، وهم البغضاء إلى الله وأعداؤه، ويقولون مع ذلك ﴿ نَحْنُ أَبْنَٰٓؤُاْ ٱللَّهِ وَأَحِبَّٰٓؤُهُۥ ﴾[3])[4].

المطلب الثالث: الحرمان من دخول الأرض والعقاب بالتيه لعصيانهم

جبن بنو إسرائيل وعصوا أمر الله وأمر نبيه موسى عليه السلام بالجهاد ودخول الأرض المقدسة، ولم يفدهم التذكير بنعم الله عليهم واختيارهم ليكونوا حاملي رسالة التوحيد وإعطائهم الأرض المقدسة إن هم استقاموا على طاعة الله وأطاعوا أوامره واجتنبوا نواهيه، كما لم تفد محاولة الرجلان اللذان كانا يخافان الله.

(بل قالوا لنبيهم موسى عليه السلام : إنا لن ندخل هذه الأرض طول حياتنا مادام هؤلاء القوم الأقوياء فيها، فإن كنت مصمما على دخولها، فاذهب أنت وربك لقتالهم وأخرجاهم منها، أما نحن فهاهنا قاعدون منتظرون، فجعل موسى عليه السلام يشكو إلى مولاه فسوق قومه وجبنهم)[5].

1- محمد سيد طنطاوي: بنو إسرائيل..، ص487.

2-حسن عوض: بداية ونهاية دولة إسرائيل رؤية تاريخية ودينية،ط2،دار هاجر، بنها، مصر، 2002م، ص410.

3- سورة المائدة: 18.

4- ابن كثير: تفسير القرآن العظيم، ج2، ص53.

5- محمد سيد طنطاوي: بنو إسرائيل..، ص482.

يقول تعالى مبينا هذا الموقف: ﴿ قَالُواْ يَـٰمُوسَىٰٓ إِنَّا لَن نَّدۡخُلَهَآ أَبَدٗا مَّا دَامُواْ فِيهَا فَٱذۡهَبۡ أَنتَ وَرَبُّكَ فَقَٰتِلَآ إِنَّا هَٰهُنَا قَٰعِدُونَ ﴿٢٤﴾ قَالَ رَبِّ إِنِّي لَآ أَمۡلِكُ إِلَّا نَفۡسِي وَأَخِيۖ فَٱفۡرُقۡ بَيۡنَنَا وَبَيۡنَ ٱلۡقَوۡمِ ٱلۡفَٰسِقِينَ ﴿٢٥﴾ قَالَ فَإِنَّهَا مُحَرَّمَةٌ عَلَيۡهِمۡۛ أَرۡبَعِينَ سَنَةٗۛ يَتِيهُونَ فِي ٱلۡأَرۡضِۚ فَلَا تَأۡسَ عَلَى ٱلۡقَوۡمِ ٱلۡفَٰسِقِينَ ﴿٢٦﴾ ﴾[1].

(لما نكل بنو إسرائيل عن القتال غضب عليهم موسى عليه السلام، وقال داعيا عليهم:"رب إني لا أملك إلا نفسي أخي"، أي ليس أحد يطيعني منهم فيمتثل أمر الله ويجيب إلى ما دعوت إليه إلا أنا وأخي هارون، " فافرق بيننا وبين القوم الفاسقين "، قال العوفي عن ابن عباس يعني اقض بيني وبينهم)[2].

يقول المراغي:("فافرق بيننا وبين القوم الفاسقين" الفرق الفصل بين الشيئين أو الأشياء أي فافصل بيننا- يريد نفسه وأخاه -وبين القوم الفاسقين عن طاعتك بقضاء تقضية بيننا، فتحكم لنا بما نستحق، وعليهم مما يستحقون، فقد صرنا لهم خصما وصاروا خصما لنا، وقيل إن المعنى: إذا أخذتهم بالعقاب على فسوقهم فلا تعاقبنا معهم في الدنيا)[3].

وهذا الفعل الشنيع الذي فعله بنو إسرائيل مخالف تماما لما كان من صحابة النبي صلى الله عليه وسلم يوم بدر، روى البخاري عن ابن مسعود رضي الله عنه أنه قال:(شهدت من المقداد بن الأسود مشهدا لأن أكون صاحبه أحب إلي مما عدل به، أتى النبي صلى الله عليه وسلم وهو يدعو على المشركين، فقال:" لا نقول كما قال قوم موسى "اذهب أنت وربك فقاتلا"، ولكنا نقاتل عن يمينك وعن شمالك وبين ويديك وخلفك"، فرأيت النبي صلى الله عليه وسلم أشرق وجهه وسره يعني قوله)[4].

﴿قَالَ فَإِنَّهَا مُحَرَّمَةٌ عَلَيۡهِمۡۛ أَرۡبَعِينَ سَنَةٗۛ يَتِيهُونَ فِي ٱلۡأَرۡضِۚ فَلَا تَأۡسَ عَلَى ٱلۡقَوۡمِ ٱلۡفَٰسِقِينَ ﴾.

(أي قال الله لموسى مجيبا لدعائه إجابة متصلة به: فإنها محرمة على بنى إسرائيل تحريما فعليا لا تكليفا شرعيا مدة أربعين سنة يقيمون في الأرض، أي يسيرون في برية من الأرض تائهين متحيرين لا يدرون أين يتيهون في سيرهم، فلا تحزن عليهم لأنهم فاسقون مستحقون لهذا التأديب الإلهي)[5].

وقد يقول قائل أن هناك تعارضا بين قوله تعالى (كتب لكم) وقوله (محرمة عليهم)، فيقال أنه ليس في الآية أي تناقض ، فدخول الأرض المقدسة كان مشروط بالصلاح، وكما أن الحرمان من الدخول كان

1- سورة المائدة: 24– 26.
2- ابن كثير: تفسير القرآن العظيم، ج1، ص52.
3- أحمد مصطفى المراغي: تفسير المراغي، ج6، ص93.
4-صحيح البخاري: كتاب المغازي، رقم(3952).
5- محمد رشيد رضا: تفسير المنار، ط2، دار المنار، القاهرة، مصر، 1367 هـ، ج6، ص336.

للعصاة منهم لا لجميعهم.

يقول الرازي مجيبا:(والجواب: قال ابن عباس:" كانت هبة لهم ثم حرمها عليهم بشؤم تمردهم وعصيانهم"، وقيل: "اللفظ وإن كان عاما ولكن المراد هو الخصوص، فصار وكأنه مكتوب لبعضهم، وحرام على بعضهم"، وقيل:" إن الوعد بقوله (كتب الله لكم) مشروط بقيد الطاعة، فلما لم يوجد الشرط لا جرم لم يوجد المشروط"، وقيل:" إنها محرمة عليهم أربعين سنة، فلما مضى الأربعون حصل ما كتب")[1].

فالله عاقب الذين امتنعوا عن دخول الأرض المقدسة بأمرين:

أ-أنه حرم عليهم دخول هذه الأرض أبدا والذين دخلوها بعذلك هم أولادهم أما هم فإن الله حرمها عليهم.

ب-أن الله عاقبهم بالتيه لمدة أربعين سنة[2].

إذن فالله أعطاهم الأرض المقدسة للسكنى لا للتملك، لأن بيت المقدس أرض الأنبياء ومسكن المؤمنين، وقد قسمها الله لأهل طاعته وسماها لهم حيث وعد الله إبراهيم الخليل عليه السلام بحق السكنى في تلك الأراضي المقدسة الطاهرة لا أنها ملك لهم لأن هذا مخالف للواقع[3]، فلو ملكها الله لهم ما ضرب عليهم العقاب بالتيه أرعين سنة.

إن حياة بنى إسرائيل أربعين سنة بوادي سيناء قضت على الجيل المتمرد المتأنف الخنوع، الذي اعتاد الذل والهوان والاستعباد وظهر جيل جديد، أصلب عودا، وأكثر تحملا، وأقل تذمرا، وأقدر على القتال، وأشد اندفاعا للخروج من هذه الحياة القاسية الطويلة في بوادي سيناء، وأصبحوا أسهل انقيادا لموسى عليه السلام وتنفيذا لأمره بدخول الأرض المقدسة[4].

يقول ابن خلدون مبينا الحكمة من التيه:(ويظهر من مساق الآية ومفهومها أن حكمة ذلك التيه مقصودة، وهي فناء الجيل الذين خرجوا من قبضة الذل والقهر والقوة وتخلقوا به وأفسدوا من عصبيتهم حتى نشأ في ذلك التيه جيل آخر عزيز لا يعرف الأحكام والقهر ولا يسام بالمذلة، فنشأت لهم ذلك عصبية أخرى اقتدروا بها على المطالبة والتغلب، ويظهر لك من ذلك أن الأربعين سنة أقل ما يأتي فيها فناء جيل ويأتي جيل آخر، سبحان الحكيم العليم وفي هذا أوضح دليل على شأن العصبية وأنها هي التي تكون بها المدافعة والمقاومة والحماية والمقاومة وأن من فقدها عجز عن جميع ذلك كله)[5].

1-الرازي: مفاتيح الغيب، ج11، ص202.

2- فرج الله عبد الباري: اليهودية بين الوحي ..، ص65.

3- وهبة الزحيلي: مكانة القدس في الأديان السماوية، ط1، دار المكتبي، دمشق، سوريا، 1421هـ، 2001م،ص15.

4- رجا عبد الحميد عرابي: سفر التاريخ اليهودي، ص170.

5-عبد الرحمن بن خلدون : المقدمة، ص139.

ورغم أن بنى إسرائيل كفروا بالنعم الكثيرة وتواقحوا جدا على المولى سبحانه وتعالى حيث قالوا لموسى:" اذهب أنت وربك فقاتلا إنا هاهنا قاعدون "، إلا أن المولى سبحانه وتعالى رأف بهم في التيه، وأعطاهم كثيرا من المعجزات، ففي تلك الصحراء الحارقة التي لا ماء فيها ولا كلأ ولا طعام جعل الله لهم الغمام تظللهم من حر الشمس، وأنبع الماء من الصخر، وأرسل لهم المّن من السماء يهبط على الأرض آخر الليل، فيلتقطونه في الصباح[1] ، ثم تأتى طيور السّمان في المساء، فيتناولونها بأيديهم[2].

قال الله تعالى: ﴿ وَظَلَّلْنَا عَلَيْكُمُ الْغَمَامَ وَأَنزَلْنَا عَلَيْكُمُ الْمَنَّ وَالسَّلْوَىٰ ۖ كُلُوا مِن طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ ۖ وَمَا ظَلَمُونَا وَلَٰكِن كَانُوا أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴿٥٧﴾ ﴾[3].

وقال الله تعالى: ﴿ وَإِذِ اسْتَسْقَىٰ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِ فَقُلْنَا اضْرِب بِّعَصَاكَ الْحَجَرَ ۖ فَانفَجَرَتْ مِنْهُ اثْنَتَا عَشْرَةَ عَيْنًا ۖ قَدْ عَلِمَ كُلُّ أُنَاسٍ مَّشْرَبَهُمْ ۖ كُلُوا وَاشْرَبُوا مِن رِّزْقِ اللَّهِ وَلَا تَعْثَوْا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ﴾[4].

يقول حسن الباش:(لو تصفحنا القرآن الكريم وتتبعنا مسار قصة موسى وبني إسرائيل لوجدنا أن توقفا واضحا يحدث بعد موسى ونستطيع أن نتوقف مع القرآن الكريم عند قوله تعالى : { قال فإنها حرمة عليهم أربعين سنة يتيهون في الأرض، فلا تأس على القوم الفاسقين}، وإذا أخذنا بظاهر السياق القرآني الواضح نرى أن حياة موسى تتوقف هاهنا كما تتوقف حياة هارون، وقد أشرنا أن التيه أربعين سنة جاء بعد مكوث بنى إسرائيل في الصحراء سيناء مدة زمنية طويلة جرت خلالها أحداث كثيرة منها نزول أكثر التعاليم الإلهية على النبي موسى عليه السلام، والأمر بالدخول إلى الأرض المقدسة يأتي بعد جميع الأحداث التي مرت بهذا النبي)[5].

وتذهب المصادر الإسلامية كذا التوراة إلى أن جميع بني إسرائيل الذين خرجوا من مصر قد ماتوا في البرية ولم يروا الأرض المقدسة ماعدا يوشع بن نون وكالب بن يفنه، ومن لم يتجاوز العشرين من أعمارهم، وأن

1-يقول عبد الوهاب طويلة، مغالطات اليهودص179:(والصحيح أن ذلك كان إما في بادئ الأمر خلال مسيرهم في الصحراء وهي مدة قصيرة قبل التيه والتحريم ، ثم تذمروا ولم يصبروا على طعام واحد حتى أتوا إلى أرض عامرة، أما سنين التيه الأربعين فلم يكن ينزل علهم شيء، بل كانوا يأكلون البصل والعدس ونحوهما، وقد ضلّل هذا الادعاء اليهود أنفسهم، مما اضطر الباحثين منهم مؤخرا إلى الشك بمعظم روايات توراتهم، ونشر الكثير من آرائهم).

2- محمد على البار: الله والأنبياء، ص 262.

3- سورة البقرة: 57.

4- سورة البقرة: 60.

5- حسن الباش: التوراة والقرآن، ج1، ص285.

موسى عليه السلام قد عهد إلى يوشع بن نون عليه السلام بأن يدخل ببني إسرائيل الأرض المقدسة من بعده، وأن يوشع بن نون قد بعث نبيا بعد موسى عليه السلام، وأنه هزم الجبارين ودخل مدينتهم[1].

ومما يؤكد أن موسى عليه السلام لم يدخل الأرض المقدسة هو الحديث الذي في صحيح البخاري الذي يرويه أبو هريرة رضي الله عنه:(أرسل ملك الموت إلى موسى عليهما السلام فلما جاءه صكه، فرجع إلى ربه فقال:" أرسلتني إلى عبد لا يريد الموت"، قال:" ارجع إليه فقل له يضع يده على متن ثور فله بما غطت يده بكل شعرة سنة"، قال:"أي ربِّ ثم ماذا؟"، قال: "ثم الموت"، قال فالآن قال:" فسأل الله أن يدنيه من الأرض المقدسة رمية بحجر"، قال أبو هريرة فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "لو كنت ثم لأريتكم قبره إلى جانب الطريق تحت الكثيب الأحمر")[2].

التوراة فيها أن الله غضب على موسى وهارون وحرمهم من دخول الأرض المقدسة بسبب خيانتهما للرب، أما القرآن الكريم فإنه أثنى على هذين النبيين الكريمين ووصفهما بالمحسنين المؤمنين، فنظرة القرآن للرسل هي نظرة تكريم وتشريف، ولا يمكن أن يكون رسل الله إلا صادقين مخلصين في التبليغ عن الله، معصومين، فالأنبياء من آدم عليه السلام إلى محمد صلى الله عليه وسلم دينهم واحد هو الإسلام والدعوة إلى التوحيد هو هدفهم الأول، وهم معصومون فيما يبلغون عن الله، والله ناصرهم ومؤيدهم، ومنجز وعده لهم عليهم السلام.

قال تعالى:﴿وَلَقَدْ مَنَنَّا عَلَىٰ مُوسَىٰ وَهَٰرُونَ ﴿١١٤﴾ وَنَجَّيْنَٰهُمَا وَقَوْمَهُمَا مِنَ ٱلْكَرْبِ ٱلْعَظِيمِ ﴿١١٥﴾ وَنَصَرْنَٰهُمْ فَكَانُوا۟ هُمُ ٱلْغَٰلِبِينَ ﴿١١٦﴾ وَءَاتَيْنَٰهُمَا ٱلْكِتَٰبَ ٱلْمُسْتَبِينَ ﴿١١٧﴾ وَهَدَيْنَٰهُمَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلْمُسْتَقِيمَ ﴿١١٨﴾ وَتَرَكْنَا عَلَيْهِمَا فِى ٱلْءَاخِرِينَ ﴿١١٩﴾ سَلَٰمٌ عَلَىٰ مُوسَىٰ وَهَٰرُونَ ﴿١٢٠﴾ إِنَّا كَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١٢١﴾ إِنَّهُمَا مِنْ عِبَادِنَا ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١٢٢﴾﴾[3].

المطلب الرابع : يوشع بن نون يفتح الأرض المقدسة

نجح موسى عليه السلام في الخروج ببني إسرائيل من مصر، وهناك في صحراوات سيناء المقفرة لقي النبي الكريم من قومه الأمرين، وينتهي الأمر بأن يكتب على الخارجين من مصر أن يتيهوا في الأرض أربعين سنة ينجح بنو إسرائيل في أخرياتها في الوصول إلى تخوم كنعان، وإن لم يكتب لهؤلاء أن يدخلوا الأرض المقدسة أبدا[4].

1- محمد بيومي مهران: دراسات تاريخية من القرآن الكريم، ج2، ص416.

2-رواه البخاري :كتاب أحاديث الأنبياء، باب وفاة موسى،رقم(3407).

3-سورة الصافات :114-122.

4- محمد بيومي مهران: دراسات تاريخية من القرآن الكريم، ج2، ص415.

يقول ابن كثير:(فالذي عليه الجمهور، أن هارون توفي بالتيه قبل موسى أخيه بنحو سنتين، وبعده موسى في التيه أيضا، وأنه سأل ربه أن يقّرب إلى بيت المقدس، فأجيب إلى ذلك، فكان الذي خرج بهم من التيه وقصد بهم بيت المقدس هو يوشع بن نون عليه السلام)[1].

لم يذكر لنا القرآن الكريم عن موسى عليه السلام أنه قام بحروب ولا يوشع بن نون، على خلاف التوراة التي فيها أن موسى ويوشع قاما بحروب تمت من خلالها عمليات إبادة لسكان فلسطين.

وقد ورد في القرآن الكريم ذكر دخول بنى إسرائيل قرية مجهولة لم يحدد اسمها وقد تكون أريحا أو بيت المقدس، (وقد أمرهم الله تعالى أن يدخلوا باب القرية سجدا، أي خاضعين متذللين لله الذي مكنهم من دخولها وأن يقولوا حطة، ولكن القوم عاودتهم سجية مخالفتهم أمر الله تعالى، فقالوا قولا غير الذي أمرهم الله تعالى أن يقولوه ودخلوا وهم عل هيئة غير التي أمروا بها)[2].

وربما أن الجرائم التي ذكرتها التوراة قام بها بعض الظلمة من بني إسرائيل بعد دخولهم الأرض، ولا يمكن نسبتها إلى الأنبياء عليهم السلام، فالله يخبرنا في القرآن الكريم أن من بني إسرائيل من بدل وظلم ودخل الأرض بطرقة مخالفة للشرع الحنيف، فالذي يحرف ويسخر من قول الله تعالى ليس غريبا أن يصدر منه القتل والغدر والجرائم الأخرى.

قال الله تعالى: ﴿ وَإِذْ قُلْنَا ٱدْخُلُواْ هَٰذِهِ ٱلْقَرْيَةَ فَكُلُواْ مِنْهَا حَيْثُ شِئْتُمْ رَغَدًا وَٱدْخُلُواْ ٱلْبَابَ سُجَّدًا وَقُولُواْ حِطَّةٌ نَّغْفِرْ لَكُمْ خَطَٰيَٰكُمْ ۚ وَسَنَزِيدُ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٥٨﴾ فَبَدَّلَ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ قَوْلاً غَيْرَ ٱلَّذِى قِيلَ لَهُمْ فَأَنزَلْنَا عَلَى ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ رِجْزًا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ بِمَا كَانُواْ يَفْسُقُونَ ﴿٥٩﴾ ﴾[3].

في هذه الآيات تجلت حقيقة اليهود وسوء طباعهم وكثرة رعوناتهم وذلك بتغيير الفعل الذي أمروا به، والقول الذي قيل لهم فدخلوا الباب زاحفين على أستاههم قائلين: حبة في شعيرة[4]، ومن ثم انتقم الله منهم

1- ابن كثير: قصص الأنبياء، ص343، قال ابن كثير في البداية والنهاية:(قال الإمام أحمد : حدثنا الأسود ابن عامر حدثنا أبو بكر عن هشام عن ابن سيرين، عن أبي هريرة، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:" إن الشمس لم تحبس لبشر إلا ليوشع ليالي سار إلى بيت المقدس"، انفرد به أحمد من هذا الوجه وهو على شرط البخاري، وفيه دلالة واضحة على أن الذي فتح بيت المقدس هو يوشع بن نون عليه السلام لا موسى ، وأن حبس الشمس كان في بيت المقدس لا أريحا) (البداية والنهاية، ط1، دار هجر، الجيزة، مصر، 1417هـ، 1997م، ج2،ص236).

2- رجا عبد الحميد عرابي: سفر التاريخ اليهودي ، ص183.

3- سورة البقرة: 58 -59.

4-روى البخاري عن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال:(قيل لبني إسرائيل﴿ٱدْخُلُوا ٱلْبَابَ سُجَّدًا وَقُولُواْ حِطَّةٌ﴾، فدخلوا وهم يزحفون على أستاههم، فبدلوا وقالوا :"حطة حبة في شعيرة"). كتاب التفسير، رقم(4479).

فأنزل على الظالمين منهم طاعونا أفنى خلقا كثيرا جزاء فسقهم عن أمر الله عز وجل[1].

والرسول صلى الله عليه وسلم لما دخل مكة يوم فتحها، دخلها وهو راكب ناقته، وهو متواضع حامد شاكر، حتى إن عثنونه وهو طرف لحيته ليمسّ مورك رحله، مما يطأطئ رأسه خضعانا لله عز وجّل، ومعه الجنود والجيوش ممن لا يرى منه إلا الحدق لاسيما الكتيبة الخضراء التي فيها رسول الله صلى الله عليه وسلم، ثم لما دخلها، اغتسل وصلى ثماني ركعات، وهي صلاة الشكر على النصر، وأما بنو إسرائيل فإنهم خالفوا ما أمروا به قولا وفعلا، دخلوا الباب يزحفون على أستاههم وهم يقولون حبة في شعرة وفي رواية حنطة في شعرة، وحاصله أنهم بدلوا ما أمروا به، واستهزءوا به[2].

وفي سورة الأعراف قال تعالى:﴿ وَإِذْ قِيلَ لَهُمُ ٱسْكُنُواْ هَٰذِهِ ٱلْقَرْيَةَ وَكُلُواْ مِنْهَا حَيْثُ شِئْتُمْ وَقُولُواْ حِطَّةٌ وَٱدْخُلُواْ ٱلْبَابَ سُجَّدًا نَّغْفِرْ لَكُمْ خَطِيٓـَٰٔتِكُمْ ۚ سَنَزِيدُ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١٦١﴾ فَبَدَّلَ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ مِنْهُمْ قَوْلًا غَيْرَ ٱلَّذِى قِيلَ لَهُمْ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِجْزًا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ بِمَا كَانُواْ يَظْلِمُونَ ﴿١٦٢﴾ ﴾[3].

(و في جميع الأحوال فإن قول الله سبحانه إن كان ذلك في سورة البقرة أو في سورة الأعراف لا يشير إلى وعد إلهي بتمليك أرض ما، وليست هناك أية إشارة لوعد إلهي بتمليك أرض ما، وليست هناك أية إشارة لوعد إلهي يقطعه لبني إسرائيل بالتوسع واستعمار أرض الميعاد التي هي فلسطين، هناك أمر إلهي بالدخول إلى قرية[4] ما بكل تذلل واحترام لأهل تلك القرية دون غدر أو سفك دم أو استغلال لطيبة السكان الأصليين وغدرهم واحتلال أرضهم، إنّ تأكيد القرآن الكريم على أن هؤلاء بدلوا قول الله من أمر بالدخول إلى القرية المذكورة بسلام وذل إلى أمر بالغزو والقتل هو أكبر دليل على نفي ما سمي بالوعد الإلهي بتمليك الأرض واستعمارها)[5].

فالقرآن يرد بهذا مزاعم التوراة التي جاء فيها وعد الرب مشروط بإبادة الكنعانيين، فالله لا يأمر إلا بالخير والعدل والإحسان وينهى عن البغي والمنكر، وهذا ما تأكده الوصايا العشر التي فيها نهي عن القتل،(فلا

1- أبو بكر الجزائري: أيسر التفاسير، ج1، ص60.

2-ابن كثير: البداية والنهاية:ج2، ص238.

3- سورة الأعراف: 161– 162.

4-ويؤكد علم الآثار وصف القرآن الكريم المدينة المفتوحة بالقرية مما يضعف الروايات التوراتية ويّهنها، يقول إسرائيل فنكل شتاين: (كانت مدن كنعان غير محصنة، ولم يكن لها أسوار يمكن أن تسقط ، في حالة أريحا لم يكن هناك أي أثر لأي مستوطنة، من أي نوع في القرن الثالث عشر ق.م، وكانت المستوطنة الأقدم والتي تعود إلى العصر البرونزي، أي القرن الربع عشر قبل الميلاد، مستوطنة صغيرة وفقيرة، وتافهة تقريبا وغير محصنة، لم تكن هناك أيضا أي علامة تدل على حدوث عملية تدمير، لذا فإن المشهد المشهور للقوات الإسرائيلية التي زحفت حول البلدة وأحاطت بها، يتقدمها تابوت العهد ، ثم إحداث انهيار لأسوار أريحا الهائلة بواسطة نفخ أبواق حرب الإسرائيليين لم يكن في الحقيقة سوى سراب رومانسي) التوراة اليهودية مكشوفة على حقيقتها،ص119.

5- حسن الباش: التوراة والقرآن، ج1، ص287.

يمكن التوفيق بين ما ذكرته الوصايا العشر في النهي عن القتل وبين الوعد المشروط بالقتل والإبادة، وهذا كله دليل على أن الوعد التوراتي مختلق، ولا يمكن أن يحمل طابعا قدسيا)[1].

فدخول بني إسرائيل الأرض المقدسة بمنظور إسلامي وقرآني لم يكن هدفه استعماري توسعي تمليكي، وإنما هو دخول لنشر التوحيد وتطهير تلك البلاد من الشرك (وهذا هو الذي سار عليه الإسلام في فتوحاته فلم يكن هدفه استيطان الأرض ولا حيازتها ولكن كان هدفه نشر كلمة الله سبحانه وتعالى، كما أن الإسلام جاء بمنهج طيب في فتوحاته ومغازيه، ففي حالة الحرب ينهى عن المثلة وقتل الشيوخ والنساء والصبيان، وعن قطع الأشجار أو قتل الدواب أو أصحاب الصوامع)[2].

ويرجح ابن كثير أن هذه القرية هي بيت المقدس وليست أريحا وليست مصر، فيقول:(والصحيح أنها بيت المقدس، وهذا كان لما خرجوا من التيه بعد أربعين سنة مع يوشع بن نون عليه السلام، وفتحها الله عليهم عشية جمعه، وقد حبست لهم الشمس يومئذ قليلا حتى أمكن الفتح، وأمّا أريحا فقرية ليست مقصودة لبنى إسرائيل)[3].

وخلال الفتح حبست الشمس ليوشع بن نون عليه السلام فلم تغرب حتى استكمل الفتح وقد ورد ذلك في عدة أحاديث نبوية منها ما رواه البخاري ومسلم في صحيحيهما.

فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :(غزا بنى من الأنبياء، فقال لقومه:" لا يتبعني رجل ملك بضع امرأة، وهو يريد أن يبنى بها، ولما يبن بها، ولا أحد بنى بيوتا ولم يرفع سقوفها، ولا أحد اشترى غنما أو خلفات وهو ينتظر ولادها "، فغزا فدنا من القرية صلاة العصر أو قريبا من ذلك، فقال للشمس: " إنك مأمورة وأنا مأمور، اللهم احبسها علينا "، فحسبت حتى فتح الله عليه، فجمع الغنائم فجاءت يعنى النار لتأكلها فلم تطعمها، فقال:" إن فيكم غلولا، فليبايعني من كل قبيلة رجل"، فلزقت يد رجل بيده، فقال:" فيكم الغلول، فليبايعني قبيلتك "، فلزقت يد رجلين أو ثلاثة بيده، فقال:" فيكم الغلول "، فجاءوا برأس بقرة من الذهب، فوضعوها فجاءت النار فأكلتها، ثم أحل الله لنا الغنائم، رأى ضعفنا وعجزنا، فأحلها لنا)[4].

1-أحمد سوسة : العرب واليهود في التاريخ، ص(خ خ).

2- عماد علي عبد السميع حسن: الإسلام واليهودية دراسة مقارنة من خلال سفر اللاويين، ط1 ،دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، 1425هـ، 2004م، ص582.

3- ابن كثير: تفسير القرآن العظيم، ج1، ص153.

4- رواه البخاري: كتاب فرض الخمس، رقم(3124)، ورواه مسلم: كتاب الجهاد والسير، باب تحليل الغنائم لهذه الأمة خاصة، رقم(1747).

وسبب حبس الشمس قد يكون بسبب أن ذلك اليوم الذي تم فيه الفتح يوم جمعة، وبالتالي عليه أن يوقف القتال إذا غربت الشمس، لأن دخول الليل يعنى دخول يوم السبت، ومعنى ذلك أنه سيعود عن القرية قبل فتحها وهذا سيعطى أهل القرية فرصة لتقوية جيشهم، وإصلاح أسوارهم وإعداد المزيد من السلاح، فتوجه يوشع إلى الشمس مخاطبا لها قائلا:" إنك مأمورة وأنا مأمور"، ثم دعا ربه قائلا:" اللهم احبسها علينا "، واستجاب الله دعاءه، فأخر الغروب حتى تم النصر[1].

دخل بنو إسرائيل في عهد يوشع بن نون عليه السلام الأرض المقدسة والتي لم يحدد القرآن الكريم المقدار الذي سكن فيه بنو إسرائيل، المهم أن الموروث لا يخرج عن دائرة فلسطين وأرض الشام، وبعد هذا تأتي مرحلة القضاة وإقامة المملكة في عهد داوود وسليمان عليهما السلام والتي تعتبر مملكة إسلامية وليست يهودية، وبهذا تحقق قوله تعالى:

﴿ وَأَوۡرَثۡنَا ٱلۡقَوۡمَ ٱلَّذِينَ كَانُواْ يُسۡتَضۡعَفُونَ مَشَٰرِقَ ٱلۡأَرۡضِ وَمَغَٰرِبَهَا ٱلَّتِي بَٰرَكۡنَا فِيهَاۖ وَتَمَّتۡ كَلِمَتُ رَبِّكَ ٱلۡحُسۡنَىٰ عَلَىٰ بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ بِمَا صَبَرُواْۖ وَدَمَّرۡنَا مَا كَانَ يَصۡنَعُ فِرۡعَوۡنُ وَقَوۡمُهُۥ وَمَا كَانُواْ يَعۡرِشُونَ ﴿١٣٧﴾ ﴾[2].

(فالمعنى الصحيح للآية هو أن الله سبحانه وتعالى عوض بني إسرائيل عن الخيرات التي حرموها في مصر بخروجهم منها خيرات مماثلة لها في فلسطين فهي بلاد ذات جنات وعيون وزروع وثمار ومقام كريم مثل مصر فكأنهم لم يزايلوا مصر ولم يحرموا خيراتها التي أحبوها)[3].

لقد حكم بنو إسرائيل الأرض المقدسة ومكنهم لهم الله في الأرض وحقق وعده لعباده الصالحين من بني إسرائيل بوراثة الأرض، فلما كفروا وزال شرط الخيرية منهم سلط الله عليهم العقاب وأباد ممالكهم الفاسدة واستحقوا اللعن والطرد.

القرآن ينظر للمسلمين في كل زمان ومكان نظرة واحدة مهما كانت أنسابهم وأجناسهم، فبنو إسرائيل لما كانوا مستقيمين على منهج الله كانوا محل مدح من القرآن واعتبرهم القرآن امتدادا للمسلمين ولما كفروا صاروا محل نقد،(فالقرآن فرق بين بني إسرائيل وهم ذرية إبراهيم وبين اليهود الذين كفروا، ولم يذكر هؤلاء اليهود إلا في حالة السخط والغضب)[4].

1- عمر سليمان الأشقر: قصص التوراة، ص262.

2- سورة الأعراف: 137.

3-أحمد الحوفي: حجية التوراة، ص72.

4- ليلى سعد الدين: مثل الذين حملوا التوراة، ص21.

فكّل تاريخ إسلامي وإيماني لبني إسرائيل فالقرآن يمدحه، وكل تاريخ على غير هذه الصفة فالقرآن يرفضه ويجعله محل العتاب واللوم على أصحابه.

فبنو إسرائيل لما كانوا مؤمنين مسلمين متبعين للأنبياء مكن الله لهم في الأرض المقدسة وأنعم عليهم بالنعم الكثيرة، ولما كفروا وزال منهم الصلاح ونزعت منهم الخيرية حقّ عليهم وعيد الله وعقابه.

الفصل الرابع

مصير

الوعود

بعد نقض بني إسرائيل

للعهود

مصير الوعود بعد نقض بني إسرائيل للعهود

بعد يوشع بن نون عليه السلام تأتي مرحلة القضاة ثم إقامة المملكة ثم مرحلة الانقسام والشتات لبني إسرائيل حيث كان يراود اليهود في مرحلة التشرد بين الأمم الحلم بالعودة إلى أرض الميعاد التي وعدهم بها الله على زعمهم، فراحوا يخططون ويكيدون للعودة.

ولم أتعرض في هذا البحث لمرحلة القضاة وإقامة المملكة لأني رأيت أن البحث سيكون طويلا وأن الكلام سيكون من باب التكرار لما سبق ذكره، فمرحلة ما بعد يوشع سأذكرها في ثنايا العرض في الفصلين الرابع والخامس حتى لا يخرج البحث عن مقصده والذي هو تتبع وعود التوراة ومقارنتها بوعود القرآن، فكان هذا الفصل مختلفا عن الفصلين الثاني والثالث من ناحية المحتوى الأسلوب.

تذكر الأسفار اليهودية الوعد أحيانا على أنه وعد وأحيانا أخرى على أنه عهد، فالوعد كما ذكرنا في الفصل الأول يكون عهدا إذا كان علاقة بين طرفين يلتزم فيه كل منهما بما تعهد به للطرف الآخر.

ولذلك نجد أن الوعود التوراتية خاصة في مرحلة موسى كانت مشروطة ومقيدة ببنود العهد الذي ينص على وجوب تمسك بني إسرائيل بالشريعة وأحكام الدين ليتحقق لهم ما وعدهم به الله تعالى.

وسنفصل في هذا الفصل في مضمون العهد وشروطه، كما سنبين أن اليهود لم يلتزموا بالعهد الذي عاهدوا عليه الخالق وذلك عبر العصور التي عاشوها، فالمخالفات التي ارتكبها اليهود جعلتهم يخسرون كل الامتيازات التي حصلوا عليها ومن بينها أفضليتهم على الخلق واختصاصهم بالوعد والتمكين في الأرض وأكبر دليل على ذلك هو المحن والاضطهاد الذي لحق بهم من طرف الشعوب التي عايشوها.

ولذلك سأتحدث عن حال بني إسرائيل مع عهود الله التي خرقوها فعبثوا بشريعة الخالق فاستحقوا بذلك العقاب والخسران لكل الوعود التي منحت لهم، على الرغم من تمسكهم بها وتطلعهم لخلاص موعود لا يعترف به القرآن الكريم.

المبحث الأول: في التوراة

المطلب الأول: اقتران الوعود بالوفاء بالعهود والعمل بالشريعة(وعود مشروطة)

المطلب الثاني: نقض بني إسرائيل للعهود عبر التاريخ وانحرافهم عن الدين

المطلب الثالث:عقاب الله لبني إسرائيل على انحرافهم وكفرهم ونقضهم للعهد

المطلب الرابع:مصير الوعد ومستقبله والخلاص الموعود

المبحث الثاني: في القرآن

المطلب الأول: العهد المأخوذ من الله على بني إسرائيل

المطلب الثاني: نقض بني إسرائيل للعهد والميثاق

المطلب الثالث: عقاب الله لبني إسرائيل

المطلب الثالث: مصير الوعد

المبحث الأول: في التوراة

أتت معظم الوعود التوراتية التي ذكرنا قسطا منها سابقا مشروطة بالصلاح والالتزام بالوصايا العشر وأحكام الشريعة اليهودية وتعاليم التوراة، إلا أن اليهود لم يلتزموا بهذه الشروط التي تحكم بنود العهد، ومع ذلك فهم يتمسون بالوعود ويصرون على التمسك بها وينتظرون مسيحا مخلصا يعيد لهم مملكة داوود الضائعة والفردوس المفقود، وهم بإقامتهم في فلسطين يهيئون لمجيء المخلص الذي سيحكم العالم لمدة ألف عام.

المطلب الأول: وعود مشروطة

بالرغم من أن التوراة محرفة والوعود التي جاءت فيها متضاربة ومتناقضة فيما بينها واستحالة أن تكون من عند الله، إلا أننا نجد أن هذه الوعود لم تكن مطلقة، بل مقترنة بشروط ووصايا وأوامر ونواه تمثل في مجموعها العهد والميثاق، فقبل أن يطالب اليهود بأي حق ينبغي أن يسألوا أنفسهم هل حققوا ما أمروا به من اتّباع الرسل والعمل بالتوراة الحقة التي أنزلها الله على موسى علية السلام وليست المحرفة التي هي بين أيديهم اليوم، أم أنهم تركوها ووقعوا في المحظور الذي نهوا عنه.

يتبيّن من خلال استعراض نصوص أسفار العهد القديم أن الوعود جاءت في اغلبها مقيدة بشروط العهد التي يجب الالتزام بها حتى يتحقق الوعد.

(إن جميع ما يتعلق بالوعد الإلهي مشروط بصدق العقيدة وصالح العمل، بحيث إذا امتنع ذلك الشرط امتنع تحقيق الوعد بمفاهيمه المادية والروحية على السواء)[1]، ولذلك سنذكر بعض هذه الشروط التي اقترنت بالوعد:

أ-الإيمان بالله وعبادته والتحذير من الشرك وعبادة الأصنام.

ب-الالتزام بالشريعة والعمل بها.

ج-حفظ الوصايا العشر والعمل بمقتضاها.

د-القيام بعملية الختان كعلامة على العهد الأبدي.

هـ-النهي عن مخالطة الوثنيين أو مصاهرتهم أو عقد أي عهد معهم.

تعتبر هذه الشروط أهم الأمور التي يجب على بني إسرائيل القيام بها ليتم الرب كل ما تكلم به لهم عل لسان الأنبياء، وفي المقابل هناك وعيد بالإهلاك والمحو لمن يستهين بتعاليم الناموس ويخالف الشريعة.

يقول وليم بيكر أستاذ العلوم التوراتية والآثار القديمة بالجامعة العبرية بالقدس في الثمانينات:

1-أحمد عبد الوهاب: فلسطين بين الحقائق والأباطيل، ص57.

(الميثاق المتعلق بالأرض والذي وعد الله به إبراهيم وبالتالي جميع بني إسرائيل مثله كمثل جميع المواثيق التي تنشأ بين فريقين، كان مشروطا وبالتالي فإنه يتحقق فقط في حال التزام كلا الطرفين بالشروط المحددة في الميثاق، وقد حافظ الله سبحانه وتعالى بصورة دائمة على ما قطعه من التزامات، غير أن بني إسرائيل كما هو معروف تاريخيا أخفقوا في تلبية الشروط التي وضعها الله في الميثاق، وفيما يتعلق بميثاق الأرض، فقد وعد الله بوطن لبني إسرائيل يبقى قائما ما بقي بنو إسرائيل يطيعون شريعة موسى، وعلى العكس من ذلك فقد وعد الله أيضا أنهم سوف يخسرون الميثاق الذي تضمن الوعد بالأرض إذا عصوا الله ولم يلتزموا بشريعته كما نقلها موسى لهم)[1].

ولنأخذ على سبيل المثال مجموعة من النصوص التي تبين ما قلناه:

جاء في سفر التثنية:« فاحترزوا من أن تنغوي قلوبكم فتزيغوا وتعبدوا آلهة أخرى وتسجدوا لها، فيحمي غضب الّرب عليكم ويغلق السماء فلا يكون مطر، ولا تعطى الأرض غلتها، فتبيدون سريعا عن الأرض الجيدة التي يعطيكم الرب»[2]، وفي الإصحاح الثامن والعشرين من سفر التثنية بأكمله ذكر للنتائج المترتبة على فعل الطاعات واتّباع الوصايا كما أن هناك ذكر للّعنات التي تصيب بني إسرائيل إن هم زاغوا وابتعدوا عن الفرائض وتركوا الوصايا.

وفي موضع آخر من سفر التكوين:« هل أخفي عن إبراهيم ما أنا فاعله، وإبراهيم يكون أمة كبيرة ويتبارك به جميع أمم الأرض ؟، لأني عرفته لكي يوصى بنيه وبيته من بعده، أن يحفظوا طريق الرب، ليعملوا برا وعدلا، لكي يأتي الرب لإبراهيم بما تكلم به »[3]وهذا النص يبين بوضوح أن الوعد لا يأتي إلا بعمل البر والعدل والسير في طريق الرب فالوعد محصور بالطاعة والالتزام بالشرع.

وفي سفر التكوين يخبرنا كاتب السفر أن الّرب ظهر لإسحق حينما أراد النزول إلى أرض مصر ووعده بأن يعطيه الأرض التي تعهد لإبراهيم أن يعطيها له ولنسله من بعده وعلل ذلك باستقامة إبراهيم وحفظه لتعاليم الرب وأوامره وشرائعه:

« لا تنزل إلى مصر اسكن في الأرض التي أقول لك تغرب في هذه الأرض فأكون معك وأباركك، لأني لك ولنسلك أعطي جميع هذه البلاد وأوفي بالقسم الذي أقسمت لإبراهيم أبيك، وأكثر نسلك كنجوم

1- وليم بيكر: سرقة أمة، ترجمة سهيل ذكار، ط1، دار حسان للطباعة والنشر،دمشق 1985م، ص108-109/(نقلا عن عماد علي عبد السميع حسن: الإسلام واليهودية دراسة مقارنة، ص549).

2- سفر التثنية :11 / 16-17.

3- سفرا التكوين : 18 / 17 – 19.

السماء وأعطى نسلك جميع هذه البلاد، وتتبارك في نسلك جميع أمم الأرض، من أجل أن إبراهيم سمع لقولي وحفظ ما يحفظ لي، أوامري وشرائعي»[1].

ويعتبر الختان من أهم الشروط التي يجب أن يقوم بها بنو إسرائيل حتى يتحقق لهم الوعد، وإذا تركوه فإن الوعيد سيلحق بهم ويكون الوعد باطلا:

« فيكون عهدي في لحمكم " لحم الغرلة " عهدا أبديا، وأما الذكر الأغلف الذي لا يختن في لحم غرلته فتقطع تلك النفس من شعبها ، إنه قد نكث عهدي »[2] .

وفي سفر الخروج أن موسى صعد إلى الله، فنا داه الّرب من الجبل قائلا:« هكذا تقول لبيت يعقوب، وتخبر بني إسرائيل، أنتم رأيتم ما صنعت بالمصريين وأنا حملتكم على أجنحة النّسور وجئت بكم إلّي فالآن إن سمعتم لصوتي وحفظتم عهدي، تكونون لي خاصة من بين جميع الشعوب فان لي كل الأرض، وانتم تكونون لي مملكة كهنة وأمة مقدسة هذه هي الكلمة التي تكلم بها بني إسرائيل»[3].

وبعد أن تلقى موسى أحكام الشريعة من الرب« حدّث الشعب بجميع أقوال الّرب وجميع الأحكام، فأجاب جميع الشعب بصوت واحد وقالوا: " كل الأقوال التي تكلم بها الرب نفعل "، فكتب موسى جميع أقوال الرب وبكر في الصباح و بنى مذبحا في أسفل الجبل، واثني عشر عمودا لأسباط إسرائيل الاثني عشر، وأرسل فتيان بني إسرائيل، فأصعدوا محرقات وذبحوا ذبائح سلامة للرب من الثيران، فأخذ موسى نصف الدم ووضعه في الطسوس، ونصف الّدم رشه على المذبح، وأخذ كتاب العهد وقرأ في مسامع الشعب، فقالوا:" كل ما تكلم به الرب نفعل ونسمع له، وأخذ موسى الدم ورش على الشعب وقال:" هو ذا دم العهد الذي قطعه الّرب معكم على جميع هذه الأقوال"»[4].

وتعتبر الوصايا العشر أهم شيء في شريعة موسى وهى التي كانت عهدا بين الرب وموسى، (فبعد أن خرج بنو إسرائيل من مصر تلقى موسى الوصايا العشر فكانت هي العهد والميثاق الذي واثقهم به)[5]:

« اكتب لنفسك هذه الكلمات لأنني بحسب هذه الكلمات قطعت عهدا معك ومع إسرائيل »[6].

والوصايا العشر هي:

1-أنا الرب إلهك الذي أخرجك من أرض مصر من بيت العبودية لا يكن لك آلهة أخرى أمامي.

1- سفرا التكوين : 26 / 1-5 .
2- سفرا التكوين : 17 / 13- 14.
3- سفر الخروج : 19 / 3-6.
4- سفر الخروج : 24 / 3-8.
5-عقيد أحمد عبد الوهاب : فلسطين، ص66.
6- سفر الخروج : 34 / 27.

2- لا تصنع لك تمثالا منحوتا ولا صورة ما مما في السماء من فوق، وما في الأرض من تحت، وما في الأرض من تحت الأرض، لا تسجد لهن ولا تعبدهن، لأني أنا الرب إلهك إله غيور، أفتقد ذنوب الآباء في الأبناء، في الجيل الثالث والرابع من مبغضي، وأصنع إحسانا إلى ألوف من محبي وحافظي وصاياي.

3-لا تنطق باسم الرب إلهك باطلا لأن الرب لا يبرئ من نطق باسمه باطلا.

4-أذكر يوم السبت لتقدسه، ستة أيام تعمل وتصنع جميع عملك، وأما اليوم السابع ففيه سبت للرب إلهك لا تصنع عملا ما أنت وابنك وابنتك وعبدك وأمتك وبهيمتك ونزيلك الذي داخل أبوابك، لأن في ستة أيام صنع الرب السماء والأرض والبحر وكل ما فيها واستراح في اليوم السابع، لذلك بارك الرب يوم السبت وقدسه.

5-أكرم أباك وأمك لكي تطول أيامك على الأرض التي يعطيك الرب إلهك.

6-لا تقتل.

7-لا تزن.

8-لا تسرق.

9-لاتشهد على قريبك شهادة زور.

10- لا تشته بيت قريبك، لاتشته امرأة قريبك ولا عبده ولا أمته ولا ثوره ولا حماره ولا شيئا مما لقريبك»[1].

فالشرط الأول والوصية الأولى من وصايا موسى العشر كان الإيمان بالله وحده لا شريك له، ولو تحقق لهم هذا الشرط لسهل عليهم تحقيق الباقي، فمن خلال الإيمان المطلق يكون الوفاء بالوعد بالأرض[2].

الوفاء بالعهد والعمل بالشريعة هو الطريق للوصول إلى الوعد لأن العهد يتضمن الوعد، (وتبين التوراة بما لا يدع مجالا للشك أو الانحراف في التأويل أن تحقيق عهد الله لبني إسرائيل متوقف فقط على تحقيق عهدهم مع الرب)[3] وهذا النص من سفر اللاويين يوضح ذلك جليا:

« إذا سلكتم فرائضي وحفظتم وصاياي وعملتم بها، أعطي مطركم في حينه وتعطي الأرض غلتها وتعطي أشجار الحقل أثمارها، ويلحق دراسكم بالقطاف ويلحق القطاف بالزرع، فتأكلون خبزكم للشّبع، وتسكنون في أرضكم آمنين وأجعل سلاما في الأرض فتنامون وليس من يزعجكم، وأبيد الوحوش الرديئة من الأرض ولا يعبر سيف في أرضكم، وتطردون أعداءكم، فيسقطون أمامكم بالسيف ويطرد خمسة منكم مئة، ومائة منكم يطردون ربوة، ويسقط أعداؤكم أمامكم بالسّيف، وألتفت إليكم وأثمركم وأكثّركم وأفي

1-سفر الخروج : 20/1-17.

2-ليلى سعد الدين: مثل الذين حملوا التوراة، ص75.

3-عقيد أحمد عبد الوهاب : فلسطين، ص67.

ميثاقي معكم، فتأكلون العتيق المعتق، وتخرجون العتيق من وجه الجديد، وأجعل مسكني في وسطكم .. وأكون لكم إلها، وأنتم تكونون لي شعبا »[1].

ويقول:« وجميع الوصايا التي أنا أوصيكم بها اليوم تحفظون لتعملوها، لكي تحيوا وتكثروا وتدخلوا وتملكوا الأرض التي أقسم الرب لآبائكم »[2].

وفي نص آخر من سفر التثنية يبين بصراحة أن شرط التمكين في الأرض الموعودة متوقف فقط على مراعاة العهد والميثاق وحفظ الوصايا يقول:

« فاحفظوا كل الوصايا التي أنا أوصيكم بها اليوم لكي تتشددوا وتدخلوا وتملكوا الأرض التي أنتم عابرون إليها لتمتلكوها، ولكي تطيلوا الأيام على الأرض التي أقسم الرب لآبائكم أن يعطيها لهم ولنسلهم أرض تفيض لبنا وعسلا »[3].

في حالة نقض بني إسرائيل للعهد ونكثهم للميثاق فإنهم يتعرضون لأشد الضربات، ومن بينها اقتلاعهم من أرض كنعان وتشريدهم بين الأمم أذلة صاغرين، بل وتحميل الذرية الإسرائيلية خطايا آبائهم السابقين ومعاقبتهم عليها دون أدنى اعتبار لكونهم ذرية إبراهيم[4]، يقول سفر اللاويين:

« وإن كنتم بذلك لا تسمعون لي بل سلكتم معي بالخلاف ... أصيّر مدنكم خربه ... وأذريكم بين الأمم، وأجّرد وراءكم السّيف...والباقون منكم ألقي الجبانة في قلوبهم في أراضي أعدائهم، فيهزمهم صوت ورقة مندفعة فيهربون كالهرب من السيف، ويسقطون وليس طارد...هذه الفرائض والأحكام والشرائع التي وضعها الّرب بينه وبين بني إسرائيل في جبل سيناء بيد موسى »[5].

ويبدو من هذه النصوص كلها ومن غيرها مما جاء بمعناها في التوراة أن وعود الله لليهود كانت معلقة دائما على شرط واضح صريح لا يمكن تنفيذ هذه الوعود إلا باستيفائه وهو أن يطيعوا الله ويعملوا بأحكامه ووصاياه ويدينوا له بالولاء الدائم فلا يعبدوا سواه، وإلا انقلب وعده إلى وعيد وتحولت نعمته إلى نقمة[6].

1- سفر اللاويين :26 / 3-12.

2- سفر التثنية :8 / 1.

3- سفر التثنية :11 / 8-9 .

4-عقيد احمد عبد الوهاب: فلسطين ، ص67.

5- سفر اللاويين : 26 / 27-46.

6-زكي شنودة: المجتمع اليهودي، ط1، مكتبة الخانجي، القاهرة، مصر، ت[ ]،ص547.

المطلب الثاني: نقض بني إسرائيل للعهود عبر التاريخ وانحرافهم عن الدين

كانت شروط التمكين في الأرض واضحة وهي اتّباع تعاليم التوراة بالجملة، ولكن بني إسرائيل على عادتهم كانوا ينقضون العهود والمواثيق وكأن هذه الخصلة من مميزاتهم التي التصقت بهم، فمنذ خروجهم من مصر متجهين إلى أرض الميعاد خرقوا العهد مرات وكرات، فعبدوا العجل الذي صنعوه من حلى المصريين التي سرقوها منهم على حسب ما جاء في سفر الخروج، وتمردوا على موسى وعزموا على تنحيته وتنصيب رئيس جديد والرجوع إلى مصر ورفضوا دخول الأرض التي أعطاهم الرب مما تسبب في تيههم في سيناء لمدة أربعين سنة.

وبعد دخولهم الأرض المقدسة لم يتغير الحال بالنسبة لهم بل ظلوا على المسلك القديم الذي خطوه لأنفسهم وهو الردة والكفر والانحلال ولم ينفعهم تتالي الأنبياء فيهم الذين حذروهم من الخطر الذي يحدق بهم إن هم استمروا على ما هم فيم من الضلال والانحراف عن الدين.

سنورد مجموعة من النصوص التي وردت في أسفار العهد القديم والتي تدل على ما قلناه مما يعني أن بني إسرائيل قد خسروا جميع الامتيازات التي حصلوا عليها بما في ذلك الوعد.

جاء في سفر القضاة أن بني إسرائيل عبدوا الأوثان وتزوجوا من الكنعانيين ونسوا الرب يهوه إله إسرائيل الذي منحهم الوعد: « فسكن بنو إسرائيل في وسط الكنعانيين والحثيين والأموريين والفرزيين والحويين واليبوسيين، واتخذوا بناتهم لأنفسهم نساء وأعطوا بناتهم لبنيهم، وعبدوا آلهتهم فعمل بنو إسرائيل الشر في عيني الّرب ونسوا الرب إلههم وعبدوا البعليم والسّواري فحمي غضب الّرب على إسرائيل »[1].

وفي موضع آخر من سفر القضاة يبين لنا انحراف بنى إسرائيل بعد يشوع ووقوعهم في الشرك:« وعاد بنو إسرائيل يعملون الشر في عيني الرب وعبدوا البعليم والعشتاروت وآلهة آرام وآلهة صيدون والهة موآب والهة بنى عمون وآلهة الفلسطينيين، وتركوا الرب ولم يعبدوه فحمى غضب الرب على إسرائيل وباعهم بيد الفلسطينيين وبيد بنى عمون...»[2].

وفي سفر الملوك الثاني : «وكان أن بني إسرائيل أخطأوا إلى الرب إلههم الذي أصعدهم من أرض مصر من تحت يد فرعون ملك مصر، واتّقوا آلهة أخرى، وسلكوا حسب فرائض الأمم الذين طردهم الرب من أمام بنى إسرائيل وملوك إسرائيل الذين أقاموهم، وعمل بنو إسرائيل سّرا ضد الرب إلههم أمورا ليست بمستقيمة، وبنو لأنفسهم مرتفعات في جميع مدنهم، من برج النواطير إلى المدينة المحصنة، وأقاموا لأنفسهم أنصابا وسواري على كل تّل عال وتحت كل شجرة خضراء وأوقدوا هناك على جميع المرتفعات مثل الأمم الذين ساقهم الرب من أمامهم، وعملوا أمورا قبيحة لإغاظة الرب، وعبدوا الأصنام التي قال الرب لهم

1- سفر القضاة : 3/ 5- 8.

2- سفر القضاة :10 / 6 -7.

عنها:"لا تعملوا هذا الأمر"...ورفضوا فرائضه وعهده الذي قطعه مع آبائهم...وتركوا جميع وصايا الرب إلههم ... وعبدوا البعل »[1].

وكان أنبياء بني إسرائيل يشاهدون انحطاط أمتهم ويدركون السبب فيما أصابهم، وكانوا يدعون الله ويستغفرونه ويعترفون بذنوبهم وبما أصابته أيديهم، ويدلون أمتهم على ما ارتكبوه من الذنوب والمعاصي والآثام[2]، ولكن بني إسرائيل لم يسمعوا لهم واستمروا على ما هم فيه فحقت عليهم لعنات المعصية وارتفعت عنهم بركات الطاعة.

وفي أخبار الأيام الثاني تهديد بالعقاب على ترك عبادة الرب والتوجه لعبادة الأوثان: « هاأنذا جالب شرا على هذا الموضع وعلى سكانه، جميع اللعنات المكتوبة في السفر الذي قرأه أمام ملك يهوذا من أجل أنهم تركوني وأوقدوا لآلهة أخرى لكي يغيظوني بكل أعمال أيديهم وينسكب غضبي على هذا الموضع ولا ينطفئ »[3].

وجاء في سفر عزرا اعتراف عزرا بالآثام والرجاسات التي عملها بنو إسرائيل يقول:« اللهم إني أخجل وأخزى من أن أرفع يا إلهي وجهي نحوك، لأن ذنوبنا قد كثرت فوق رؤوسنا، وآثامنا تعاظمت إلى السماء منذ أيام آبائنا نحن في إثم عظيم إلى هذا اليوم ...والآن فماذا نقول يا إلهنا بعد هذا؟، لأننا قد تركنا وصاياك التي أوصيت بها عن يد عبيدك الأنبياء قائلا: إن الأرض التي تدخلون لتمتلكوها هي أرض متنجسة بنجاسة شعوب الأراضي برجاساتهم التي ملأوها بها من جهة إلى جهة بنجاستهم، والآن فلا تعطوا بناتكم ولا تأخذوا بناتهم لبنيكم، ولا تطلبوا سلامتهم وخيرهم إلى الأبد لكي تتشدّدوا وتأكلوا خير الأرض وتورِثُوا بنيكم إياها إلى الأبد »[4].

وينسب سفر إرميا إلى الرب أنه هدد بني إسرائيل بالطرد من الأرض لأنهم تركوا العمل بالشريعة وخالفوا أحكام الوصايا وعبدوا آلهة الشعوب المجاورة لهم:« من أجل أن آباءكم قد تركوني يقول الرب، وذهبوا وراء آلهة أخرى، وعبدوها وسجدوا لها، وإياي تركوا وشريعتي لم يحفظوها، وأنتم أسأتم في عملكم أكثر من آبائكم، وها أنتم ذاهبون كل واحد وراء عناد قلبه الشّرير حتى لا تسمعوا لي فأطردكم من هذه الأرض إلى أرض لم تعرفوها أنتم ولا آباؤكم، فتعبدون هناك آلهة أخرى نهارا وليلا حيث لا أعطيكم نعمة»[5].

1- سفر الملوك الثاني: 17 / 7-16.
2-عمر الأشقر: قصص التوراة والإنجيل، ص342.
3- أخبار الأيام الثاني: 34 / 24-25.
4- سفر عزرا: 9 / 6-12.
5- سفر إرميا: 16 / 11- 13.

وفي موضع آخر من سفر إرميا ينسب كاتب السفر إلى الرب أنه تخلى عن بني إسرائيل وأنه رفضهم ونساهم نسيانا وأنه سينزل عليهم خزيا وعارا لا ينسى إلى الأبد:« لذلك هاأنذا أنساكم نسيانا وأرفضكم من أمام وجهي أنتم والمدينة التي أعطيتكم وآباءكم إيّاها، وأجعل عليكم عارا أبديا وخزيا أبديا لا ينسى»[1].

ويعترف دانيال أمام أن القوم قد نكثوا شروط العهد وحادوا عن جادة الصواب باقترافهم المعاصي وانتهاكهم للمحظورات التي نهوا عنها فيقول: « أيها الرب الإله العظيم الموهوب حافظ العهد والرحمة لمحبيه وحافظي وصاياه، أخطأنا وأثمنا وعملنا الشّر وتمردنا وحدنا عن وصاياك وعن أحكامك، وما سمعنا من عبيدك الأنبياء ...وما سمعنا صوت الرب إلهنا لنسلُك في شرائعه التي جعلها أمامنا عن يد عبيده الأنبياء، وكل إسرائيل قد تعدى على شريعتك، وحادوا لئلا يسمعوا صوتك، فسكبت علينا اللعنة والحلف، المكتوب في شريعة موسى عبد الله لأننا أخطأنا إليه »[2].

وجاء في سفر هوشع كلام صريح عن بطلان الوعود لأن الرب طردهم وأبغضهم وحكم عليهم بالتيه بين الأمم:« من أجل سوء أفعالهم أطردهم من بيتي لا أعود أحبهم، جميع رؤسائهم متمردون...يرفضهم إلهي لأنهم لم يسمعوا له، فيكونون تائهين بين الأمم »[3].

وجاء في سفر أشعياء تأكيد على أن اليهود نكثوا العهد الأبدي الذي بينهم وبين الرب فلم يعد ساري المفعول وبالتالي لم يعد هناك حديث عن وعد:« والأرض تدنست تحت سكانها لأنهم تعدوا الشرائع، وغيروا الفريضة ونكثوا العهد الأبديّ »[4].

وفي سفر ملاخي:« من أيام آبائكم حدتم عن فرائضي ولم تحفظوها ارجعوا إلي، أرجع إليكم ...قد لُعِنتُم لَعنًا »[5].

وتصف التوراة زعماء المملكة الشمالية بأنهم كانوا جميعا عصاة آثمين بنحو لا يقبل التسامح، وتذكر كذلك أن بعض ملوك يهوذا أيضا ابتعدوا عن طريق الطاعة والولاء الكلي لله[6]،ووردت نصوص كثيرة تدل على أن بنى إسرائيل نقضوا العهد، ولا يكاد يخلو سفر مما يدل على هذا، مما يدل على حرمانهم من الوعود التي أعطاها لهم الرب.

1- سفر إرميا: 23 / 39- 40.
2-سفر دانيال: 9 / 4- 11.
3- سفر هوشع: 9 / 15- 17.
4-سفر أشعياء: 24 / 5.
5- سفر ملاخي: 3 / 7- 9.
6-إسرائيل فنكل شتاين: التوراة اليهودية مكشوفة على حقيقتها، ص34.

المطلب الثالث: عقاب الله لبني إسرائيل على انحرافهم وكفرهم ونقضهم للعهد

لم يلتزم بنو إسرائيل بالعهد والميثاق الذي قطعوه مع الرب، فتركوا العمل بالشريعة وعبدوا الأوثان وآلهة الشعوب التي خالطوها فسلط عليهم الله العقاب تلو العقاب، وكان يرفع عنهم ذلك العقاب بعدما يرجعون عن غيهم لكنهم ينقضون في كل مرة العهد حتى أبادهم وأزال ممالكهم.

فلقد سلط الله على بني إسرائيل المديانيين لمدة سبع سنين ينهبون غلتهم ولا يتركون لهم قوت حياتهم ويأخذون غنمهم وبقرهم وحميرهم وكانوا ينقضون عليهم كالجراد[1].

جاء في سفر القضاة:« وعمل بنو إسرائيل الشّر في عيني الرب، فدفعهم الرب ليد مديان سبع سنين، فاعتزت يد مديان على إسرائيل .. فذل إسرائيل جدا من قبل المديانيين، وصرخ بنو إسرائيل إلى الرب»[2].

ولما صرخ بنو إسرائيل أرسل إليهم النبي جدعون - يربعل - ليخلصهم من المديانيين، فقام جدعون ونادى الشعب قائلا: من كان خائفا ومرتعدا فليرجع ولينصرف من جبل جلعاد، فرجع من الشعب الجبان اثنان وعشرون ألفا وبقي عشرة آلاف، ومروا بنهر، فقال جدعون: لا يشرب أحد من الماء إلا من اغترف غرفه بيده، فشربوا كلهم وولغوا من الماء، كما يلغ الكلب إلا ثلاثمائة رجل اغترفوا غرفة بأيديهم[3].

وأخذ جدعون معه الثلاثمائة رجل، وقال لهم قوموا لأن الّرب قد دفع إلى أيديكم المديانيين، وانتصر بنو إسرائيل بقيادة جدعون.

وبعد المديانيين سلط الرب الفلسطينيين وبني عمون على بني إسرائيل فأذلوهم لمدة ثمانية عشر سنة، فحطّموهم، وذلك لأن بني إسرائيل عبدوا البعليم والعشتاروت[4]، «وعاد بنو إسرائيل يعملون الشر في عيني الرب وعبدوا البعليم والعشتاروت وآلهة آرام وآلهة صيدون وآلهة موآب، وآلهة بنى عمون وآله الفلسطينيين وتركوا الرب ولم يعبدوه، فحمى غضب الرب على إسرائيل وباعهم بيد الفلسطينيين وبيد بني عمون، فحطّموا ورضّضوا بني إسرائيل في تلك السنة، ثمانية عشر سنة »[5]، وهذا النص يظهر مدى انحراف اليهود وعدم حفظهم للعهد مع الله فبأي وجه حق يستحقون البركة والوعد وبأي عمل يميزون على غيرهم وقد اخذوا أرذل وأسفل ما عند الأمم المجاورة لهم أو الذين استعمروهم[6].

1- أحمد ربيع احمد يوسف: أرض الميعاد بين الحقيقة والمغالطة، ط[]، كلية الشريعة والقانون والدراسات الإسلامية، جامعة قطر، ت[]، ص 443.

2- سفر القضاة: 6 / 1- 6.

3- محمد علي البار: الله والأنبياء، ص313.

4- أحمد ربيع يوسف: أرض الميعاد بين الحقيقة والمغالطة، ص 443.

5- سفر القضاة: 10 / 6- 8.

6- فرج الله عبد الباري: اليهودية بين الوحي الإلهي والانحراف البشري، ص50.

وكالمعتاد عاد بنو إسرائيل وطلبوا من الرب أن يخلصهم من الفلسطينيين وبني عمون، وأزالوا الآلهة الغريبة، وكالمعتاد ندم الرب على الشر الذي فعل بابنه البكر إسرائيل، وضاقت نفس الرب بسبب مشقة ابنه البكر[1]، فاختار الرب يفتاح الجلعادي ابن الزانية لينقذهم من الفلسطينيين وبني عمون[2].

ويخبر سفر القضاة أنه بعد موت يفتاح بمدة:« عاد بنو إسرائيل يعملون الشر في عيني الرب فدفعهم الرب ليد الفلسطينيين أربعين سنة »[3].

فظهر شمشون وحارب الفلسطينيين وانتصر عليهم وخلص بنى إسرائيل، « وقضى لإسرائيل في أيام الفلسطينيين عشرين سنة »[4].

وفي عهد صموئيل آخر عهد القضاة استرجع الموسويون المدن الساحلية التي استولى عليها الفلسطينيون، ثم هاجم الموسويون بقيادة الملك شاؤول، إلا أنهم انحدروا أمامهم، وقُتل الملك شاؤول وأولاده الثلاثة في المعركة، ثم تقلد الحكم الملك داوود الذي استطاع أن يخضع اكثر المدن الفلسطينية إلى حكمه[5].

وقد كان لمملكة داود وسليمان عليهما السلام أهمية كبيرة بالنسبة إلى الديانة اليهودية، فهذا الحدث التاريخي الهام فسر دينيا على أنه يعني تحقيق العهد المكتوب من الرب سابقا وهو الوعد بالأرض، كما أن قيام هذه المملكة اعتبر دليلا على العناية الإلهية التي هي جزء لا يتجزأ من أسس العهد مع الرب، فالوعد بالأرض والوفرة والذي منح للآباء السابقين وتجدد على أيام موسى أصبح اليوم حقيقة أو كما عبر بعض الباحثين أن العهد المعطى لإبراهيم عليه السلام قد تحقق في داود[6].

وبعد موت داوود تولى سليمان الملك، ويذكر سفر الملوك أن سليمان تزوج الكثير من النساء وعبد الأوثان ولم يحفظ العهد ولكن الرب لم يمزق المملكة من أجل داود الذي سلك طريق الرب والجدير بالذكر هنا أن سليمان على حسب الرواية التوراتية ابن داود من الزنا بامرأة أوريا الحثي، يقول سفر الملوك الأول عن سليمان:

« وأحب الملك سليمان نساء غريبة كثيرة مع بنت فرعون...وكانت له سبع مائه من النساء السيدات وثلاثمائة من السراري...وكان في زمان شيخوخة سليمان أن نساءه أملن قلبه وراء آلهة أخرى، ولم يكن قلبه كاملا مع الرب إلهه كقلب داود أبيه... فغضب الرب على سليمان لأن قلبه مال عن الرب إله إسرائيل

1- محمد علي البار :الله جل جلاله والأنبياء ، ص 315 .
2- انظر سفر القضاة: 11- 12.
3- سفر القضاة: 11 / 1.
4- سفر القضاة: 15/ 20 .
5- رجا عبد الحميد عرابي: سفر التاريخ اليهودي ، ص194.
6- محمد خليفة حسن: تاريخ الديانة اليهودية، ص204.

الذي تراءى له مرتين وأوصاه...أن لا يتبع آلهة أخرى، فلم يحفظ ما أوصى به الرب...فقال الرب لسليمان : " من أجل أن ذلك عندك ولم تحفظ عهدي وفرائضي التي أوصيتك بها، فإني أمزق المملكة عنك تمزيقا وأعطيها لعبدك، إلا أني لا أفعل ذلك في أيامك من أجل داوود أبيك، بل من يد ابنك أمزقها، على أني لا أمزق منك المملكة كلها، بل أعطي سبطا واحدا لابنك، لأجل داود عبدي، ولأجل أورشليم التي اخترتها»[1].

يقول حسن خليفة:(وفي زمن داود وسليمان تم نقل تابوت العهد لأورشليم وبناء الهيكل فيها، ونمت المشاعر الدينية حول العاصمة الجديدة وقوي الاعتقاد في أن المملكة الداودية وبيت داود هما الوريث الشرعي للنظام الإسرائيلي القديم، وسرعان ما تطور الاعتقاد الديني في أن المملكة الداودية وبيت داود هما الوريث الشرعي في النظام الإسرائيلي القديم.

وسرعان ما تطور الاعتقاد في أن وصول داود وكذا سليمان إلى الملك معبرا عن إرادة إلهية وأن الإله يهوه قد اختار صهيون كمكان لإقامته الدائمة وأنه أقام عهدا مع داود باستمرار الملك في ذريته وبيته وتكون على هذا الأساس بناء لاهوتي حول ملك داود فحواه أن الاختيار الإلهي لصهيون ولبيت داود اختيار أزلي، وأن الملك يحكم نيابة عن يهوه وكابن له فهو بكره ومسيحه وطور العهد الداودي على نفس النمط الذي اتخذه العهد مع الآباء فهو عهد مبني على وعود يهوه كما انه عهد غير مشروط، فهو بمثابة منحة أو نعمة إلهية أسبغها الرب على مسيحه)[2].

ولم يمكن لبني إسرائيل في الأرض طوال تاريخهم الذي يمتد لأكثر من أربعة آلاف عام إلا في هذه الفترة التي حكم فيها سليمان وداود عليهما السلام والتي تقدر بأقل من ثمانين سنة على أكثر تقدير، وهذه المدة لا تعد شيئا مذكورا في تاريخ الشعوب والدول، فكيف تؤخذ على أنها تدل على التمكين ثم بعد ذلك قسمت مملكتهم مما أغرى بهما الشعوب المجاورة[3].

فلما مات سليمان وملك ابنه رحبعام قام كل جماعة بنى إسرائيل وقالوا له:« إن أباك قسّى نيرنا، أما أنت فخفف الآن من عبودية أبيك القاسية ومن نيره الثقيل الذي جعله علينا فنخدمك ...فأجاب رحبعام الشعب بقساوة قائلا:" أبى ثقل نيركم وأنا أزيد على نيركم، أبى أدبكم بالسياط وأنا أؤدبكم بالعقارب ولم يسمع الملك للشعب ... »[4].

1- سفر الملوك الأول: 11 / 1- 13.

2- محمد خليفة حسن: تاريخ الديانة اليهودية ، ص204.

3- فرج الله عبد الباري: اليهودية بين الوحي الإلهي والانحراف البشري ، ص48.

4-سفر الملوك الأول:12 / 3-15.

وثار يربعام بن ناباط -من سبط أفرايم بن يوسف عليه السلام -وكان عبدا لسليمان وتبعه عشرة أسباط من بني إسرائيل وبنى لهم معبدا مماثلا للهيكل في أورشليم وإن كان أقل روعة في البناء، وانقسمت بذلك مملكة داوود إلى مملكتين متحاربتين[1]، هما:

"**مملكة إسرائيل** ":في الشمال وعاصمتها "السامرة"(نابلس)، وملكها "يربعام"، والأخرى في الجنوب باسم "**مملكة يهوذا**"وعاصمتها "أورشليم" (القدس)، وتولى الملك فيها "رحبعام" بن سليمان، وتضم مملكة يهوذا سبطين هما يهوذا وبنيامين، ومملكة السامرة أو إسرائيل تضم الأسباط العشرة الباقية[2].

وحدث الاقتتال بين المملكتين لمدة طويلة، رغم إحاطة الأعداء بهما، واستعان بعضهم على بعض بأعداء من الخارج، مع تكرر الانقلابات المتتالية على الحكام في كل منهما وانتهاء حياة معظم الحكام قتلا على أيدي منافسيهم من اليهود أنفسهم، وانتشرت عبادة الأوثان وتقليد الأمم الأخرى إعجابا بها، وظهرت الردة عن الدين، وكثر مدّعو النبوة كذبا بين اليهود بشكل سريع ومتكرر، وقد ظهر خلال هذه الفترة حكام مرتدون ظلمه، كآخاب وأحزيا وغيرهم، فقتلوا الأنبياء وعبدوا الأوثان كما ظهر حكام مصلحون أُيِّدُوا بنصر الله طالما التزموا بدينه وَحكَّمُوا شريعته[3].

في هذه الفترة ظهر العديد من الأنبياء في كل مملكة، وحاولوا أن يرّدوا قومهم إلى عبادة الله وحده، لكن هؤلاء الأنبياء لقوا عنتا شديدا وتكذيبا وتقتيلا، وقد قتلت "إيزابيل" -زوجة آخاب بن عمرى ملك إسرائيل- وحدها مئات الأنبياء، وكان في عهدها النبي إليا- إلياس- الذي ندد بعبادة البعل[4].

فمن هؤلاء الأنبياء الذين ظهروا في هذه المرحلة:"عزرا" و"ميخا" و"إيلياء" و"اليسع" (القرن العاشر إلى التاسع ق.م) و"يحزئيل" و"زكريا بن يهوياداع"، وقد قتل الأخير رجما بالحجارة في ساحة الهيكل رغم نبوته، ومن أنبياء هذه الفترة كذلك "عاموس" و"هوشع" في مملكة إسرائيل، و"أشعيا" و"إرميا" في يهوذا[5].

وقد تنبأ الكثير من هؤلاء الأنبياء بخراب السامرة وأورشليم، يقول ميخا موبخا بني إسرائيل على فجورهم وعبادتهم الأوثان، وعلى الظلم الاجتماعي والفساد الخُلقي[6]:

1- محمد علي البار: المدخل لدراسة التوراة والعهد القديم ، ص88، وانظر(سفر الملوك الأول: 12)

2- رجا عبد الحميد عرابي: سفر التاريخ اليهودي، ص 214.

3- نصر الله أبو طالب: انحدار من بعد اصطفاء (بنو إسرائيل بفلسطين أحداث وعبر)، ط2، دار ومكان الطبع []، 1428 هـ، 2007 م، ص96-97.

4-محمد علي البار: المدخل لدراسة التوراة ، ص 95 .

5- نصر الله أبو طالب: انحدار من بعد اصطفاء، ص 97.

6- محمد علي البار : المدخل لدراسة التوراة، ص 96.

« الذين يبنون صهيون بالدماء، وأورشليم بالظلم، رؤساؤها يقضون بالرشوة، وكهنتها يعلّمون بالأجرة، وأنبياؤها يَعرِفون بالفضة...لذلك بسببكم تفلح صهيون كالحقل، وتصير أورشليم خِربًا، وجبل البيت شَوامخ وعرٍ»[1].

وبسبب فساد بني إسرائيل وتضيعهم لشريعة الرب ونكث عهدهم أزال الله ممالكهم، فكان السبي الآشوري لمملكة إسرائيل سنة (722ق.م)، ثم بعد ذلك السبي البابلي لمملكة يهوذا على يد "نبوخذ نصر" عام (587 ق.م)[2].

جاء في سفر أرميا عن السّبي وسقوط أورشليم: « أما بيت الملك وبيوت الشعب فأحرقها الكلدانيون بالنار، ونقضوا أسوار أورشليم، وبقية الشعب الذين بقوا في المدينة والهاربون الذين سقطوا له، وبقية الشعب الذين بقوا، سباهم نبوزردان رئيس الشرط إلى بابل »[3].

فهل كل هذا الذي حصل لليهود من تسليط الأعداء عليهم لنهبهم وذلهم إلاّ لانحرافهم عن وصايا الرب، وعدم قيامهم بحفظها، فأين البركة التي حصلوا عليها إذن؟، فنصوص التوراة تظهر عدم استحقاقهم لفضل الله وبركته وتمييزه لهم[4].

1- سفر ميخا: 3 / 10- 12.

2- محمد علي البار:المدخل لدراسة التوراة، ص 88.

3- سفر إرميا : 39 / 8- 9.

4-فرج الله عبد الباري: اليهودية بين الوحي الإلهي والانحراف البشري،ص50.

المطلب الربع: مصير الوعد ومستقبله والخلاص الموعود

استوطن بنو إسرائيل في فلسطين وقامت هناك مملكة إسرائيلية على عهد داوود وسليمان عليهما السلام وهذه المملكة على حسب اعتقاد اليهود أنها جاءت على خلفية الوعود التي أعطاها الرب للآباء، واليهود اليوم يستغلون هذه المرحلة للمطالبة من خلالها بما يسمونه بالحق التاريخي في أرض فلسطين .

عقب سقوط دولة إسرائيل تحت أقدام الآشوريين، تفرق سكانها اليهود ولم تقم لهم بعد ذلك قائمة، ولم يعد لهم في التاريخ ذكر، أما اليهود الذين سيقوا إلى بابل عقب سقوط مملكة يهوذا فهم الذين عاد بعضهم إلى بيت المقدس في عهد قورش، ومن أعقابهم جاء اليهود الذين عاصروا الأحداث بعد ذلك، وخضع هؤلاء لحكم مصر وبابل والفرس واليونان والبطالسة والرومان، وكانوا يعادون الجميع وينتهزون الفرص للثورة على سادتهم، ومن أجل ذلك أنزل بهم هؤلاء السادة ألوانا من التدمير والتعذيب، وكانت سنة (135م) نهاية حياة اليهود بفلسطين، وقد أدركوا ألا مقام لهم بهذه البلاد، فساحوا في الأرض، وأقاموا هنا وهناك، وبدأ لهم بذلك عصر تشرد طويل[1] .

وبالرغم مما حدث لبنى إسرائيل وما نقضوه من عهود، إلا أن الوعود حسب تصورهم مازالت قائمة، ويعتقدون أن الرب سيجدد عهده ويعطى عهدا جديدا ليفي بوعوده، وسيرسل مخلصا لشعبه المختار، وهذا المخلص هو الذي سيعيد اليهود إلى أرض المعاد ويجمعهم من الشتات.

فالمصائب التي حلت باليهود جعلتهم يبحثون عن حل مناسب يوائم بين كونهم شعب الله المختار، وبين ما ينزل بهم ويحل عليهم من مصائب متكررة، لقد لجئوا إلى تصور فكرة المسيح المخلص المنقذ الذي يظهر ليعيد لهم أمجادهم ويرد لهم أرضهم وأموالهم ويقيم لهم دولتهم والأهم من ذلك كله ينتقم من أعدائهم، وارتبط قدومه في الخيال اليهودي بمزيد من الاضطهاد، فكلما بدت مصائب اليهود شديدة القسوة وتفوق احتمالهم زاد أملهم في قدوم المسيح المخلص، ولذلك نجد أن فكرة المسيح المخلص تظهر بإلحاح لدى الشعب اليهودي في فترات هزائمهم وسيطة الأعداء عليهم[2].

ويرجح أن يكون زمن ظهور هذه الفكرة هو زمن السبي البابلي بعد سقوط دويلة اليهود، وهذا ما دفع كثيرين من الباحثين إلى الاعتقاد بان فكرة المنقذ المخلص مستعارة من الزرادشتية التي يدين بها الفرس[3].

(وتأتي فكرة انتظار المخلص أو المسيح مقترنة بفكرة تجديد العهد مع الرب أو فكرة العهد الجديد، عندئذ تتجدد أمة الله لتصبح جديرة بالله، وعندئذ تصير أورشليم مدينة لا مثيل لها بين المدائن، يقيم فيها الرب على جبل صهيون، ويتجمع فيها المتشردون من بنى إسرائيل ، وتزول فيها الأحقاد، بل يموت منها

1- أحمد شلبي: اليهودية، ص 91.

2- فرج الله عبد الباري: اليهودية بين الوحي الإلهي والانحراف البشري، ص56.

3-أحمد سوسة: أبحاث في اليهودية والصهيونية، ط1، دار الأمل، أربد، الأردن، 2003م، ص15.

الموت نفسه، في وسط هذه الآمال المركزة على إسرائيل لا ينسى مروِّجوا تلك البشارات أن يجعلوا فيها نصيبا ما للبشرية من غير بنى إسرائيل)[1].

وعندما يأتي المخلص الموعود سيحقق نبوءة حزقيال التي يقول فيها الرب:« هاأنذا آخذ بني إسرائيل من بين الأمم التي ذهبوا إليها وأجمعهم من كل ناحية، وآتي بهم إلى أرضهم، وأصيرهم أمة واحدة في الأرض على جبال إسرائيل، وَملكٌ واحد يكون ملكا عليهم كلّهم، ولا يكونون بعد أمتين ولا ينقسمون بعد إلى مملكتين، ولا يتنجسون بعد بأصنامهم ولا برجاساتهم ولا بشيء من معاصيهم، بل أخلصهم من كل مساكنهم التي فيها أخطأوا وأطهرهم فيكونون لي شعبا وأنا أكون لهم إلها...ويسكنون في الأرض التي أعطيت عبدي يعقوب إيّاها التي سكنها آباؤكم...واقطع معهم عهد سلام فيكون معهم عهدا إلى مؤبّدا..وأقرّهم وأكثّرهم وأجعل مقدسي في وسطهم إلى الأبد...وأكون له إلها ويكونون لي شعبا فتعلم الأمم أني أنا الرب مقدّس إسرائيل... »[2].

وجاء في سفر إشعيا عن المسيح المنتظر:«يولد لنا ولد ونُعطى ابنًا، وتكون الرياسة على كتفه، ويدعى اسمه عجيبا مشيرا، إلها قديرا، أبا أبديا، رئيس السلام، لنمّو رياسته، وللسلام لانهاية لكرسي داوود وعلى مملكته، ليثبتها ويعضُدها بالحق والبرّ ، ومن الآن إلى الأبد، غيرة رب الجنود تصنع هذا»[3].

وقد رسم اليهود الصورة التي تخيلوها للمسيح المنتظر، فذكروا أن الناس في ظله لن يعيشوا وحدهم في العالم الجديد في سلام وسعادة، بل يشاركهم في ذلك كل أنواع الحيوانات فالذئب يسالم الحمل، والعجل يداعب الأسد، يربض النمر مع الجدي، والعجل السمين والشبل معا، وصبي صغير يسوقها والبقرة والدبة ترعيان، وتربض أولادهما معا... ويكون في ذلك اليوم أن السيد يعيد يده ثانية ليقتني بقية شعبه التي بقيت من آشور ومن مصر ومن... ومن حماة ومن جزائر البحر ويرفع راية للأمم ويجمع منفي إسرائيل ويضم مشتتي يهوذا من أربعة أطراف الأرض[4].

ويلج عليهم الحلم فيتخيلون إله إسرائيل وقد عاد بهم إلى أورشاليم المدينة المقدسة، بفرحة النصر ومثوبة الخلاص كما في إشعياء[5]: « استيقظي، استيقظي!، البسي عزّك يا صهيون، البسي ثياب جمالك يا أورشاليم، المدينة المقدسة، لأنه لا يعود يدخلك فيما بعد أغلف ولا نجس، انتفضي من التراب، قومي

1- حسن ظاظا: الفكر الديني اليهودي، ص 28.

2-سفر حزقيال : 37 / 21- 28.

3- سفر إشعياء : 9 / 6- 7.

4- أحمد سوسة: أبحاث في اليهودية والصهيونية، ص 16، (انظر إشعياء :11).

5- حسين فوزي النجار: أرض الميعاد، ص 80.

اجلسي يا أورشاليم، انحلّي من رُبُط عنقك أيتها المسبيّة ابنةُ صهيون، فإنه هكذا قال الرب : "مجانا بِعتم، وبلا فضة تفكون...لأن الرب سائر أمامكم، وإله إسرائيل يجمع ساقتكم »[1].

وقد أسهب إشعيا الثاني في حديثه عن يوم الرب وعن المسيح وسيط يوم الرب، فإذا كان الرب قد قرر أن يعاقب يهوذا على تمردها على ميثاقها معه، فإنه تعهد أيضا بأنه سيقوم برد شعبه المسبي، بل وإنه سيقيم أمواته أيضا من قبورهم، ويعود بهم، ويطيل أعمارهم، بعد أن يقيم عهدا جديدا معهم وسيستمر إلى الأبد، وسيجعل صهيون سرة وقلبه للعالم، حيث ستأتي إليها الشعوب كي تقدم طاعتها[2].

كما تحدث سفرا إرميا وعاموس عن المسيح الموعود المخلص، جاء في سفر إرميا أن الرب سيقطع عهدا جديدا ليس كعهد الآباء بل هو عهد أبدي، ويقول بعد ذلك: « وأنت فلا تخف يا عبدي يعقوب، ولا ترتعب يا إسرائيل، لأني هاأنذا أخلصك من بعيد ونسلك من أرض سبيهم، فيرجع يعقوب ويطمئن ويستريح ولا مخيف، أما أنت يا عبدي يعقوب فلا تخف، لأني أنا معك، لأني أفني كل الأمم الذين بدّدتك إليهم، أما أنت فلا أفنيك، بل أؤيدك بالحق ولا أبرئك تبرئة »[3].

وفي سفر عاموس يتحدث الرب عن هذا اليوم الذي سيقيم فيه مظلة داوود الساقطة : «ها أيام تأتي...يدرك الحارث الحاصد، ودائس العنب باذر الزرع، وتقطر الجبال عصيرا وتسيل جميع التلال، وأرد سبي شعبي إسرائيل فيبنون مدنا خربة ويسكنون، ويغرسون كروما ويشربون خمرها ويصنعون جنات ويأكلون أثمارها وأغرسهم في أرضهم، ولن يقلعوا بعد من أرضهم التي أعطيتهم، قال الرب إلهك»[4].

إذا فرد سبي اليهود سيكون مرتبطا برجوع المسيح عليه السلام الذي سيكون مجيئه للمرة الأولى بالنسبة للعقيدة اليهودية في حين سيكون مجيئه للمرة الثانية بالنسبة للعقيدة الإسلامية والمسيحية، فالمعروف أن اليهود لم يعترفوا بالسيد المسيح عيسى ابن مريم مسيحا لهم، إذا فقيام دولة إسرائيل في الأرض المحتلة الآن هو مخالف تماما من الناحية الدينية، بل إن قيام دولتهم كان نتيجة لحركة صهيونية عنصرية سياسية معتمدة على القوة مثل سائر الحركات العنصرية في أجزاء العالم التي تعطي لنفسها الحق في إبادة أصحاب الأرض الأصليين وانتزاع ملكيتها لهم[5].

1-سفر إشعياء : 52 / 1- 12.

2- إسماعيل ناصر الصمادي: نقد النص التوراتي، ج 1، ص341.

3- سفر إرميا : 46 / 27- 28.

4-سفر عاموس : 9 / 11- 15.

5-محمد عبد السلام منصور: الوعد الإلهي في العهد القديم بعودة فلسطين للفلسطينيين، المؤرخ العربي، العدد 43، 1410هـ، ص178 (مكتبة المهتدين لمقارنة الأديان www.al-maktabeh.com).

المبحث الثاني: في القرآن الكريم

تعرض القرآن الكريم في كثير من الآيات للحديث عن بنى إسرائيل وعن أنبيائهم وخاصة موسى عليه السلام، وكيف أن بنى إسرائيل نقضوا العهود والمواثيق وحّرفوا التوراة، وآذوا الأنبياء والمرسلين، كما تحدث القرآن عن النعم التي أعطاها الله تعالى لهذا الشعب الجاحد الذي لم يعرف قدر هذه النعم، وفي هذا المبحث سنتحدث عن إخلال بني إسرائيل ببنود العهود والمواثيق التي أخذت عليهم، مما ينفى كونهم شعب الله المختار، وأبناء الله المحببين، وأنهم المستحقين لوراثة الأرض والموعودين بالتمكين والنصر على الأمم الأخرى.

المطلب الأول: العهد المأخوذ من الله على بني إسرائيل

يرتبط الميثاق حسب القرآن، بالتمسك بقواعد الإيمان بالله، والتي ترتكز على أداء الشعائر الدينية ودعم الأنبياء والعمل بالمعروف، وإذا التزم بنو إسرائيل بهذه القواعد فإن الله يكون معهم ويجزيهم في الحياة الآخرة وذلك بجنة النعيم، وبمعنى أن الميثاق لم يكن لأنهم عبرانيون، ولكن لأنهمك حملة رسالة سماوية، وتنفيذ عهد الله مرتبط بتنفيذ بنى إسرائيل لما هو مطلوب منهم، وحتى يكون بنو إسرائيل على بينة فإن الله قد أرسل الرسل وأوحى بالكتب التي توضح قواعد الإيمان ومستلزماته[1].

قال الله تعالى:﴿ يَـٰبَنِىٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ ٱذۡكُرُواْ نِعۡمَتِيَ ٱلَّتِيٓ أَنۡعَمۡتُ عَلَيۡكُمۡ وَأَوۡفُواْ بِعَهۡدِيٓ أُوفِ بِعَهۡدِكُمۡ وَإِيَّـٰيَ فَٱرۡهَبُونِ ۝٤٠ ﴾[2].

(وعهد الله أوامره ونواهيه والوفاء به يتأتى باتّباع ما أمر به، واجتناب ما نهى عنه، ويندرج فيه كل ما أخذ على بنى إسرائيل في التوراة، من اتّباع محمد صلى الله عليه وسلم متى بعث والإيمان بما جاء به من عند الله وتصديقه فيما يخبر عن ربه.

والمعنى: وأوفوا بما عاهدتموني عليه من الإيمان بي، والطاعة لي، والتصديق برسلي، أوف لكم بما عاهدتكم عليه من التمكين في الأرض في الدنيا، والسعادة في الآخرة)[3].

يقول رشيد رضا :(عهد الله تعالى إليهم يعرف من الكتاب الذي أنزل إليهم، فقد عهد إليهم أن يعبدوه ولا يشركوا به شيئا وأن يؤمنوا برسله متى قامت الأدلة على صدقهم وأن يخضعوا لأحكامه وشرائعه، وعهد إليهم أن يرسل إليهم نبيا من بني إخوتهم أي بنى إسماعيل يقيم شعبا جديدا، هذا العهد الخاص

1- عبد الستار قاسم: إبراهيم والميثاق مع بني إسرائيل، ص51.

2- سورة البقرة: 40.

3-محمد سيد طنطاوي: بنو إسرائيل، ص333.

المنصوص، ويدخل في عموم العهد، عهد الله الأكبر الذي أخذه على جميع البشر بمقتضى الفطرة وهو التدبر والتروي، ووزن كل شيء بميزان العقل والنظر الصحيح لا ميزان الهوى والغرور)[1].

قال الله تعالى:﴿ وَلَقَدْ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَٰقَ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ وَبَعَثْنَا مِنْهُمُ ٱثْنَىْ عَشَرَ نَقِيبًا ۖ وَقَالَ ٱللَّهُ إِنِّى مَعَكُمْ ۖ لَئِنْ أَقَمْتُمُ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَيْتُمُ ٱلزَّكَوٰةَ وَءَامَنتُم بِرُسُلِى وَعَزَّرْتُمُوهُمْ وَأَقْرَضْتُمُ ٱللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا لَّأُكَفِّرَنَّ عَنكُمْ سَيِّـَٔاتِكُمْ وَلَأُدْخِلَنَّكُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ ۚ فَمَن كَفَرَ بَعْدَ ذَٰلِكَ مِنكُمْ فَقَدْ ضَلَّ سَوَآءَ ٱلسَّبِيلِ ﴿١٢﴾ ﴾[2].

وقال تعالى : ﴿ وَإِذْ نَتَقْنَا ٱلْجَبَلَ فَوْقَهُمْ كَأَنَّهُۥ ظُلَّةٌ وَظَنُّوٓا۟ أَنَّهُۥ وَاقِعٌۢ بِهِمْ خُذُوا۟ مَآ ءَاتَيْنَٰكُم بِقُوَّةٍ وَٱذْكُرُوا۟ مَا فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿١٧١﴾ ﴾[3].

وقال تعالى: ﴿ وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَٰقَكُمْ وَرَفَعْنَا فَوْقَكُمُ ٱلطُّورَ خُذُوا۟ مَآ ءَاتَيْنَٰكُم بِقُوَّةٍ وَٱذْكُرُوا۟ مَا فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿٦٣﴾ ثُمَّ تَوَلَّيْتُم مِّنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ ۖ فَلَوْلَا فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُۥ لَكُنتُم مِّنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴿٦٤﴾ ﴾[4].

فالله أنزل التوراة على موسى عليه السلام فيها هدى ونور وأمر موسى وقومه أن يأخذوا التوراة قراءة وفهما وتطبيقا وامتثالا فأبوا وتمردوا وادعوا العجز وعدم القدرة، فرفع الله جبل الطور فوق رؤوسهم تهديدا وتخويفا، فنظروا فإذا الجبل قد ارتفع حتى صار فوقهم في موضع السحاب وعند هذا فقط أذعنوا لأمر الله وأعطوا العهد والميثاق على التمسك بالتوراة[5].

قال الله تعالى:﴿ وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَٰقَ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ لَا تَعْبُدُونَ إِلَّا ٱللَّهَ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَانًا وَذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينِ وَقُولُوا۟ لِلنَّاسِ حُسْنًا وَأَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُوا۟ ٱلزَّكَوٰةَ ثُمَّ تَوَلَّيْتُمْ إِلَّا قَلِيلًا مِّنكُمْ وَأَنتُم مُّعْرِضُونَ ﴿٨٣﴾ وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَٰقَكُمْ لَا تَسْفِكُونَ دِمَآءَكُمْ وَلَا تُخْرِجُونَ أَنفُسَكُم مِّن دِيَٰرِكُمْ ثُمَّ أَقْرَرْتُمْ وَأَنتُمْ تَشْهَدُونَ ﴿٨٤﴾ ﴾[6].

هكذا نجد أن الميثاق الذي أخذه الحق سبحانه على بنى إسرائيل وأنزله في كتابه، ليكون عظة للمؤمنين بالله من بعد ذلك قد تضمن ثمانية عناصر إيجابية هي:

1- محمد رشيد رضا: تفسير المنار، ج1، ص290.
2- سورة المائدة:12.
3- سورة الأعراف:171.
4- سورة البقرة: 63 – 64.
5- ربيع عبد الرؤوف الزواوي: المفسدون في الأرض اليهود، ط1، دار الإيمان، الإسكندرية، مصر، 2002م، ص10.
6 - سورة البقرة : 83 – 84.

عبادة الحق، والإحسان للوالدين، والإحسان لذي القربى والمساكين، واليتامى والقول الحسن للناس، وإقامة الصلاة وإيتاء الزكاة، هذه أوامر إيجابية تعزز الإيمان وتجعل المؤمنين بمنهج الله مترابطين[1].

يقول ابن كثير في حديثه عن الوصايا العشر التي جاء ذكرها في العهد القديم والتي تعتبر أهم بنود العهد والميثاق:(وقد قال كثير من علماء السلف وغيرهم: مضمون هذه العشر الكلمات في آيتين من القرآن، وهما قوله تعالى في سورة الأنعام[2]:﴿ قُلْ تَعَالَوْاْ أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ ۖ أَلَّا تُشْرِكُواْ بِهِۦ شَيْـًٔا ۖ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا ۖ وَلَا تَقْتُلُوٓاْ أَوْلَٰدَكُم مِّنْ إِمْلَٰقٍ ۖ نَّحْنُ نَرْزُقُكُمْ وَإِيَّاهُمْ ۖ وَلَا تَقْرَبُواْ ٱلْفَوَٰحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ ۖ وَلَا تَقْتُلُواْ ٱلنَّفْسَ ٱلَّتِى حَرَّمَ ٱللَّهُ إِلَّا بِٱلْحَقِّ ۚ ذَٰلِكُمْ وَصَّىٰكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿١٥١﴾ وَلَا تَقْرَبُواْ مَالَ ٱلْيَتِيمِ إِلَّا بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ حَتَّىٰ يَبْلُغَ أَشُدَّهُۥ ۖ وَأَوْفُواْ ٱلْكَيْلَ وَٱلْمِيزَانَ بِٱلْقِسْطِ ۖ لَا نُكَلِّفُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا ۖ وَإِذَا قُلْتُمْ فَٱعْدِلُواْ وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَىٰ ۖ وَبِعَهْدِ ٱللَّهِ أَوْفُواْ ۚ ذَٰلِكُمْ وَصَّىٰكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴿١٥٢﴾ وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِى مُسْتَقِيمًا فَٱتَّبِعُوهُ ۖ وَلَا تَتَّبِعُواْ ٱلسُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِۦ ۚ ذَٰلِكُمْ وَصَّىٰكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿١٥٣﴾﴾[3]).

إضافة إلى هذه الآيات القرآنية التي وردت في بيان أخذ العهد والميثاق على بني إسرائيل، فقد وردت آيات أخرى يمكن أن نستخلص منها مضمون العهد والميثاق فيما يلي:

1_الإيمان بالله تعالى وتوحيده وعدم الإشراك به.

2_الإيمان بالرسل وتوقيرهم واحترامهم.

3_الإيمان بمحمد صلى الله عليه وسلم واتّباعه.

4_العمل بمضمون التوراة وعدم تضييعها.

5_إقامة الصلاة وإيتاء الزكاة والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وعدم موالاة الكفار.

6_الإحسان للوالدين وذي القربى.

7_النّهي القتل.

8_العدل في كل شيء في القول والعمل واجتناب الزور.

9_اجتناب الفواحش بأنواعها وأولها الزنا.

10_ النهي عن أكل مال اليتيم والتطفيف في الكيل والميزان.

1- محمد متولي الشعراوي: قصص الأنبياء، جمع منشاوي غانم جابر، ط []، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان،توزيع مكتب التراث الإسلامي، القاهرة، ت[]، ج4، ص2440.

2- ابن كثير: قصص الأنبياء ، ص290.

3- سورة الأنعام: 151 – 153.

كل هذه النقاط الأساسية تبين لنا مضمون العهد المأخوذ على بني إسرائيل وهي تمثل في مجموعها إقامة الدين والتمسك بقواعده بفعل المأمور واجتناب المحظور، فهل التزم بنو إسرائيل بما عاهدوا عليه الله هذا ما سنتعرض له في المطلب الموالي.

المطلب الثاني: نقض بني إسرائيل للعهد والميثاق

يتفق القرآن الكريم مع التوراة في أن بني إسرائيل لم يلتزموا بشروط العهد المأخوذ عليهم على مر العصور، فالخيرية التي طالما تمتعوا بها لم تعد ملازمة لهم فهم تركوا العمل بالتوراة بل وحرفوها وكذبوا الرسل وقتلوا منهم الكثير، وتخلوا عن الأمر بالمعروف والنهي عن النكر، وعبدوا آلهة الشعوب التي عاشوا وسطها ووصفوا المولى سبحانه وتعالى بصفات غير لائقة، كما أنهم كفروا بآخر الأنبياء والرسل محمد صلى الله عليه وسلم الذي يجدون صفته في التوراة، وهذه الأمور هي أهم الأشياء التي نجدها في القرآن الكريم والتي من خلالها تم خرق الميثاق الذي أخذ عليهم وبالتالي فاليهود بهذا لم يصبح لهم عند الله أي امتياز.

(وصفة نقض العهود من الصفات التي دمغ القرآن الكريم بها اليهود في كثير من آياته، والمتتبع لتاريخهم قديما وحديثا يرى أن هذه الرذيلة تكاد تكون طبيعة فيهم، فقد أخذ الله عليهم كثيرا من المواثيق على لسان أنبيائه ورسله ولكنهم نقضوها)[1].

يقول تعالى: ﴿ لَقَدْ أَخَذْنَا مِيثَٰقَ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ وَأَرْسَلْنَآ إِلَيْهِمْ رُسُلًا ۖ كُلَّمَا جَآءَهُمْ رَسُولٌۢ بِمَا لَا تَهْوَىٰٓ أَنفُسُهُمْ فَرِيقًا كَذَّبُوا۟ وَفَرِيقًا يَقْتُلُونَ ﴿٧٠﴾ وَحَسِبُوٓا۟ أَلَّا تَكُونَ فِتْنَةٌ فَعَمُوا۟ وَصَمُّوا۟ ثُمَّ تَابَ ٱللَّهُ عَلَيْهِمْ ثُمَّ عَمُوا۟ وَصَمُّوا۟ كَثِيرٌ مِّنْهُمْ ۚ وَٱللَّهُ بَصِيرٌۢ بِمَا يَعْمَلُونَ ﴿٧١﴾ ﴾[2].

يقول ابن كثير:(يذكر تعالى أنه أخذ على بني إسرائيل العهود والمواثيق على السمع والطاعة لله ولرسوله فنقضوا تلك العهود والمواثيق، واتبعوا آراءهم وأهواءهم وقدموها على الشرائع، فما وافقهم منها قبلوه، وما خافهم ردوه، وحسبوا ألا يترتب لهم شر على ما صنعوا، فترتب، وهو أنهم عموا عن الحق وصموا فلا يسمعون حقا ولا يهتدون إليه)[3].

ويبين الله سبحانه وتعالى هذا الخلق من اليهود الذي تلبسوا به، أي خلق النقض للعهود وتكراره منهم على مر العصور والأزمان فيقول: ﴿ أَوَكُلَّمَا عَٰهَدُوا۟ عَهْدًا نَّبَذَهُۥ فَرِيقٌ مِّنْهُم ۚ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ

1-محمد سيد طنطاوي: بنو إسرائيل، ص394.

2- سورة المائدة: 70-71.

3-ابن كثير : تفسير القرآن، مج2، ج3، ص102.

﴿وَلَمَّا جَآءَهُمۡ رَسُولٌ مِّنۡ عِندِ ٱللَّهِ مُصَدِّقٌ لِّمَا مَعَهُمۡ نَبَذَ فَرِيقٌ مِّنَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡكِتَٰبَ كِتَٰبَ ٱللَّهِ وَرَآءَ ظُهُورِهِمۡ كَأَنَّهُمۡ لَا يَعۡلَمُونَ ﴿١٠١﴾﴾[1].

يقول سيد قطب:(وقد أخلفوا ميثاقهم مع الله تحت الجبل، ونبذوا عهودهم مع أنبيائهم من بعد، وأخيرا نبذ فريق منهم عهدهم الذي أبرموه مع النبي صلى الله عليه وسلم، أول مقدمه إلى المدينة)[2].

قال الله تعالى:﴿ وَلَقَدۡ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَٰقَ بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ وَبَعَثۡنَا مِنۡهُمُ ٱثۡنَيۡ عَشَرَ نَقِيبٗاۖ وَقَالَ ٱللَّهُ إِنِّي مَعَكُمۡۖ لَئِنۡ أَقَمۡتُمُ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَيۡتُمُ ٱلزَّكَوٰةَ وَءَامَنتُم بِرُسُلِي وَعَزَّرۡتُمُوهُمۡ وَأَقۡرَضۡتُمُ ٱللَّهَ قَرۡضًا حَسَنٗا لَّأُكَفِّرَنَّ عَنكُمۡ سَيِّـَٔاتِكُمۡ وَلَأُدۡخِلَنَّكُمۡ جَنَّٰتٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُۚ فَمَن كَفَرَ بَعۡدَ ذَٰلِكَ مِنكُمۡ فَقَدۡ ضَلَّ سَوَآءَ ٱلسَّبِيلِ ﴿١٢﴾ فَبِمَا نَقۡضِهِم مِّيثَٰقَهُمۡ لَعَنَّٰهُمۡ وَجَعَلۡنَا قُلُوبَهُمۡ قَٰسِيَةٗۖ يُحَرِّفُونَ ٱلۡكَلِمَ عَن مَّوَاضِعِهِۦ وَنَسُواْ حَظّٗا مِّمَّا ذُكِّرُواْ بِهِۦۚ وَلَا تَزَالُ تَطَّلِعُ عَلَىٰ خَآئِنَةٖ مِّنۡهُمۡ إِلَّا قَلِيلٗا مِّنۡهُمۡۖ فَٱعۡفُ عَنۡهُمۡ وَٱصۡفَحۡۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ﴿١٣﴾﴾[3].

وردت آيات كثيرة في القرآن الكريم تبين أن أكثر اليهود نبذوا العهود التي عاهدوا عليها الله ورسله، وأنهم انحرفوا عن شريعة التوراة، وتحايلوا على تعاليم الدّين القويم، وحرفوا الكلم عن مواضعه.

يقول الله تعالى:﴿ وَإِذۡ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَٰقَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡكِتَٰبَ لَتُبَيِّنُنَّهُۥ لِلنَّاسِ وَلَا تَكۡتُمُونَهُۥ فَنَبَذُوهُ وَرَآءَ ظُهُورِهِمۡ وَٱشۡتَرَوۡاْ بِهِۦ ثَمَنٗا قَلِيلٗاۖ فَبِئۡسَ مَا يَشۡتَرُونَ ﴿١٨٧﴾﴾[4].

وقال الله تعالى:﴿ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ عَهِدَ إِلَيۡنَآ أَلَّا نُؤۡمِنَ لِرَسُولٍ حَتَّىٰ يَأۡتِيَنَا بِقُرۡبَانٖ تَأۡكُلُهُ ٱلنَّارُۗ قُلۡ قَدۡ جَآءَكُمۡ رُسُلٞ مِّن قَبۡلِي بِٱلۡبَيِّنَٰتِ وَبِٱلَّذِي قُلۡتُمۡ فَلِمَ قَتَلۡتُمُوهُمۡ إِن كُنتُمۡ صَٰدِقِينَ ﴿١٨٣﴾ فَإِن كَذَّبُوكَ فَقَدۡ كُذِّبَ رُسُلٞ مِّن قَبۡلِكَ جَآءُو بِٱلۡبَيِّنَٰتِ وَٱلزُّبُرِ وَٱلۡكِتَٰبِ ٱلۡمُنِيرِ ﴿١٨٤﴾﴾[5].

يقول سيد قطب :(إنها طبيعة بنى إسرائيل التي ما تكاد تستقيم خطوة حتى تلتوي عن الطريق، والتي ما تكاد ترتفع عن مدى الرؤية الحسية في التصور والاعتقاد، والتي يسهل انتكاسها كلما فتر عنها التوجيه والتسديد، لقد راودوا موسى من قبل أن يجعل لهم إلها يعكفون عليه بمجرد رؤيتهم لقوم وثنيين يعكفون

1- سورة البقرة: 100-101.

2- سيد قطب: في ظلال القرآن، مج1، ج1، ص125.

3- سورة المائدة : 12 - 13.

4- سورة آل عمران: 186.

5 - آل عمران: 183 – 184.

على أصنام لهم، فصدهم نبيهم عن ذلك الخاطر وردتهم ردا شديدا، فلما خلوا إلى أنفسهم ورأوا عجلا جسدا من الذهب طاروا إليه وتهافتوا عليه)[1].

قال الله تعالى:﴿وَٱتَّخَذَ قَوْمُ مُوسَىٰ مِنۢ بَعْدِهِۦ مِنْ حُلِيِّهِمْ عِجْلًا جَسَدًا لَّهُۥ خُوَارٌ ۚ أَلَمْ يَرَوْا۟ أَنَّهُۥ لَا يُكَلِّمُهُمْ وَلَا يَهْدِيهِمْ سَبِيلًا ۘ ٱتَّخَذُوهُ وَكَانُوا۟ ظَٰلِمِينَ ﴿١٤٨﴾﴾[2].

حكى القرآن الكريم كثيرا من رذائل اليهود ومقابحهم، ومن بين ماحكاه عنهم من رذائل سوء أدبهم مع الخالق عز وجل ووصفهم له سبحانه بما لا يليق به، وبما هو منزه عنه، كذلك من بين ما حكاه عنهم من آثام مجاهرتهم لأمين الوحي جبريل عليه السلام وقتلهم للأنبياء الكرام الذين جاءوا بالهدى ودين الحق وتعديهم على من يأمروهم بالقسط من الناس[3].

ومن ذلك قوله تعالى:﴿ لَّقَدْ سَمِعَ ٱللَّهُ قَوْلَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓا۟ إِنَّ ٱللَّهَ فَقِيرٌ وَنَحْنُ أَغْنِيَآءُ ۘ سَنَكْتُبُ مَا قَالُوا۟ وَقَتْلَهُمُ ٱلْأَنۢبِيَآءَ بِغَيْرِ حَقٍّ وَنَقُولُ ذُوقُوا۟ عَذَابَ ٱلْحَرِيقِ ﴿١٨١﴾ ذَٰلِكَ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيكُمْ وَأَنَّ ٱللَّهَ لَيْسَ بِظَلَّامٍ لِّلْعَبِيدِ ﴿١٨٢﴾﴾[4].

وقال تعالى:﴿ لُعِنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنۢ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ عَلَىٰ لِسَانِ دَاوُۥدَ وَعِيسَى ٱبْنِ مَرْيَمَ ۚ ذَٰلِكَ بِمَا عَصَوا۟ وَّكَانُوا۟ يَعْتَدُونَ ﴿٧٨﴾ كَانُوا۟ لَا يَتَنَاهَوْنَ عَن مُّنكَرٍ فَعَلُوهُ ۚ لَبِئْسَ مَا كَانُوا۟ يَفْعَلُونَ ﴿٧٩﴾ تَرَىٰ كَثِيرًا مِّنْهُمْ يَتَوَلَّوْنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ۚ لَبِئْسَ مَا قَدَّمَتْ لَهُمْ أَنفُسُهُمْ أَن سَخِطَ ٱللَّهُ عَلَيْهِمْ وَفِى ٱلْعَذَابِ هُمْ خَٰلِدُونَ ﴿٨٠﴾ وَلَوْ كَانُوا۟ يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلنَّبِىِّ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْهِ مَا ٱتَّخَذُوهُمْ أَوْلِيَآءَ وَلَٰكِنَّ كَثِيرًا مِّنْهُمْ فَٰسِقُونَ ﴿٨١﴾ ۞ لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ ٱلنَّاسِ عَدَٰوَةً لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱلْيَهُودَ وَٱلَّذِينَ أَشْرَكُوا۟ ۖ﴾[5].

يقول المراغي:(أي لعن الذين كفروا من بنى إسرائيل في الزبور والإنجيل على لسان هذين النبيين، فقد لَعَن داوودُ عليه السلام من اعتدى منهم في السبت، أولعن العاصين المعتدين عامة، وكذلك لعنهم عيسى عليه السلام وهو آخر أنبيائهم، وما سبب ذلك اللعن الذي امتدّ واستمر إلا تماديهم في العصيان وتمردهم على الأديان كما يدل عليه قوله :(وكانوا يعتدون)، وفي الآية إيماء إلى فشو المنكرات فيهم، وانتشار مفاسدها بينهم إذا لولا ذلك ما كان ترك التناهي شأنا من شؤونهم وعادة من عاداتهم)[6].

1- سيد قطب: في ظلال القرآن، مج3، ج9، ص640.

2-سورة الأعراف: 148.

3- محمد سيد طنطاوي: بنو إسرائيل في القرآن، ص415.

4- سورة آل عمران: 181 -182.

5- سورة المائدة: 78 – 82.

6- أحمد مصطفى المراغي: تفسير المراغي،ج6، ص171.

لا يقف القرآن عند حد الإقرار بانتهاء مفعولية ميثاق بنى إسرائيل مع الله، بل يشن عليهم هجوما عنيفا لأنهم كانوا مثلا سيئا[1]، حيث يقول تعالى : ﴿ مَثَلُ ٱلَّذِينَ حُمِّلُواْ ٱلتَّوْرَىٰةَ ثُمَّ لَمْ يَحْمِلُوهَا كَمَثَلِ ٱلْحِمَارِ يَحْمِلُ أَسْفَارًا ۚ بِئْسَ مَثَلُ ٱلْقَوْمِ ٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ ۚ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ۝ قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ هَادُوٓاْ إِن زَعَمْتُمْ أَنَّكُمْ أَوْلِيَآءُ لِلَّهِ مِن دُونِ ٱلنَّاسِ فَتَمَنَّوُاْ ٱلْمَوْتَ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ۝ وَلَا يَتَمَنَّوْنَهُۥٓ أَبَدًۢا بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ ۚ وَٱللَّهُ عَلِيمٌۢ بِٱلظَّٰلِمِينَ ۝ ﴾[2].

لم يقم بنو إسرائيل بواجبهم، وتكليفهم بحمل الرسالة السماوية المتمثلة بالتوراة لم يؤد في النهاية إلى أية نتيجة، لأنهم لم يستفيدوا منها، ولم يفيدوا أحدا، ولم يكن حملهم لها سوى حمل كتاب كثقل وليس كعلم ومعرفة وعمل[3].

المطلب الثالث: عقاب الله لبنى إسرائيل

إضافة إلى الصفة التي ذكرناها آنفا والتي هي نقض العهود والتي اتسم بها اليهود فإنه يضاف إليها صفة أخرى وهي صفة الفساد والإفساد، فاليهود مفسدون في الأرض وإفسادهم جلب لهم كثيرا من النقم والمصائب التي حلت بهم، مما يؤكد عدم أهليتهم لأن يكونوا حاملي رسالة التوحيد فينالوا بذلك التمكين في الأرض والنصر والظفر على باقي الشعوب.

ولذلك فقد كتب الله في كتابه الكريم عليهم أنهم كلما عادوا إلى الإفساد في الأرض فإنه سيعاقبهم كما عاقبهم من قبل بتسلط الأمم عليهم.

في سورة الإسراء آيات كريمة ذكرت ما توعد الله به بنى إسرائيل من عقوبات بسبب إفسادهم في الأرض، وتنكبهم عن الطريق المستقيم[4]، قال الله تعالى:﴿ وَقَضَيْنَآ إِلَىٰ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ فِى ٱلْكِتَٰبِ لَتُفْسِدُنَّ فِى ٱلْأَرْضِ مَرَّتَيْنِ وَلَتَعْلُنَّ عُلُوًّا كَبِيرًا ۝ فَإِذَا جَآءَ وَعْدُ أُولَىٰهُمَا بَعَثْنَا عَلَيْكُمْ عِبَادًا لَّنَآ أُوْلِى بَأْسٍ شَدِيدٍ فَجَاسُواْ خِلَٰلَ ٱلدِّيَارِ ۚ وَكَانَ وَعْدًا مَّفْعُولًا ۝ ثُمَّ رَدَدْنَا لَكُمُ ٱلْكَرَّةَ عَلَيْهِمْ وَأَمْدَدْنَٰكُم بِأَمْوَٰلٍ وَبَنِينَ وَجَعَلْنَٰكُمْ أَكْثَرَ نَفِيرًا ۝ إِنْ أَحْسَنتُمْ أَحْسَنتُمْ لِأَنفُسِكُمْ ۖ وَإِنْ أَسَأْتُمْ فَلَهَا ۚ فَإِذَا جَآءَ وَعْدُ ٱلْآخِرَةِ لِيَسُـࣳـُٔواْ

1- عبد الستار قاسم: إبراهيم والميثاق، ص52.

2- سورة الجمعة: 5.

3-عبد الستار قاسم: المرجع السابق، ص52.

4- محمد سيد طنطاوي: بنو إسرائيل ، ص653.

وُجُوهَكُمْ وَلِيَدْخُلُوا۟ ٱلْمَسْجِدَ كَمَا دَخَلُوهُ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَلِيُتَبِّرُوا۟ مَا عَلَوْا۟ تَتْبِيرًا ﴿٧﴾ عَسَىٰ رَبُّكُمْ أَن يَرْحَمَكُمْ ۚ وَإِنْ عُدتُّمْ عُدْنَا ۘ وَجَعَلْنَا جَهَنَّمَ لِلْكَٰفِرِينَ حَصِيرًا ﴿٨﴾﴾[1].

والمراد بقوله تعالى" **وقضينا إلى بنى إسرائيل** ": أي تقدمنا وعهدنا إليهم وأخبرناهم في كتابهم، أنهم لابد أن يقع منهم إفساد في الأرض مرتين بعمل المعاصي والبطر لنعم الله، والعلو في الأرض والتكبر فيها، وأنه إذا وقع واحدة منهما، سلط الله عليهم الأعداء وانتقم منهم[2].

وقد اختلف علماء التفسير المسلمون في المقصود بالإفسادين الأول والثاني المشار إليهما بالآيات الكريمة، كما اختلفوا في تفاصيل العقاب الذي وقع على بنى إسرائيل في كل مرة[3].

وملخص ما ذكره المفسرون عن الإسفادين الأول والثاني وعقاب الله لهم عن كل إفساد نذكره فيما يلي :

العقاب على الإفساد الأول :

يقول ابن كثير :(قال سعيد بن المسيب: ظهر بختنصر على الشام فخرب بيت المقدس وقتلهم ثم أتى دمشق فوجد بها دميغلى على كبً ا، فسألهم: ما هذا الدم؟، فقالوا أدركنا آباءنا على هذا، وكلما ظهر عليه الكبا ظهر، قال: فقتل على ذلك الدم سبعين ألفا من المسلمين وغيرهم، فسكن...وأنه قتل أشرافهم وعلماءهم، حتى إنه لم يبق من يحفظ التوراة، وأخذ معه خلقا منهم أسرى من أبناء الأنبياء وغيرهم)[4].

وقيل أن الذي سلط عليهم جالوت الجزري وجنوده، ثم أديلوا عليه بعد ذلك، وقتل داوود جالوت[5]،ولذلك قال الله تعالى:﴿ ثُمَّ رَدَدْنَا لَكُمُ ٱلْكَرَّةَ عَلَيْهِمْ وَأَمْدَدْنَٰكُم بِأَمْوَٰلٍ وَبَنِينَ وَجَعَلْنَٰكُمْ أَكْثَرَ نَفِيرًا ﴾، وهذا قول ابن عباس، أما سعيد بن جبير فيرى أن المسلط عليهم هو ملك الموصل سنحاريب[6]، وقيل أن الإفساد الأول كان في المدينة لما نقضوا العهد وتآمروا على قتل النبي صلى الله علية وسلم ، فأجلاهم عن المدينة[7].

1-سورة الإسراء : 4 – 8.

2- عبد الرحمن بن ناصر السعدي: تيسير الكريم الرحمن، ص 483.

3- نصر الله أبو طالب: انحدار من بعد اصطفاء، ص257.

4- ابن كثير: تفسير القرآن العظيم، مج3، ج5، ص31.

5-ورد ذلك في قوله تعالى في سورة البقرة:251:﴿ فَهَزَمُوهُم بِإِذْنِ ٱللَّهِ وَقَتَلَ دَاوُۥدُ جَالُوتَ وَءَاتَىٰهُ ٱللَّهُ ٱلْمُلْكَ وَٱلْحِكْمَةَ وَعَلَّمَهُۥ مِمَّا يَشَآءُ ۗ وَلَوْلَا دَفْعُ ٱللَّهِ ٱلنَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَّفَسَدَتِ ٱلْأَرْضُ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ ذُو فَضْلٍ عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٢٥١﴾﴾.

6- المصدر نفسه: مج3، ج6، ص31.

7- محمد متولي الشعراوي: قصص الأنبياء، مج4، ص2527.

العقاب على الإفساد الثاني:

وهو المقصود من قوله تعالى:﴿ فَإِذَا جَآءَ وَعۡدُ ٱلۡأٓخِرَةِ لِيَسُـُٔواْ وُجُوهَكُمۡ وَلِيَدۡخُلُواْ ٱلۡمَسۡجِدَ كَمَا دَخَلُوهُ أَوَّلَ مَرَّةٖ وَلِيُتَبِّرُواْ مَا عَلَوۡاْ تَتۡبِيرًا ﴾.

والذين سلطوا على بني إسرائيل في هذه المرة:

-1/قيل أنهم بختنصر وجنوده وهذا بعد فسق بنى إسرائيل وبعدهم عن تعاليم التوراة وقتلهم الأنبياء، فسلط الله عليهم هذا الملك فدمر أورشاليم وخربها وأحرق هيكل سليمان[1].

-2/وقيل أن الذي سلط عليهم هم الرومان بقيادة تيطس.

يقول الطنطاوي:(أن هذا الرأي الذي يقول أن الذي سلط هو بختنصر هو الذي قاله جمهور المفسرين وهو ليس ببعيد لما ذكرنا من تنكيله بهم إلا أننا نؤثر على هذا الرأي، أن يكون المسلط عليهم بعد إفسادهم الثاني هم الرومان بقيادة تيطس وذلك لأسباب منها:

-1/ أن رذائل بنى إسرائيل قبل تنكيل الرومان بهم كانت أشد وأكبر من رذائلهم التي سبقت إذلال بختنصر لهم.

-2/ أن العقاب كان بسبب قتل يحى[2]، ويحى كان في عهد الرومان، وليس في عهد بختنصر الذي كان سابقا بخمسة قرون على الأقل .

-3/ أن ضربات الرومان كانت أقسى على اليهود من ضربات بختنصر .

-4/ أن دولتهم لم تقم لها قائمة بعد تنكيل الرومان، وانقطع دابرهم إلى الأبد)[3].

وإضافة إلى الفساد الذي قام به بنو إسرائيل والعقاب الأول والثاني اللذين سلطهما عليهم الله، فإن بني إسرائيل عادوا إلى الإفساد مرات كثيرة فعوقبوا على كل فساد ارتكبوه وذلك قوله تعالى: ﴿ عَسَىٰ رَبُّكُمۡ أَن يَرۡحَمَكُمۡۚ وَإِنۡ عُدتُّمۡ عُدۡنَا﴾.

يقول محمد رشيد رضا:(وقد عادوا فسلط عليهم النصارى فسلبوا ملكهم الذي أقاموه بعد نجاتهم من السبي البابلي، وقهروهم واستذلوهم، ثم جاء الإسلام فعاداه منهم الذين كانوا هربوا من الذل والنكال ولجأوا إلى البلاد العرب فعاشوا فيها أعزاء آمنين، ولم يفوا للنبي ما عاهدوه عليه إذ أمنهم على أنفسهم وأموالهم

1- أبو بكر جابر الجزائري: أيسر التفاسير، مج3، ص176 – 177.

2- وفي الجلالين:(أنهم قتلوا زكريا، فبعث الله عليهم جالوت وجنوده وهذا في الإفساد الأول، أما في الإفساد الثاني فإنهم قتلوا يحى فبعث عليهم الله بختنصر) تفسير الجلالين " جلال الدين المحلي، وجلال الدين السيوطي " ، ط3، دار الخير، دمشق، سوريا، 1423ه – 2003م، ص282.

3- محمد سيد طنطاوي: بنو إسرائيل ، ص670.

وحرية دينهم بل غدروا به وكادوا له، ونصروا المشركين عليه فسلطه الله عليهم فقاتلهم فنصره عليهم فأجلى بعضهم وقتل بعضا، وأجلى عمر من بقي منهم، ثم فتح عمر سورية بعضها بالصلح كبيت المقدس وبعضها عنوة، فصار اليهود من سيادة الروم الجائرة القاهرة إلى سلطة الإسلام العادلة ولكنهم ظلوا أذلة بفقد الملك والاستقلال)[1].

ويرى بعض المفسرين أن المقصود بالإفساد الثاني في الآية هو الذي (سيجمع الله فيه المسلمين على رجل صالح منهم وتدور رحى الحرب بين المسلمين واليهود وتكون الغلبة بإذن الله للمسلمين حتى أن الحجر يقول: "يا عبد الله يا مسلم خلفي يهودي تعال فاقتله"[2]، وهذا بعد أن يجتمع اليهود في وطن واحد بعد أن كانوا مشتتين)[3].

وفي سورة الأعراف بعد أن ذكر الله سبحانه وتعالى قصة أصحاب السبت ومسخهم إلى قردة كانت اللعنة الأبدية على بنى إسرائيل-إلا الذين يؤمنون بالنبي الأمي ويتبعونه- بما انتهى إليه أمرهم بعد فترة من المعصية لا تنتهي وصدرت المشيئة الإلهية بالحكم الذي لا راد له ولا معقب عليه[4]، أن يبعث عليهم إلى يوم القيامة من يسومهم سوء العذاب.

قال الله تعالى:﴿ وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكَ لَيَبْعَثَنَّ عَلَيْهِمْ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَـٰمَةِ مَن يَسُومُهُمْ سُوٓءَ ٱلْعَذَابِ ۗ إِنَّ رَبَّكَ لَسَرِيعُ ٱلْعِقَابِ ۖ وَإِنَّهُۥ لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٦٧﴾ وَقَطَّعْنَـٰهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ أُمَمًا ۖ مِّنْهُمُ ٱلصَّـٰلِحُونَ وَمِنْهُمْ دُونَ ذَٰلِكَ ۖ وَبَلَوْنَـٰهُم بِٱلْحَسَنَـٰتِ وَٱلسَّيِّـَٔاتِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿١٦٨﴾ فَخَلَفَ مِنۢ بَعْدِهِمْ خَلْفٌ وَرِثُوا۟ ٱلْكِتَـٰبَ يَأْخُذُونَ عَرَضَ هَـٰذَا ٱلْأَدْنَىٰ وَيَقُولُونَ سَيُغْفَرُ لَنَا وَإِن يَأْتِهِمْ عَرَضٌ مِّثْلُهُۥ يَأْخُذُوهُ ۚ أَلَمْ يُؤْخَذْ عَلَيْهِم مِّيثَـٰقُ ٱلْكِتَـٰبِ أَن لَّا يَقُولُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْحَقَّ وَدَرَسُوا۟ مَا فِيهِ ۗ وَٱلدَّارُ ٱلْـَٔاخِرَةُ خَيْرٌ لِّلَّذِينَ يَتَّقُونَ ۗ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿١٦٩﴾ وَٱلَّذِينَ يُمَسِّكُونَ بِٱلْكِتَـٰبِ وَأَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجْرَ ٱلْمُصْلِحِينَ ﴿١٧٠﴾ ﴾[5].

وبهذا قضى العدل الإلهي على طرد هذه الفئة الضالة من رحمة الله، وأن يبعث الله عليهم إليهم إلى يوم القيامة من ينكل بهم ويسومهم ألوانا من العذاب مهما حاول أعوانهم من الكافرين أمثالهم مدّ يد

1- محمد رشيد رضا: تفسير المنار، ج9، ص280.

2-وهو جزء من حديث رواه مسلم في صحيحة: كتاب الفتن وأشراط الساعة، رقم (2922)، وتمام الحديث هو: عن أبي هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال:(لا تقوم الساعة حتى يقاتل المسلمون اليهود، فيقتلهم المسلمون، حتى يختبئ اليهودي من وراء الحجر و الشجر، فيقول الحجر أو الشجر: "يا مسلم يا عبد الله، هذا يهودي خلفي، فتعال فاقتله"، إلا الغرقد-وهو نوع من شجر الشوك معروف ببلاد بيت المقدس- فإنه من شجر اليهود).

3- محمد متولي الشعراوي: قصص الأنبياء، مج4، ص2527.

4- سيد قطب: في ظلال القرآن، مج3، ج9، ص660.

5- سورة الأعراف: 167 – 170.

المساعدة، والمعونة لهم فإن حبلها مقطوع يوما ما طبقا لوعيد الله، وتاريخ اليهود حافل بأحداث العذاب الدنيوي الذي تصبه البشرية عليهم صبا منذ بداية وجودهم حتى يومنا هذا[1].

المطلب الرابع: مصير الوعد

وكما كان وعد الله لبني إسرائيل مشروطا بوصايا وبعهود لم يصونوها، ومنوطا بتعاليم ومواثيق لم يراعوها، فقد كان مرهوناً كذلك وموقوتا بفترة زمنية محددة، شاء الله لها أن تختم بنبي الله عيسى عليه السلام الذي تآمر بنو إسرائيل على قتله هو الآخر وصلبه – على نحو ما تآمروا على قتل غيره – لولا أن رفعه الله إليه وألقى شبهه على غيره.

لذا كان مجيء عيسى عليه السلام – بعد أن تناوب عليهم ومن بني جلدتهم لكن دون جدوى عدد غير قليل من الأنبياء والمصلحين كان مجيئُه محاولة أخيرة لإرجاعهم إلى سابق عهدهم حتى ينزعوا إلى صبغة الله، وإلى حكمهوشريعته، ولا يرغبوا عن ملة آبائهم إبراهيم وإسحاق ويعقوب، وتمهيداً في الوقت ذاته لمرحلة جديدة يتواصل عندها وحي السماء إلى الأرض، وتستمر بالتالي إلى الأبد، الأمر الذي ينذر بخطورة ما وصل إليه القوم من ختم على القلوب من جراء غلقها أمام كل خير، ويؤذن بفقدان الأمل في إرجاع الأمر على يد هؤلاء مرة ثانية إلى ما كان عليه، ويعني كذلك – وهذا هو الأهم – أن انتهاء مدتهم التي قدرها الله لهم لوراثة الأرض والنبوة له ما يبرره[2].

ذكر الله تعالى في القرآن الكريم أنه بعث عيسى عليه السلام إلى بنى إسرائيل، ولكنهم كفروا به وحاولوا قتله، فرفعه الله إليه، قال تعالى:﴿ فَبِمَا نَقْضِهِم مِّيثَٰقَهُمْ وَكُفْرِهِم بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَقَتْلِهِمُ ٱلْأَنۢبِيَآءَ بِغَيْرِ حَقٍّ وَقَوْلِهِمْ قُلُوبُنَا غُلْفٌۢ ۚ بَلْ طَبَعَ ٱللَّهُ عَلَيْهَا بِكُفْرِهِمْ فَلَا يُؤْمِنُونَ إِلَّا قَلِيلًا ﴿١٥٥﴾ وَبِكُفْرِهِمْ وَقَوْلِهِمْ عَلَىٰ مَرْيَمَ بُهْتَٰنًا عَظِيمًا ﴿١٥٦﴾ وَقَوْلِهِمْ إِنَّا قَتَلْنَا ٱلْمَسِيحَ عِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ رَسُولَ ٱللَّهِ وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَٰكِن شُبِّهَ لَهُمْ ۚ وَإِنَّ ٱلَّذِينَ ٱخْتَلَفُوا۟ فِيهِ لَفِى شَكٍّ مِّنْهُ ۚ مَا لَهُم بِهِۦ مِنْ عِلْمٍ إِلَّا ٱتِّبَاعَ ٱلظَّنِّ ۚ وَمَا قَتَلُوهُ يَقِينًۢا ﴿١٥٧﴾ بَل رَّفَعَهُ ٱللَّهُ إِلَيْهِ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا ﴿١٥٨﴾ وَإِن مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ إِلَّا لَيُؤْمِنَنَّ بِهِۦ قَبْلَ مَوْتِهِۦ ۖ وَيَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ يَكُونُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا ﴿١٥٩﴾ ﴾[3].

1-محمد عزت الطهطاوي: الميزان في مقارنة الأديان وثائق وحقائق، ط1، دار القلم، دمشق، سوريا، 1413هـ، 1993م، ص32.

2-محمد عبد العليم الدسوقي: انتفاء الحق الديني والتاريخي لليهود في أرض فلسطين بموجب ما جاء في التوراة والإنجيل وفي آي التنزيل، مجمع البحوث الإسلامية بالأزهر الشريف، القاهرة ، مصر، ص16.

3- سورة النساء: 155 – 159.

يقول ابن كثير:(أخبر تعالى أنه رفعه إليه بعدما توفاه بالنوم على الصحيح المقطوع به، وخلصه ممن كان أراد أذيته من اليهود الذين وشوا به إلى بعض الملوك الكفرة في ذلك الزمان)[1].

ويذكر القرآن عيسى عليه السلام بلفظ **"المسيح"** تارة وهو لقب له وبلفظ **"عيسى"** وهو اسمه العَلَمي وهو بالعبرية **"يشوع** " أي **"المخلص"** إشارة إلى أنه سبب لتخلص كثيرين من آثامهم وضلالهم، ويذكره القرآن عليه السلام بكنيته "ابن مريم" تارة أخرى[2].

فعيسى عليه السلام، هو خاتم أنبياء بنى إسرائيل وقد قام فيهم خطيبا، فبشرهم بخاتم الأنبياء الآتي بعده، ونوه باسمه، وذكر لهم صفته ليعرفوه، ويتابعوه إذا شاهدوه إقامة للحجة عليهم، وإحسانا من الله إليهم[3]، قال الله تعالى :

﴿ وَإِذْ قَالَ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ يَٰبَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ إِنِّي رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُم مُّصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيَّ مِنَ ٱلتَّوْرَىٰةِ وَمُبَشِّرًۢا بِرَسُولٍ يَأْتِي مِنۢ بَعْدِي ٱسْمُهُۥٓ أَحْمَدُ ۖ فَلَمَّا جَآءَهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ قَالُواْ هَٰذَا سِحْرٌ مُّبِينٌ ﴿٦﴾ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ وَهُوَ يُدْعَىٰٓ إِلَى ٱلْإِسْلَٰمِ ۚ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِي ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٧﴾ يُرِيدُونَ لِيُطْفِـُٔواْ نُورَ ٱللَّهِ بِأَفْوَٰهِهِمْ وَٱللَّهُ مُتِمُّ نُورِهِۦ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْكَٰفِرُونَ ﴿٨﴾ هُوَ ٱلَّذِيٓ أَرْسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلْهُدَىٰ وَدِينِ ٱلْحَقِّ لِيُظْهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْمُشْرِكُونَ ﴿٩﴾ ﴾[4].

يقول عبد الوهاب النجار عن المسيح الذي ينتظره اليهود :

(أميل كل الميل إلى أن المسيح الدجال إنما هو رجل يقوم من اليهود ويدعى أنه "المسيح " أي الملك الذي وعدوا به، وهم ينتظرونه إلى اليوم، ذلك أني نظرت إلى اليهود فوجدتهم ينتظرون مسيحا يعيد إليهم الملك والسلطان في الأرض ويعتزون به، فلما جاءهم المسيح عيسى بن مريم يشيد بينهم مملكة الأخلاق والتقوى والسجايا الكريمة لم يكن هو المسيح الذي صوروه لأنفسهم فمكروا به وأرادوا قتله، ولو كان جاءهم بملك الثورة لآمنوا به إذ هم قوم يؤلهون الثورة والمال انظروا إليهم وقد قال لهم صموئيل[5] (إِنَّ ٱللَّهَ قَدْ

1- ابن كثير: قصص الأنبياء، ص484.

2- عبد الوهاب النجار: قصص الأنبياء، ط3، دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان، ت[]، ص 371.

3- ابن كثير: قصص الأنبياء، ص465.

4- سورة الصف: 6 -9.

5- إشارة إلى قوله تعالى في سورة البقرة:﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلْمَلَإِ مِنۢ بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ مِنۢ بَعْدِ مُوسَىٰٓ إِذْ قَالُواْ لِنَبِيٍّ لَّهُمُ ٱبْعَثْ لَنَا مَلِكًا نُّقَٰتِلْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ ۖ قَالَ هَلْ عَسَيْتُمْ إِن كُتِبَ عَلَيْكُمُ ٱلْقِتَالُ أَلَّا تُقَٰتِلُواْ ۖ قَالُواْ وَمَا لَنَآ أَلَّا نُقَٰتِلَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَقَدْ أُخْرِجْنَا مِن دِيَٰرِنَا وَأَبْنَآئِنَا ۖ فَلَمَّا كُتِبَ عَلَيْهِمُ ٱلْقِتَالُ تَوَلَّوْاْ إِلَّا قَلِيلًا مِّنْهُمْ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌۢ بِٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٢٤٦﴾ وَقَالَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ إِنَّ ٱللَّهَ قَدْ بَعَثَ

بَعَثَ لَكُمْ طَالُوتَ مَلِكًا)، ماذا أجابوه به ألم يجيبوا يقولهم (أَنَّىٰ يَكُونُ لَهُ ٱلْمُلْكُ عَلَيْنَا وَنَحْنُ أَحَقُّ بِٱلْمُلْكِ مِنْهُ وَلَمْ يُؤْتَ سَعَةً مِّنَ ٱلْمَالِ)[1]، ولا غرو إن كان المسيح عيسى مرفوضا منهم وظلوا على حالهم ينتظرون مسيحا ماليا إلى اليوم)[2].

وبشر عيسى عليه السلام بخاتم الأنبياء الذي يأتي من بعده وبين صفاته قال تعالى:﴿ ٱلَّذِينَ يَتَّبِعُونَ ٱلرَّسُولَ ٱلنَّبِيَّ ٱلْأُمِّيَّ ٱلَّذِى يَجِدُونَهُۥ مَكْتُوبًا عِندَهُمْ فِى ٱلتَّوْرَىٰةِ وَٱلْإِنجِيلِ يَأْمُرُهُم بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَىٰهُمْ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ ٱلْخَبَٰٓئِثَ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَٱلْأَغْلَٰلَ ٱلَّتِى كَانَتْ عَلَيْهِمْ ۚ فَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِهِۦ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَٱتَّبَعُوا۟ ٱلنُّورَ ٱلَّذِىٓ أُنزِلَ مَعَهُۥٓ ۙ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿١٥٧﴾ ﴾[3].

ففي محمد صلى الله عليه وسلم انتهت بركة إبراهيم ورسالته، كما انتهت من قبل إلى إسماعيل وإسحق و يعقوب و موسى عليهم السلام[4]، قال الله تعالى:﴿ إِنَّآ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ كَمَآ أَوْحَيْنَآ إِلَىٰ نُوحٍ وَٱلنَّبِيِّـۧنَ مِنۢ بَعْدِهِۦ ۚ وَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰٓ إِبْرَٰهِيمَ وَإِسْمَٰعِيلَ وَإِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ وَٱلْأَسْبَاطِ وَعِيسَىٰ وَأَيُّوبَ وَيُونُسَ وَهَٰرُونَ وَسُلَيْمَٰنَ ۚ وَءَاتَيْنَا دَاوُۥدَ زَبُورًا ﴿١٦٣﴾ ﴾[5].

فالقرآن الكريم لا يرى خلاصا لبني إسرائيل إلا باتّباع النبي الخاتم الذي بشرت به الأنبياء والكتب السابقة،(وهو عليه الصلاة والسلام دعوة إبراهيم عليه السلام)[6] وذلك لما بنى الكعبة مع ابنه إسماعيل فقال:﴿ رَبَّنَا وَٱبْعَثْ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُوا۟ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَيُزَكِّيهِمْ ۚ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿١٢٩﴾ ﴾[7].

وفي ثنايا هذا العرض يبرز أن الإسلام بمعنى إسلام الوجه لله وحده كان هو الرسالة الأولى، وكان هو الرسالة الأخيرة، هكذا اعتقد إبراهيم، وهكذا اعتقد من بعده إسماعيل وإسحق ويعقوب والأسباط حتى أسلموا هذه العقيدة ذاتها إلى موسى وعيسى عليهم السلام، ثم آلت أخيرا إلى ورثة إبراهيم من المسلمين،

لَكُمْ طَالُوتَ مَلِكًا ۚ قَالُوٓا۟ أَنَّىٰ يَكُونُ لَهُ ٱلْمُلْكُ عَلَيْنَا وَنَحْنُ أَحَقُّ بِٱلْمُلْكِ مِنْهُ وَلَمْ يُؤْتَ سَعَةً مِّنَ ٱلْمَالِ ۚ قَالَ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰهُ عَلَيْكُمْ وَزَادَهُۥ بَسْطَةً فِى ٱلْعِلْمِ وَٱلْجِسْمِ ۖ وَٱللَّهُ يُؤْتِى مُلْكَهُۥ مَن يَشَآءُ ۚ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ﴿٢٤٧﴾﴾.

1- سورة البقرة: 247.

2- عبد الوهاب النجار: قصص الأنبياء، ص425.

3- سورة الأعراف: 157.

4- حسين فوزي النجار: أرض الميعاد، ص110.

5- سورة النساء: 163.

6- ابن كثير: قصص الأنبياء، ص466.

7- سورة البقرة: 129.

فمن استقام على هذه العقيدة الواحدة فهو وريثها، ووريث عهودها وبشاراتها ومن فسق عنها، ورغب بنفسه عن ملة إبراهيم، فقد فسق عن عهد الله، وقد فقد وراثته لهذا العهد وبشارته[1].

حتى أن عيسى عليه السلام عندما ينزل في آخر الزمان، يحكم بالإسلام ويهلك الله في زمنه الملل كلها إلا الإسلام، كما يهلك الله في زمنه المسيح الدجال[2] الذي يتبعه اليهود، والأحاديث في ذلك متواترة .

ففي الحديث عن أبي هريرة أن الرسول صلى الله عليه وسلم قال:(والله ولينزلّن ابن مريم حكما عادلا، فليكسرنّ الصليب، وليقتلّن الخنزير، وليضعّن الجزية، ولتتركّن القلاص فلا يسعى عليها -أي تترك الإبل فلا يرغب في اقتنائها- ولتذهبنّ الشحناء والتباغض والتحاسد، وليدعَون إلى المال فلا يقبله أحد)[3].

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (والذي نفسي بيده، ليوشكن أن ينزل فيكم ابن مريم حكما عدلا، فيكسر الصليب، ويقتل الخنزير، ويضع الجزية ويفيض المال حتى لا يقبله أحد حتى تكون السجدة الواحدة خيرا من الدنيا وما فيها)، ثم يقول أبو هريرة وقرؤوا إن شئتم:﴿ وَإِن مِّنۡ أَهۡلِ ٱلۡكِتَٰبِ إِلَّا لَيُؤۡمِنَنَّ بِهِۦ قَبۡلَ مَوۡتِهِۦۖ وَيَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ يَكُونُ عَلَيۡهِمۡ شَهِيدٗا﴾[4][5].

وعلى هذا الأساس فإن معركة المستقبل ستكون بين مسيحين، أحدهما المسيح الدجال الذي يؤمن به اليهود ويسمونه ملك السلام والذي يهيئون لخروجه ولكنهم لا يسمونه الدجال، والآخر هو المسيح ابن مريم عليه السلام الذي يؤمن بنزوله وعودته المسلمون والنصارى، ويتفق اليهود والنصارى على أن المسيح المنتظر سيكون من بنى إسرائيل، وسينزل بين بنى إسرائيل ويكونون جنده وأعوانه، وستكون قاعدة ملكه هي القدس" أورشليم" كما تتفق الطائفتان على أن تاريخ نزوله سيمثل رقما ألفيا- نسبة إلى الألف - ومستندهم في ذلك بعض التأويلات لما جاء في رؤيا يوحنا اللاهوتي[6].

ويتبع هذا المسيح الدجال الكثير من اليهود فعن أنس بن مالك أن النبي صلى الله عليه وسلم قال:(يتبع الدجال من يهود أصبهان سبعون ألفا، عليهم الطيالسة-ثوب يوضع على الكتف خال من التفصيل والخياطة-)[7].

1- سيد قطب:في ظلال القرآن، مج1، ج1، ص151.

2- محمد بن عبد الرحمان العريفي: نهاية العالم، ط1، دار التدمرية، الرياض، السعودية ، 1431 هـ، 2010 م، ص302.

3- رواه مسلم: كتاب الإيمان ، باب نزول عيسى بن مريم حاكما بشريعة نبينا محمد صلى الله عليه وسلم، رقم(243).

4- سورة النساء :159.

5- رواه البخاري: كتاب أحاديث الأنبياء ، باب نزول عيسى ابن مريم عليهما السلام، رقم(3448).

6- سفر بن عبد الرحمان الحوالي: القدس بين الوعد الحق والوعد المفترى، ص15 .

7- رواه مسلم:كتاب الفتن وأشراط الساعة، باب في بقية من أحاديث الدجال، رقم(2944).

وعلى هذا فلم يبق لليهود إلا خلاص وحيد وهو اتّباع خاتم النبيين محمد صلى الله عليه وسلم وهو النبي الموعود الذي بشرت به الكتب السماوية من إبراهيم إلى عيسى عليهم السلام، أو اتّباع الدجال الذي ينتظرونه، لأن عيسى عليه السلام لما يرجع سيكون مع أمة الحق والعدل لا مع أمة الظلم والجور.

الفصل الخامس

نتائج

المقارنة

نتائج المقارنة

تتبعنا مسيرة الوعد التوراتي في الفصول السابقة وأعقبنا عليها بموقف القرآن الكريم منها وبقي علينا أن نذكر أهم النتائج التي توصلنا إليها من خلال المقارنة.

وسنركز الضوء على النتائج التي نتبيّن من خلالها صدق الوعود وكذبها، لأن المراد هنا هو بيان أن الوعود التوراتية غير صالحة لأن تكون من وحي سماوي مقدس بل هي مجرد افتراءات كتبها الكهنة والأحبار من اليهود عبر مراحل تدوين العهد القديم.

فالوعود التي انتفخت بها أسفار التوراة باطلة وهذا البطلان يمكن أن نستشفه من التوراة نفسها، ومن القرآن كذلك، وذلك للأسباب التالية:

- لثبوت وتأكد أن التوراة التي بين أيدينا اليوم محرفة ولا سند لها إلى موسى عليه السلام أو غيره من الأنبياء، بالإضافة إلى التناقضات والأخطاء العلمية الجسيمة التي تحملها نصوص التوراة، ومنه فلا تعويل على وعودها، والقرآن أكد هذه الحقيقة.

-ارتباط الوعود التوراتية بزمن معين، وقد انقضى ذلك الزمن وولى، ولذلك فالتستر الصهيوني وراء وعود منتهية الصلاحية غير منطقي وغير مقبول، فالوعود لا تكون أبدية لانهاية لها، وإنما تتحقق في حالة توفر الشروط وانتفاء الموانع، والتوراة تعترف أن الوعد قد تم تحقيقه في عهد يوشع بن نون.

-نقض بني إسرائيل للعهود التي تحمل الوعود نسف الوعود وأبطلها.

- تأكيد القرآن على أن الدّين الصحيح هو الإسلام لا غير، وأن الموعود بالنصر والتمكين في الأرض هم المسلمون الذين يتبعون النبي الخاتم محمد صلى الله عليه وسلم.

-كان التمكين لبني إسرائيل في الأرض المقدسة لمدة قصيرة لما كانوا مستقيمين على أمر الله متصفين بالصلاح فلما زال منهم الصلاح سلب الله منهم هذه النعمة إلى الأبد.

-فلسطين أرض قديمة العروبة قدم الزمان، ولا يوجد لليهود نصيب في هذه البلاد باسم أي حق دينيا كان أو تاريخيا، كما أنها أرض إسلامية باعتبار دين الأنبياء الذين سكنوها الذين ليس لهم علاقة مع يهود اليوم لا من ناحية الجنس والنسب ولا من ناحية الدين.

المبحث الأول : أوجه التقارب

المطلب الأول: عدم أهلية اليهود للحصول على أي وعد

المطلب الثاني: انتهاء صلاحية الوعود التوراتية

المطلب الثالث: حكم بني إسرائيل للأرض المقدسة مؤقت وقصير وغير مستقر

المطلب الرابع: فلسطين ملك للعرب والمسلمين وليس لليهود أي حقّ ديني أو تاريخي

المبحث الثاني : أوجه الاختلاف .

المطلب الأول: كذب وتناقض نصوص الوعد التوراتية

المطلب الثاني:الوعد بالتمكين والاستخلاف في القرآن للصالحين(عموم الوعد للصالحين)

المطلب الثالث: مصداق الوعد

المطلب الرابع: عنصرية الوعود التوراتية

المبحث الأول: أوجه التقارب

المقصود بالتقارب ليس الاتفاق بالكلية وإنما هو تتبع بعض الجزئيات التي تكون في مجموعها وحدة موضوعية والتي من خلالها يمكن تفنيد المزاعم الصهيونية، لأن التشابه والتطابق الكلي ممتنع في كثير من الأحيان أو منعدم.

المطلب الأول:عدم أهلية اليهود للحصول على أي وعد

من خلال تتبعنا للنصوص القرآنية والتوراتية تبين لنا أن اليهود ليسو جديرين لأن يكونوا أهلا لأي وعد من الله وذلك لخصيصة نقضهم لعهود الله تعالى، وكذالك لتوالي العقوبات والمحن عليهم عبر الزمن، وقد ذكرنا ذلك في الفصل الرابع ونزيد هنا الأمر توضيحا وبيانا:

1- اتصاف بني إسرائيل بنقض العهود وعدم الوفاء

يتفق القرآن الكريم مع العهد القديم في كون الوعود مشروطة وأن بني إسرائيل لم يلتزموا بشروط العقد والعهد مما يؤكد بطلان هذه الوعود وأنها أصبحت غير ذات جدوى.

وقد قدر على بني إسرائيل كما تذكر التوراة ويذكر القرآن العزيز أن الوعد لن يتحقق لأنهم بقساوة قلوبهم وغلاظة رقابهم عاجزون عن الوفاء بالعهد، ولأن الله سبحانه وتعالى كتب في قرآنه العزيز[1]:﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَشۡتَرُونَ بِعَهۡدِ ٱللَّهِ وَأَيۡمَـٰنِهِمۡ ثَمَنًا قَلِيلاً أُوْلَـٰٓئِكَ لَا خَلَـٰقَ لَهُمۡ فِى ٱلۡأَخِرَةِ وَلَا يُكَلِّمُهُمُ ٱللَّهُ وَلَا يَنظُرُ إِلَيۡهِمۡ يَوۡمَ ٱلۡقِيَـٰمَةِ وَلَا يُزَكِّيهِمۡ وَلَهُمۡ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٧٧﴾ ﴾ [2].

جاء في سفر التثنية:« اسمع يا إسرائيل أنت اليوم عابر الأردن لكي تدخل وتمتلك شعوبا أكبر وأعظم منك ومدنا عظيمة ومحصنة إلى السماء، قوما عظاما وطوالا، بني عناق الذين عرفتهم وسمعت:"من يقف في وجه بني عناق ؟"، فاعلم اليوم أن الرب إلهك هو العابر أمامك نارا آكلة، وهو يبيدهم ويذلهم أمامك فتطردهم وتهلكهم سريعا كما كلمك الرب، لا تقل حين ينفيهم الرب من أمامك قائلا:"لأجل بري أدخلني الرب لأمتلك هذه الأرض، ولأجل إثم هؤلاء الشعوب يطردهم الرب من أمامك، ولكي يفي بالكلام الذي

1- ليلى حسن سعد الدين: مثل الذين حملوا التوراة، ص69.

2- سورة آل عمران: 77.

أقسم الرب عليه لآبائك إبراهيم وإسحاق ويعقوب، فاعلم أنه ليس لأجل برك يعطيك الرب إلهك الرب إلهك هذه الأرض الجيدة لتمتلكها، لأنك شعب صلب الرقبة »[1].

ويبرز من خلال هذا النص أن بني إسرائيل ليسوا أهلا للوعود بالأرض فهم شعب صلب الرقبة، لكن تحقيق الوعد لهم لعصيان الأمم وليفي بوعده السابق لإبراهيم وإسحاق ويعقوب عليهم السلام[2].

وبالتالي فالوعد بالتمليك ليس مجردا عن التوحيد والإيمان بل هو مرتبط به، فالوفاء بعهد الله هو السبيل الوحيد لنيل وعود الله تعالى، ولذلك قال تعالى:﴿ يَٰبَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ ٱذۡكُرُواْ نِعۡمَتِيَ ٱلَّتِيٓ أَنۡعَمۡتُ عَلَيۡكُمۡ وَأَوۡفُواْ بِعَهۡدِيٓ أُوفِ بِعَهۡدِكُمۡ وَإِيَّٰيَ فَٱرۡهَبُونِ ﴿٤٠﴾﴾[3].

إذن فالوفاء بالوعد هو نتيجة من نتائج الوفاء بالعهد، فالله تعالى لا يعطى شعبا دون شعب، ولا يحابي أحدا على حساب آخر، وبنو إسرائيل لما كانوا أفضل العالمين في زمانهم أعطاهم الله، فلما انحرفوا وكفروا وفسقوا نزعت منهم الخيرية .

قال تعالى:﴿وَلَقَدۡ نَجَّيۡنَا بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ مِنَ ٱلۡعَذَابِ ٱلۡمُهِينِ ﴿٣٠﴾ مِن فِرۡعَوۡنَۚ إِنَّهُۥ كَانَ عَالِيٗا مِّنَ ٱلۡمُسۡرِفِينَ ﴿٣١﴾ وَلَقَدِ ٱخۡتَرۡنَٰهُمۡ عَلَىٰ عِلۡمٍ عَلَى ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴿٣٢﴾ وَءَاتَيۡنَٰهُم مِّنَ ٱلۡأٓيَٰتِ مَا فِيهِ بَلَٰٓؤٞاْ مُّبِينٌ ﴾[4].

وقال تعالى:﴿وَأَوۡرَثۡنَا ٱلۡقَوۡمَ ٱلَّذِينَ كَانُواْ يُسۡتَضۡعَفُونَ مَشَٰرِقَ ٱلۡأَرۡضِ وَمَغَٰرِبَهَا ٱلَّتِي بَٰرَكۡنَا فِيهَاۖ وَتَمَّتۡ كَلِمَتُ رَبِّكَ ٱلۡحُسۡنَىٰ عَلَىٰ بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ بِمَا صَبَرُواْۖ وَدَمَّرۡنَا مَا كَانَ يَصۡنَعُ فِرۡعَوۡنُ وَقَوۡمُهُۥ وَمَا كَانُواْ يَعۡرِشُونَ ﴿١٣٧﴾﴾[5].

وقال تعالى:﴿وَنُرِيدُ أَن نَّمُنَّ عَلَى ٱلَّذِينَ ٱسۡتُضۡعِفُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَنَجۡعَلَهُمۡ أَئِمَّةٗ وَنَجۡعَلَهُمُ ٱلۡوَٰرِثِينَ ﴿٥﴾ وَنُمَكِّنَ لَهُمۡ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَنُرِيَ فِرۡعَوۡنَ وَهَٰمَٰنَ وَجُنُودَهُمَا مِنۡهُم مَّا كَانُواْ يَحۡذَرُونَ ﴿٦﴾﴾[6].

1- سفر التثنية: 9/1-6.
2-أحمد ربيع يوسف: أرض الميعاد، ص437.
3-سورة البقرة :40.
4- سورة الدخان: 30-33.
5- سورة الأعراف: 137.
6- سورة القصص: 5-6.

يقول صاحب المنار:(نفذت كلمة الله ومضت على بنى إسرائيل تامة كاملة بسبب صبرهم على الشدائد التي كابدوها من فرعون وقومه، إذ كان وعد الله تعالى إياهم بما وعدهم مقرونا بأمرهم بالصبر والاستعانة به والتقوى له كما أمرهم نبيهم عليه السلام تبليغا عنه تعالى:

﴿ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِ ٱسْتَعِينُواْ بِٱللَّهِ وَٱصْبِرُوٓاْۖ إِنَّ ٱلْأَرْضَ لِلَّهِ يُورِثُهَا مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦۖ وَٱلْعَٰقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ ﴿١٢٨﴾ قَالُوٓاْ أُوذِينَا مِن قَبْلِ أَن تَأْتِيَنَا وَمِنۢ بَعْدِ مَا جِئْتَنَاۚ قَالَ عَسَىٰ رَبُّكُمْ أَن يُهْلِكَ عَدُوَّكُمْ وَيَسْتَخْلِفَكُمْ فِي ٱلْأَرْضِ فَيَنظُرَ كَيْفَ تَعْمَلُونَ ﴿١٢٩﴾ ﴾[1].

وإذا كان قد تم وعد الله تعالى لهم بذلك ثم سلبهم الله تلك الأرض بظلمهم لأنفسهم وللناس فلم يبق من مقتضى الوعد أن يعودوا إليها مرة أخرى، لأنه قد تم ونفذ صدقا وعدلا)[2].

إذا فالوعد كان مشروطا بالأيمان، ولو لم يكن كذلك لما بقيت بعض الأقوام التي ذكرت التوراة أن الرب قد ملّكها أرضا ميراثا لها مثل قوم لوط، وقوم عيسو أخي يعقوب بن اسحق، فقد حذر الرب كما جاء في سفر التثنية بني إسرائيل من التعرض لهم أو أذيتهم ، فقال لموسى:

« وأوص الشعب قائلا أنتم مارون بتخم إخوتكم بني عيسو الساكنين في سعير فيخافون منكم، فاحترزوا جدا، لا تهجموا عليهم، لأني لا أعطيكم من أرضهم ولا وطأة قدم، لأني لعيسو قد أعطيت جبل سعير ميراثا.... لا تعاد موآب ولا تثر عليهم حربا لأني لا أعطيك من أرضهم ميراثا، لأني لبني لوط قد أعطيت "عَار" ميراثا "»[3].

ونستخلص من تاريخ بني إسرائيل أنهم لم يلتزموا بشريعة التوراة ولم يحافظوا على عقيدة الإسلام بل ضيعوها، فضاع وعد الله تعالى لتضييعهم ما أمروا بالتمسك به والحفاظ عليه .

جاء في سفر التثنية:« ولكن إن لم تسمع لصوت الرب إلهك لتحرص أن تعمل بجميع وصاياه وفرائضه التي أنا موصيك بها اليوم تأتى عليك جميع هذه اللعنات وتدركك، ملعونا تكون في المدينة وملعونا تكون في الحقل... حتى يبيدك عن الأرض التي أنت داخل إليها لكي تمتلكها »[4].

1- سورة الأعراف: 128 -129.

2- محمد رشيد رضا: تفسير المنار، ج9، ص75.

3- سفر التثنية: 4/2 -10.

4- سفر التثنية: 28/ 15-21.

وخالف بنو إسرائيل أوامر الرب وارتدوا عن الدّين مرات كثيرة وعبدوا آلهة الأقوام التي جاوروها، وتزوجوا من الأجنبيات وهذا النص من سفر القضاة يشهد علة ذلك:« سكن بنو إسرائيل في وسط الكنعانيين و الحثيين و الأموريين والفرزيين والحويين واليبوسيين، واتخذوا بناتهم لأنفسهم نساء وأعطوا بناتهم لبنيهم وعبدوا آلهتهم، فعمل بنو إسرائيل الشر في عيني الرب، ونسوا الرب إلههم، وعبدوا البعليم والسواري»[1].

وقد لُعِن الذين كفروا من بني إسرائيل في القرآن على لسان داوود وعيسى ابن مريم قال الله تعالى، لتعظم آثامهم وتركهم الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر:

﴿ لُعِنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنۢ بَنِىٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ عَلَىٰ لِسَانِ دَاوُۥدَ وَعِيسَى ٱبۡنِ مَرۡيَمَۚ ذَٰلِكَ بِمَا عَصَواْ وَّكَانُواْ يَعۡتَدُونَ ﴿٧٨﴾ كَانُواْ لَا يَتَنَاهَوۡنَ عَن مُّنكَرٍ فَعَلُوهُۚ لَبِئۡسَ مَا كَانُواْ يَفۡعَلُونَ ﴿٧٩﴾ تَرَىٰ كَثِيرًا مِّنۡهُمۡ يَتَوَلَّوۡنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْۚ لَبِئۡسَ مَا قَدَّمَتۡ لَهُمۡ أَنفُسُهُمۡ أَن سَخِطَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِمۡ وَفِى ٱلۡعَذَابِ هُمۡ خَٰلِدُونَ ﴿٨٠﴾ وَلَوۡ كَانُواْ يُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلنَّبِىِّ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيۡهِ مَا ٱتَّخَذُوهُمۡ أَوۡلِيَآءَ وَلَٰكِنَّ كَثِيرًا مِّنۡهُمۡ فَٰسِقُونَ ﴿٨١﴾ ﴾[2].

يقول الطبري في تفسيره للآية : (لعن الله الذين كفروا من اليهود بالله على لسان داود وعيسى بن مريم، ولُعن والله آباؤهم على لسان داوود وعيسى ابن مريم بما عصوا الله، فخالفوا أمره، وكانوا يتجاوزون حدوده، (لَبِئۡسَ مَا كَانُواْ يَفۡعَلُونَ) وهذا قسم من الله تعالى ذكره، يقول: "أقسم لبئس الفعل الذي كانوا يفعلون في تركهم الانتهاء عن معاصي الله تعالى وركوب محارمه وقتل أنبيائه ورسله")[3].

2- ملازمة المحن والعقاب لليهود واضطهاد الأمم لهم يبطل اختصاصهم بالوعد والإختيار

المتتبع لتاريخ بني إسرائيل يجد أن النكبات تلاحقهم والمحن تلازمهم، فالله أرسل عليهم العقاب تلو العقاب وذلك من قبل أن يبعث موسى عليه السلام إلى اليوم وهذا الأمر مدون في أسفار العهد القديم و في القرآن الكريم وفي كتب التاريخ، مما يؤكد بطلان الوعد المقدس الذي يتمسكون به ويجعلونه عقيدة مسلمة لا ينبغي التنازل عنها، إذ لو كان وعدهم ساريا فكيف ينزل الله بهم كل هذا العذاب.

1- سفر القضاة :3 / 5- 7.

2- سورة المائدة: 78 -81.

3- محمد بن جرير الطبري: جامع البيان، ج8، ص592.

وقد ردّ الله تعالى في قرآنه الكريم ما يشبه هذا القول، وهو ادّعائهم أنهم أبناء الله وأحباؤه فقال لهم منكرا عليهم هذا القول، وهو أنه لو كان الأمر كذلك ما عذّبهم، لأن الأب المحب لا يعذب أبناءه المحبوبين:

﴿ وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ وَٱلنَّصَـٰرَىٰ نَحْنُ أَبْنَـٰٓؤُا۟ ٱللَّهِ وَأَحِبَّـٰٓؤُهُۥ ۚ قُلْ فَلِمَ يُعَذِّبُكُم بِذُنُوبِكُم ۖ بَلْ أَنتُم بَشَرٌ مِّمَّنْ خَلَقَ ۚ يَغْفِرُ لِمَن يَشَآءُ وَيُعَذِّبُ مَن يَشَآءُ ۚ وَلِلَّهِ مُلْكُ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا ۖ وَإِلَيْهِ ٱلْمَصِيرُ ﴿١٨﴾ ﴾[1].

يقول الطبري في تفسيره للآية :(يقول الله جل وعز لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم : قل لهؤلاء الكذبة المفترين على ربهم فلم يعذبكم ربكم بذنوبكم إن كان الأمر كما زعمتم أنكم أبناؤه وأحباؤه، فإن الحبيب لا يعذب حبيبه، وأنتم مُقِرُّون أنه معذبكم، بل انتم بشر خلقكم الله مثل سائر بنى آدم، إن أحسنتم جوزيتم بإحسانكم كما سائر بنى آدم مجزيون بإحسانهم، وإن أسأتم جوزيتم بإساءتكم كما غيركم مجزيّ بها)[2].

فلو كانوا حقا أصحاب الوعد فلماذا حلّت بهم كل تلك الألوان من العقاب من مسخ وسبي وتيه في الأرض وشتات عبر العالم وأوجاع وطاعون وغير ذلك من المحن.

قال الله تعالى:﴿ قُلْ هَلْ أُنَبِّئُكُم بِشَرٍّ مِّن ذَٰلِكَ مَثُوبَةً عِندَ ٱللَّهِ ۚ مَن لَّعَنَهُ ٱللَّهُ وَغَضِبَ عَلَيْهِ وَجَعَلَ مِنْهُمُ ٱلْقِرَدَةَ وَٱلْخَنَازِيرَ وَعَبَدَ ٱلطَّـٰغُوتَ ۚ أُو۟لَـٰٓئِكَ شَرٌّ مَّكَانًا وَأَضَلُّ عَن سَوَآءِ ٱلسَّبِيلِ ﴿٦٠﴾ ﴾[3].

وقال تعالى:﴿وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكَ لَيَبْعَثَنَّ عَلَيْهِمْ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَـٰمَةِ مَن يَسُومُهُمْ سُوٓءَ ٱلْعَذَابِ ۗ إِنَّ رَبَّكَ لَسَرِيعُ ٱلْعِقَابِ ۖ وَإِنَّهُۥ لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٦٧﴾ وَقَطَّعْنَـٰهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ أُمَمًا ۖ مِّنْهُمُ ٱلصَّـٰلِحُونَ وَمِنْهُمْ دُونَ ذَٰلِكَ ۖ وَبَلَوْنَـٰهُم بِٱلْحَسَنَـٰتِ وَٱلسَّيِّـَٔاتِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿١٦٨﴾ ﴾[4].

وقال تعالى:﴿ فَبِظُلْمٍ مِّنَ ٱلَّذِينَ هَادُوا۟ حَرَّمْنَا عَلَيْهِمْ طَيِّبَـٰتٍ أُحِلَّتْ لَهُمْ وَبِصَدِّهِمْ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ كَثِيرًا ﴿١٦٠﴾ وَأَخْذِهِمُ ٱلرِّبَوٰا۟ وَقَدْ نُهُوا۟ عَنْهُ وَأَكْلِهِمْ أَمْوَٰلَ ٱلنَّاسِ بِٱلْبَـٰطِلِ ۚ وَأَعْتَدْنَا لِلْكَـٰفِرِينَ مِنْهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ﴾[5].

1- سورة المائدة : 18.

2- محمد بن جرير الطبري: جامع البيان، ج8، ص271.

3- سورة المائدة: 60.

4- سورة الأعراف: 167 – 168.

5- سورة النساء: 160 – 161.

وقال تعالى عنهم لما رفضوا دخول الأرض المقدسة:﴿قَالُواْ يَـٰمُوسَىٰٓ إِنَّا لَن نَّدۡخُلَهَآ أَبَدًا مَّا دَامُواْ فِيهَا فَٱذۡهَبۡ أَنتَ وَرَبُّكَ فَقَـٰتِلَآ إِنَّا هَـٰهُنَا قَـٰعِدُونَ ﴿٢٤﴾ قَالَ رَبِّ إِنِّي لَآ أَمۡلِكُ إِلَّا نَفۡسِي وَأَخِيۖ فَٱفۡرُقۡ بَيۡنَنَا وَبَيۡنَ ٱلۡقَوۡمِ ٱلۡفَـٰسِقِينَ ﴿٢٥﴾ قَالَ فَإِنَّهَا مُحَرَّمَةٌ عَلَيۡهِمۡۛ أَرۡبَعِينَ سَنَةٗۛ يَتِيهُونَ فِي ٱلۡأَرۡضِۚ فَلَا تَأۡسَ عَلَى ٱلۡقَوۡمِ ٱلۡفَـٰسِقِينَ ﴿٢٦﴾﴾[1].

وفي سفر العدد:«لن تدخلوا الأرض التي رفعت يدي لأسكنّنكم فيها...فجثثكم أنتم سقط في هذا القفر، وبنوكم يكونون رعاة في القفر أربعين سنة، ويحملون فجوركم حتى تفنى جثتكم في القفر... أنا الّرب قد تكلمت لأفعلن هذا بكل هذه الجماعة الشريرة المتفقة علي، في هذا القفر يفنون، وفيه يمتون»[2].

ومن النكبات التي نزلت بهم وهي كثيرة لا تحصى أن بختنصر خرب أورشليم وقاد أكثر أهلها أسرى وكان ذلك عام 586(ق،م)، وفي سنة 203(ق،م)وقعت يهوذا ثانيةً تحت حكم ملوك سوريا "السلوسيديين" فأثقلوا كواهل اليهود بالضرائب واضطهدوهم، وهاهو " بومبيه " الروماني يستولي على مملكة يهوذا ويجعلها إقليما رومانيا، وفي سنة 70 بعد الميلاد يثور اليهود على الرومان فيضطر الرومان لأخذ أورشليم ويأمر ملكهم " تيطس" بإحراق معبدهم وذبح معظم أهلها وبيع من بقي منهم، ولم يمض غير قليل حتى غمرت أورشليم بالسكان ثانيا، ولكن ثورة أخرى جعلت الإمبراطور الروماني " أدريان" سنة 135 م يأمر بهدم المدينة من أساسها وذبح 500.000 من اليهود وبيع الباقين وتشريدهم في جميع أرجاء المملكة[3].

وكل الذي حدث لهم جزاء وفاقا على مكرهم وعلى خروجهم على تعاليم الله تعالى وأنبيائه، لقد انتهى تاريخهم كأمة ودولة، وتفرقوا في جميع البلاد وكانوا لا يذكرون إلا من خلال البلاد التي عاشوا فيها[4].

وقد توعدهم الله بالعقاب متى عادوا إلى العصيان والفساد في الأرض فقال تعالى:

﴿ عَسَىٰ رَبُّكُمۡ أَن يَرۡحَمَكُمۡۚ وَإِنۡ عُدتُّمۡ عُدۡنَاۘ وَجَعَلۡنَا جَهَنَّمَ لِلۡكَـٰفِرِينَ حَصِيرًا ﴿٨﴾﴾[5].

1- سورة المائدة: 25 -26.

2- سفر العدد: 14/ 30 – 35.

3عفيف عبد الفتاح طبّارة: اليهود في القرآن تحليل علمي لنصوص القرآن في اليهود، على ضوء الأحداث الحاضرة مع قصص أنبياء الله " إبراهيم ويوسف وموسى عليهم السلام "، ط10، دار العلم للملايين، بيروت، لبنان 1984 م، ص 90 – 91.

4- فرج الله عبد الباري: اليهودية بين الوحي الإلهي والانحراف البشري، ص73.

5- سورة الإسراء: 8.

(والمعنى لعل ربكم أن يرحمكم ويعفوا عنكم بعد انتقامه منكم يا بني إسرائيل " وَإِنۡ عُدتُّمۡ عُدۡنَا" يعني : أن بعثنا عليكم من بعثنا، ففعلوا بكم ما فعلوا عقوبة لكم وعظة لتنتفعوا به وتنزجروا به عن ارتكاب المعاصي، ثم رحمكم فأزال هذا العذاب عنكم، فإن عدتم إلى المعصية مرة أخرى عدنا إلى صب البلاء عليكم في الدنيا مرة أخرى)[1].

يقول سيد قطب:(ولقد عادوا إلى الإفساد فسلط الله عليهم المسلمين فأخرجوهم من الجزيرة كلها، ثم عادوا إلى الإفساد فسلط عليهم عبادا آخرين، حتى كان العصر الحديث فسلط عليهم **"هتلر"** ولقد عادوا اليوم إلى الإفساد في صورة **"إسرائيل"** التي أذاقت العرب الويلات، وليسلطن الله عليهم من يسومهم سوء العذاب تصديقا لوعد الله القاطع، وفقا لسنته التي لا تتخلف، وإن غدا لناظره قريب)[2].

ومن هنا لم يبق لهذا الشعب الصلب الرقبة أي وعد يمكن التمسك به أو المطالبة به، فهم لم ينعموا طوال العصور بأرض الميعاد ولا غيرها من أرض الله فحيث ما حلوا وأينما ارتحلوا تصيبهم اللعنات والنكبات والمصائب، حتى وهم اليوم في فلسطين يعانون من عدم الاستقرار بسبب صمود الشعب العربي ودفاعه عن أرض الإسراء فبنوا الجدران العازلة وحصنوا المدن والمستوطنات وذلك لجبنهم و حرصهم على الحياة.

قال تعالى:

﴿ لَأَنتُمۡ أَشَدُّ رَهۡبَةً فِي صُدُورِهِم مِّنَ ٱللَّهِۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمۡ قَوۡمٞ لَّا يَفۡقَهُونَ ﴿١٣﴾ لَا يُقَٰتِلُونَكُمۡ جَمِيعًا إِلَّا فِي قُرٗى مُّحَصَّنَةٍ أَوۡ مِن وَرَآءِ جُدُرِۭۚ بَأۡسُهُم بَيۡنَهُمۡ شَدِيدٞۚ تَحۡسَبُهُمۡ جَمِيعٗا وَقُلُوبُهُمۡ شَتَّىٰۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمۡ قَوۡمٞ لَّا يَعۡقِلُونَ ﴿١٤﴾ كَمَثَلِ ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِمۡ قَرِيبٗاۖ ذَاقُواْ وَبَالَ أَمۡرِهِمۡ وَلَهُمۡ عَذَابٌ أَلِيمٞ ﴿١٥﴾﴾[3].

1- الرازي فخر الدين: مفاتيح الغيب، ج 20، ص160 .

2- سيد قطب: في ظلال القرآن، مج4، ج51، ص2214.

3- سورة الحشر: 13 -15.

المطلب الثاني: انتهاء صلاحية الوعود التوراتية

إن الوعود التي يتمسك بها اليهود لم تعد صالحة اليوم وذلك لعدة اعتبارات يمكن تلخيصها في النقاط التالية:

1-تحريف التوراة من طرف اليهود:

تحدثنا في الفصل الأول أن التوراة الموجودة بين أيدينا هي من كتابة الكهنة كعزرا وحلقيا وغيرهم من الكهنة وأن التوراة ضاعت مرات كثيرة وانقرضت لعدة قرون كما أن هناك عدة نسخ وترجمات متناقضة ومتضاربة فيما بينها، فلو كانت التوراة كتابا صحيحا من عند الله لسلمنا بصحة الوعد، ولكن العكس هو الصحيح فالعهد القديم لا يمكن التسليم بكل ما جاء فيه من كلام لمظنة التحريف الذي طال هذا الكتاب عبر الأزمنة والعصور.

والقرآن الكريم شّن هجوما على اليهود واعتبر أن التوراة التي بين أيديهم قد دخلها كثير من الزيف والتحريف كما أن في التوراة شواهد كثيرة تدل على تحريف اليهود لكلام الله.

قال تعالى:﴿فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ يَكْتُبُونَ ٱلْكِتَٰبَ بِأَيْدِيهِمْ ثُمَّ يَقُولُونَ هَٰذَا مِنْ عِندِ ٱللَّهِ لِيَشْتَرُوا۟ بِهِۦ ثَمَنًا قَلِيلًا ۖ فَوَيْلٌ لَّهُم مِّمَّا كَتَبَتْ أَيْدِيهِمْ وَوَيْلٌ لَّهُم مِّمَّا يَكْسِبُونَ ﴿٧٩﴾﴾[1].

يقول الطبري:(أي الذين حرفوا كتاب الله من يهود بني إسرائيل، وكتبوا كتابا على ما تأولوه من تأويلاتهم مخالفا لما أنزله الله عّز وجل على نبيه موسى عليه السلام)[2].

وغير ذلك كثير مما سطره القرآن الكريم في فضح أهل الكتاب في تحريفهم وتلاعبهم بكتب الله عزّوجل وقد سطر الكتاب المقدس نفسه هذه الحقيقة وفيه كثير من النصوص، التي تؤيد ما ذكره القرآن الكريم وتدل على تحريفه[3].

جاء في سفر إرميا قول الرب:« بالكذب يتنبأ الأنبياء باسمي، لم أرسلهم، ولا أمرتهم ولا كلمتهم، برؤيا كاذبة وعرافة باطل هم يتنبأون لكم »[4].

1-سورة البقرة : 79.

2-الطبري :جامع البيان، ج2، ص160.

3-عبد الله بن عبد الرحمن السليماني: عنصرية أهل الكتاب في تحريف اسم الذبيح، ط1، مؤسسة الأقطاب للتجارة، 1427هـ، 2006م،ص81.

4-سفر إرميا :14/14.

وقال أيضا: « إذ قد حرفتم كلام الإله الحي رب الجنود... لذلك هاأنذا أنساكم نسيانا وأرفضكم من أمام وجهي، أنتم والمدينة التي أعطيتكم وآباءكم إياها وأجعل عليكم عارا أبديا وخزيا أبديا لا ينسى»[1].

وفي المزامير: «ماذا يصنعه بي البشر؟، اليوم كله يحرفون كلامي»[2].

وقد صرحت أسفار العهد القديم في أكثر من موضع، أن كثيرين من أنبياء اليهود وأتباع الأنبياء قد حرفوا كلامه وتنبأوا بأحلام كاذبة[3].

وعند دراستي للوعد تلخص لي عدة أمور تدل على التحريف أذكرها في النقاط التالية:

أ- إن معاني التنزيه للصفات الإلهية غائبة تماما في النص التوراتي، فالإله يبدو وكأنه بشر في صورة مجسمة، فهو يتصف بالنسيان والغضب الجنوني والندم والحزن والبداء، ومن ذلك أنه صارع يعقوب وندم على خلق الإنسان كما ندم على إغراق البشرية وجعل القوس في السحاب لكي لا ينسى وأمور كثيرة مخالفة للعقيدة الصحيحة.

ب-تشويه صورة الأنبياء عليهم السلام فكتبة التوراة ركزوا على فكرة معينة من خلال سرد سيرهم عليهم السلام وهي فكرة الاختيار لفئة معينة من البشر، وتختفي تماما الحكمة من بعث الأنبياء والرسل والتي هي الهداية والإصلاح، كما أن الأنبياء تقدمهم لنا التوراة في صورة مخزية حيث تصدر عنهم أمور منافية للعصمة، فالتوراة على سبيل المثال تنسب لنوح وإسحق السكر وشرب الخمر وتنسب لداود ولوط الزنا وتنسب السرقة ليعقوب وتنسب والدياثة والحرص على الدنيا لإبراهيم وإسحق وتنسب القتل والهمجية لموسى ويوشع بن نون عليهما السلام بل حتى الشرك كما هو الحال مع يعقوب وسليمان وهارون صانع العجل.

ج-وجود أخطاء تاريخية وجغرافية وعلمية جسيمة منافية للحقائق.

د- تذكر التوراة حكايات كثيرة تشبه الأساطير القديمة التي منشأها الديانات الوثنية في بلاد الرافدين واليونان والهند وغيرها.

هذه الأمور وغيرها يؤكد على أن التوراة من وضع بشري غير مقدس وهي الحقيقة التي أكدها القرآن وشهدت عليها التوراة نفسها.

1-سفر أرميا:23/36-40.

2-المزامير : 56/4-5.

3- صالح الرقب : ليس لليهود حق ديني، ص13.

2-بعثة النبي محمد صلى الله عليه وسلم الذي بشرت به التوراة:

يؤكد القرآن الكريم أن نبي آخر الزمان قد بشرت به الكتب السابقة ومن بينها التوراة، وكما صرح القرآن على أن أوصاف هذا النبي مكتوب في هذه الكتب، ولذلك قام كثير من الباحثين باستقراء نصوص التوراة وحصر البشارات التي جاءت في هذا الصدد، ومن هؤلاء القرافي وابن تيمية والسموأل المغربي وابن القيم ورحمت الله الهندي وغيرهم، أي أن آخر الأنبياء وأمته تبع له وارثون لكل الاستحقاقات والبشارات والعهود والوعود التي أعطاها الله للأنبياء من قبل.

يقول القرافي:(وفي كتب القوم ما يدل على صحة ديننا ونبوة نبينا عليه السلام، وأنهم بمخالفته كافرون وبمعاندته من الله تعالى مبعدون، وقد نصت الأنبياء عليهم السلام من إبراهيم عليه السلام إلى المسيح عليه السلام على نبوة محمد عليه الصلاة والسلام ورسالته وأنه أفضل النبيين والمرسلين ونصوا على اسمه ونعته وحليته وأرضه وبلده وجميل سيرته وصلاح أمته وسعادة ملته، وأنه من ولد إسماعيل عليه السلام وأن دعوته تدوم إلى قيام الساعة، فمن لم يعتقد وقوع هذا كله لزم الطعن على هؤلاء الأنبياء كلهم صلى الله عليهم أجمعين، فلا جرم نحن المؤمنون حقا بجميعهم، الشاكرون لصنيعهم، وغيرهم هم الكافرون بجملتهم، والمكذبون لأخبارهم)[1].

ثم ذكر القرافي بعذلك خمسين بشارة من العهدين تؤكد نبوة محمد النبي الخاتم الذي انتهت عنده رسالة السماء والذي كان دعوة إبراهيم عندما بنى البيت مع إسماعيل حيث طلب من الله أن يبعث في هذه الأمة رسولا يعلمها الكتاب والحكمة ويزكيهم، وهذه البشارات التي ذكرها الباحثون ليس من باب الاعتراف بصحة نصوص العهدين وإنما تذكر لسببين:

أ-أنها قد تكون من البقايا التي لم تحرف فإن اليهود والنصارى لم يحرفوا كلام الله النازل في التوراة والإنجيل كله وبالتالي يستأنس بها.

ب- أنها تذكر على سبيل الافتراض للمحاجّة والجدل والمناظرة ومن ثم إلزام الخصم.

جاء في سفر التكوين قول الرب لإبراهيم: «وأما إسماعيل فقد سمعت لك فيه، ها أنا أباركه وأثمره، وأكثره كثيرا جدا، اثني عشر رئيسا يلد وأجعله أمة كبيرة»[2].

1-القرافي : الأجوبة الفاخرة، ص355.

2-سفر التكوين :20/17.

وفي سفر التكوين أن يعقوب بارك أبناءه واحدا تلو الآخر ولما وصل دور يهوذا قال: «لا يزول قضيب من يهوذا و مشترع من بين رجليه حتى يأتي شيلون وله يكون خضوع شعوب»[1].

وفي سفر التثنية: « يقيم لك الرب إلهك نبيا من وسطك من إخوتك مثلي له تسمعون»[2].

يقول القرافي:(واتفقت الأمم على أنه لم يظهر من قبل إسماعيل عليه السلام إلا نبينا صلوات الله عليه وسلم، فإن الأنبياء كانوا يكونون من ذرية إسحق عليه السلام، ولما ظهرت بركته ونمت أمته، كان الشعب الجليل الذي أعطيه إسماعيل عليه السلام، فملأت منه المشارق والمغارب ودوخت الجبابرة بالقواضب وعلى توالي الأيام لا يبلى جديدها لا يقصم عودها، فتحققت البشارة الربانية لإسماعيل عليه السلام وظهرت أمنية الخليل عليه السلام بالإحسان والإكرام)[3].

وفي التثنية أيضا: « جاء الرب من سيناء وأشرق لهم من سعير، وتلألأ من جبل فاران، وأتى من ربوات القدس، وعن يمينه نار شريعة لهم»[4].

قال ابن تيمية:(قال كثير من العلماء-واللفظ لمحمد بن قتيبة-: ليس بهذا خفاء على من تدبره، لأن مجيء الله من طور سيناء إنزاله التوراة على موسى من طور سيناء كالذي هو عند أهل الكتاب وعندنا وكذلك يجب أن يكون إشراقه من سعير إنزاله الإنجيل على المسيح وكان المسيح من سعير أرض الخليل بقرية تدعى الناصرة، وكما وجب أن يكون إشراقه من سعير بالمسيح فكذلك وجب أن يكون استعلانه من جبال فاران إنزاله القرآن على محمد صلى الله عليه وسلم، وجبال فاران هي جبال مكة، وليس بين المسلمين وأهل الكتاب خلاف في أن فاران هي مكة)[5].

والقرآن الكريم أشار إلى البشارات التي في الكتب السابقة في أكثر من موضع، منها قوله تعالى:

﴿ ٱلَّذِينَ يَتَّبِعُونَ ٱلرَّسُولَ ٱلنَّبِيَّ ٱلْأُمِّيَّ ٱلَّذِى يَجِدُونَهُۥ مَكْتُوبًا عِندَهُمْ فِى ٱلتَّوْرَىٰةِ وَٱلْإِنجِيلِ يَأْمُرُهُم بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَىٰهُمْ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ ٱلْخَبَٰٓئِثَ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ

1- سفر التكوين :10/49.

2-سفر التثنية :15/18.

3-القرافي : الأجوبة الفاخرة،ص357.

4-سفر التثنية :33/1-2.

5-تقي الدين أحمد بن تيمية: الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح، تحقيق على بن حسن بن ناصر وآخرون، ط2، دار العاصمة،الرياض، السعودية، 1419هـ، 1999م، ج5، ص200، وانظر الأجوبة الفاخرة:ص359.

وَٱلۡأَغۡلَٰلَ ٱلَّتِي كَانَتۡ عَلَيۡهِمۡۚ فَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِهِۦ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَٱتَّبَعُواْ ٱلنُّورَ ٱلَّذِيٓ أُنزِلَ مَعَهُۥٓ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُفۡلِحُونَ ﴿١٥٧﴾﴾[1].

يقول الرازي:(وهذا يدل على أن نعته وصحة نبوته مكتوب في التوراة والإنجيل، لأن ذلك لو لم يكن مكتوبا لكان ذكر هذا الكلام من أعظم المنفرات لليهود والنصارى عن قبول قوله لأن الإصرار على الكذب والبهتان من أعظم المنفرات والعاقل لا يسعى فيما يوجب نقصان حاله وينفر الناس عن قبول قوله، فلما قال ذلك دل هذا على أن ذلك النعت كان مذكورا في التوراة والإنجيل وذلك من أعظم الدلائل على صحة نبوته)[2].

إذا فالوعد ليس مؤبدا في بني إسرائيل بل كان محدودا بفترة معينة من الزمن ثم انتقل إلى أخرى وهي الأمة المسلمة وارثة الوعود والعهود، (أما بالنسبة للوعود التوراتية التي جاءت مصاحبة بكلمة إلى الأبد أو أبدي فإنها ترجمة خاطئة لكلمة "عولام" [3]العبرية والمعنى الصحيح لهذه الكلمة هو "الزمن الطويل")[4].

1-سورة الأعراف:157.

2-الرازي : مفاتيح الغيب،ج15، ص26.

3-انظر قاموس الكتاب المقدس :ص9.

4-محمد آل عمر: عقيدة اليهود، ص231.

المطلب الثالث: حكم بني إسرائيل للأرض المقدسة كان مؤقتا وقصيرا وغير مستقر

يتفق القرآن الكريم والتوراة على أن بني إسرائيل دخلوا فلسطين وحكموا فيها مدة زمنية قصيرة جدا تميزت هذه الفترة بالاضطراب وعدم الاستقرار ثم زال حكم بني إسرائيل عن هذه الأرض، مما يعني أن الله لو أعطاهم هذه الأرض واختصهم بها لبقوا فيها ولحصل لهم الاستقرار والتنعم بخيرات تلك البلاد، أي أن الحق التاريخ لا أساس له من الصحة.

(فبعد أن دخل اليهود إلى فلسطين انقسموا على أنفسهم وكانوا اثنا عشر فريقا، عاشوا مختلفين متقاتلين مع بعضهم تارة ومع العرب الكنعانيين تارة أخرى، ويقسم المؤرخون تاريخ اليهود في فلسطين إلى ثلاثة عهود:عهد القضاة وعهد الملوك وعهد الانقسام والتشتت وزوال ملكهم بفلسطين)[1]، فكانت مدة بقاء بنى إسرائيل في فلسطين لا تزيد عن **"ثلاثة قرون ونصف"** قرن وبعض المؤرخون يرى أنها تبلغ **"خمسة قرون"**، فهل المدة التي مكثوها في فلسطين كافية في إثبات حقهم مقابل وجود العرب في فلسطين من قبلهم ومن بعهدهم لمئات القرون؟[2].

1- **ففي عهد القضاة:** لم يكن لإسرائيل في هذه الفترة دولة واحدة بل كانت لها دويلات صغيرة مكونة من تحالفات بين بعض الأسباط يرأسها قاضى أو كاهن، وهو في نفس الوقت القائد العسكري والحاكم العام[3]، ولم يكن عمل القضاة في ذلك العهد الذي عرف بعهد القضاة في تاريخ بني إسرائيل إلا إحياء جذوة العنصرية الإسرائيلية والإبقاء على وحدة الشعب الإسرائيلي وتقاليده، بتذكيرهم بالشريعة والوصايا وعهد الرب ونذره ووعيده إن ضلوا، وأحيانا كانوا يقودونهم في غزواتهم أو يدفعون بهم أعداء هم[4].

وفي هذه الفترة ارتد بنو إسرائيل عن عبادة الله سبع مرات على الأقل، وعبدوا فيها الأوثان كما استُعْبِدُوا من طرف شعوب المنطقة، فقد غزاهم ملك أرام واستعبدهم ثماني سنوات، واستعبدهم ملك عجلون 18 سنة، واستعبدهم ملك حاصور مدة 18، سنة ثم أهل مدين والشرق 7 سنوات، واستعبدهم العمونيون

1- سعد الدين السيد صالح: العقيدة اليهودية وخطرها على الإنسانية، ط2، دار الصفاء، القاهرة، مصر، 1410 هـ، 1990 م، ص61.

2- محمود بن عبد الرحمان قدح: موجز تاريخ اليهود والرد على مزاعمهم الباطلة، مجلة الجامعة الإسلامية، المدينة المنورة، العدد 107، ص287.

3 - محمد علي البار: المدخل لدراسة التوراة ، ص 73.

4- حسين فوزي النجار: أرض الميعاد، ص144.

18سنة، ثم استعبدهم الفلسطينيون 40 سنة، فلم تزد فترة حكم القضاة عن 140 سنة بل ربما أقل من ذلك، وامتازت هذه الفترة بالاضطراب وعدم الاستقرار[1].

جاء في سفر القضاة:« فسكن بنو إسرائيل في وسط الكنعانيين والحثيين والأموريين والفرزيين والحويين واليبوسيين، واتخذوا بناتهم لأنفسهم نساء، وأعطوا بناتهم لبنيهم وعبدوا آلهتهم فعمل بنو إسرائيل الشر في عيني الرب، ونسوا الرب إلههم وعبدوا البعليم والسواري فحمي غضب الرب على إسرائيل فباعهم بيد كوشان رشتعايم ملك أرام النهرين»[2]، وهذا النص وغيره من النصوص دليل قاطع على بقاء سكان فلسطين على أراضيهم، واستمرار الثقافة الكنعانية في البلاد[3]، فبنو إسرائيل هم الذين سكنوا وسط الفلسطينيين وتأثروا بهم وعبدوا آلهتهم وليس العكس وهذا يقتضي أنهم كانوا تابعين لا متبوعين ومغلوبين لا غالبين لأن المغلوب مولع باتّباع المغلوب كما يقولون.

2- **بعد عهد القضاة يأتي عهد الملوك (1030 – 930 ق.م):** فقد انهار عهد القضاة أمام مطالب الحياة الملحة، وشيوع فسق القضاة وأخذهم الّرشى[4]، (وسادت الفوضى والتفكك والانحلال وتسلط الأعداء عليهم كل هذه الأمور جعلهم يفكرون في لم الشمل والخضوع تحت ملك واحد يخضعون لأمره ويقودهم لمحاربة أعدائهم الذين سلبوهم أموالهم وأخرجوهم من ديارهم)[5].

جاء في سفر صموئيل الأول:« وكان لما شاخ صموئيل أنه جعل بنيه قضاة لإسرائيل...ولم يسلك ابناه في طريقه، بل مالا وراء المكسب وأخذا رشوة وعوجا القضاة، فاجتمع كل شيوخ إسرائيل وجاؤوا إلى صموئيل إلى الرامة، وقالوا له هو ذا أنت قد شخت وابناك لم يسيرا في طريقك، فالآن اجعل لنا ملكا يقضي لنا كسائر الشعوب»[6].

وقد أشار القرآن الكريم إلى هذه القصة قال الله تعالى:﴿أَلَمۡ تَرَ إِلَى ٱلۡمَلَإِ مِنۢ بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ مِنۢ بَعۡدِ مُوسَىٰٓ إِذۡ قَالُواْ لِنَبِيّٖ لَّهُمُ ٱبۡعَثۡ لَنَا مَلِكٗا نُّقَٰتِلۡ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِۖ قَالَ هَلۡ عَسَيۡتُمۡ إِن كُتِبَ عَلَيۡكُمُ ٱلۡقِتَالُ أَلَّا تُقَٰتِلُواْۖ قَالُواْ وَمَا لَنَآ أَلَّا نُقَٰتِلَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَقَدۡ أُخۡرِجۡنَا مِن دِيَٰرِنَا وَأَبۡنَآئِنَاۖ فَلَمَّا كُتِبَ عَلَيۡهِمُ ٱلۡقِتَالُ

1- محمد علي البار: المدخل لدراسة التوراة، ص72 – 73.

2- سفر القضاة: 3/ 5- 8.

3- رجا عبد الحميد عرابي: سفر التاريخ اليهودي، ص188.

4- أحمد بن عبد الله بن إبراهيم الزغبي: العنصرية اليهودية و آثارها في المجتمع الإسلامي والموقف منها، ط1، مكتبة العبيكان، الرياض، السعودية، 1418 هـ، 1998 م، ج1، ص 195.

5- فرج الله عبد الباري: اليهودية بين الوحي الإلهي والانحراف البشري، ص68.

6- سفر صموئيل الأول:8 / 1 -5.

تَوَلَّوْاْ إِلَّا قَلِيلاً مِّنْهُمْ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمُۢ بِٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٢٤٦﴾ وَقَالَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ إِنَّ ٱللَّهَ قَدْ بَعَثَ لَكُمْ طَالُوتَ مَلِكًا ۚ قَالُوٓاْ أَنَّىٰ يَكُونُ لَهُ ٱلْمُلْكُ عَلَيْنَا وَنَحْنُ أَحَقُّ بِٱلْمُلْكِ مِنْهُ وَلَمْ يُؤْتَ سَعَةً مِّنَ ٱلْمَالِ ۚ قَالَ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰهُ عَلَيْكُمْ وَزَادَهُۥ بَسْطَةً فِى ٱلْعِلْمِ وَٱلْجِسْمِ ۖ وَٱللَّهُ يُؤْتِى مُلْكَهُۥ مَن يَشَآءُ ۚ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ﴿٢٤٧﴾ وَقَالَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ إِنَّ ءَايَةَ مُلْكِهِۦٓ أَن يَأْتِيَكُمُ ٱلتَّابُوتُ فِيهِ سَكِينَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَبَقِيَّةٌ مِّمَّا تَرَكَ ءَالُ مُوسَىٰ وَءَالُ هَٰرُونَ تَحْمِلُهُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً لَّكُمْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿٢٤٨﴾ ﴾[1].

وخلال حكم الملك طالوت قاد بني إسرائيل إلى الكثير من المعارك ضد أعدائهم، وكان من أبرز الحوادث في زمن طالوت حربة ضد الوثنيين من أهل فلسطين بقيادة جالوت، الذي يسميه العهد القديم بجليات، وفي هذه المعركة كان داود عليه السلام من ضمن جند طالوت، فتولى بنفسه عليه السلام قتل جالوت، فلمع نجمه في بني إسرائيل وآتاه الله الملك الحكمة، كما أشار إلى ذلك القرآن الكريم[2].

قال تعالى: ﴿ فَلَمَّا فَصَلَ طَالُوتُ بِٱلْجُنُودِ قَالَ إِنَّ ٱللَّهَ مُبْتَلِيكُم بِنَهَرٍ فَمَن شَرِبَ مِنْهُ فَلَيْسَ مِنِّى وَمَن لَّمْ يَطْعَمْهُ فَإِنَّهُۥ مِنِّىٓ إِلَّا مَنِ ٱغْتَرَفَ غُرْفَةًۢ بِيَدِهِۦ ۚ فَشَرِبُواْ مِنْهُ إِلَّا قَلِيلاً مِّنْهُمْ ۚ فَلَمَّا جَاوَزَهُۥ هُوَ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَعَهُۥ قَالُواْ لَا طَاقَةَ لَنَا ٱلْيَوْمَ بِجَالُوتَ وَجُنُودِهِۦ ۚ قَالَ ٱلَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُم مُّلَٰقُواْ ٱللَّهِ كَم مِّن فِئَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِئَةً كَثِيرَةًۢ بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿٢٤٩﴾ وَلَمَّا بَرَزُواْ لِجَالُوتَ وَجُنُودِهِۦ قَالُواْ رَبَّنَآ أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْرًا وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا وَٱنصُرْنَا عَلَى ٱلْقَوْمِ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٢٥٠﴾ فَهَزَمُوهُم بِإِذْنِ ٱللَّهِ وَقَتَلَ دَاوُۥدُ جَالُوتَ وَءَاتَىٰهُ ٱللَّهُ ٱلْمُلْكَ وَٱلْحِكْمَةَ وَعَلَّمَهُۥ مِمَّا يَشَآءُ ۗ وَلَوْلَا دَفْعُ ٱللَّهِ ٱلنَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَّفَسَدَتِ ٱلْأَرْضُ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ ذُو فَضْلٍ عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٢٥١﴾ ﴾[3].

وبعد موت طالوت توِّج داود عليه السلام ملكا على بني إسرائيل وهو من سبط يهوذا، وكان ذلك حوالي عام 1010 ق.م، وبذلك قامت في فلسطين مملكة إسلامية على رأسها نبي الله داود عليه السلام[4]، وقد

1- سورة البقرة: 246 – 248.

2- محمد بن علي آل عمر: عقيدة اليهود، ص 39.

3- سورة البقرة: 249 – 251.

4- محمد الزغبي: العنصرية اليهودية، ج1، ص197.

مكن الله لداود وأعطاه النبوة والملك والحكمة، كما مكن لابنه سليمان من بعده، فأعطاه ملكا لم ولن ينبغي لأحد من بعده[1].

قال تعالى:﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا دَاوُۥدَ وَسُلَيْمَـٰنَ عِلْمًا ۖ وَقَالَا ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى فَضَّلَنَا عَلَىٰ كَثِيرٍ مِّنْ عِبَادِهِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١٥﴾ وَوَرِثَ سُلَيْمَـٰنُ دَاوُۥدَ ۖ وَقَالَ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ عُلِّمْنَا مَنطِقَ ٱلطَّيْرِ وَأُوتِينَا مِن كُلِّ شَىْءٍ ۖ إِنَّ هَـٰذَا لَهُوَ ٱلْفَضْلُ ٱلْمُبِينُ ﴿١٦﴾﴾[2].

(ولعلنا نحتاج هنا إلى وقفة لنبين أن أول مملكة لليهود أنشأت في فلسطين كانت في عام 995 ق.م، ولكننا نعلم سابقا أن الكنعانيين واليبوسيين كانوا أول من استوطن في فلسطين وحكموها فترة طويلة جدا من الزمن تعود إلى سنة 2600 ق.م، وهذا التاريخ بعيد ضارب في القدم، أي أنهم كانوا سكانا لفلسطين قبل أن يأتي اليهود إليها بـ: 1600عام، وهذا ينفي أي حقّ لليهود بأرض فلسطين أو أي ادّعاء لأقدميّتهم بها، ومع العلم بأن فترة حكم داود وابنه سليمان من بعده عليهما السلام لم تدم في فلسطين أكثر من تسعين سنة، تفرق اليهود بعدها وتقطعوا في أرجاء الأرض)[3].

وفي عصر سليمان تمتع بنو إسرائيل بشيء من الاستقرار (حيث ظهر النشاط التجاري بكل واسع وعلى نطاق ملحوظ في الداخل و الخارج، وذلك على شكل أسواق ومعاهدات تجارية مع البلدان المحيطة به، بل إن ذلك تعدى هذه البلدان إلى أقطار نائية أخرى، كما حصل مع ملكة سبأ)[4].

ومهما يكن فإن الكيان اليهودي على أيام داود وسليمان عليهما السلام لم يدم أكثر من ثلاثة أرباع القرن- حوالي 1000 – 922 ق،م-، كان اليهود في تلك الفترة يمثلون موجة من موجات الغزو الذي كتب على أرض كنعان أن ترى الكثير منها، ثم ولت كغيرها وكم تترك وراءها إلا أساطير بثتها اليهود في كتابهم المقدس التوراة، بينما استمرت سيادة العرب الكنعانيين من قبل، ومن بعد على ما يربو على آلاف ستة من الأعوام[5].

1-جمال عبد الهادي محمد مسعود: وفاء محمد رفعت جمعة، ذرية إبراهيم عليهم السلام والمسجد الأقصى، ط1، دار الوفاء، المنصورة، مصر، 1986 م، ص196.

2- سورة النمل: 15 - 16.

3- طارق السويدان: فلسطين التاريخ المصور، ط1، مطابع الخط، الكويت، 1425هـ، 2004 م،ص42.

4- أحمد عيسى الأحمد: داود وسليمان في العهد القديم والقرآن الكريم دراسة لغوية تاريخية مقارنة، ط1، دار الطبع[ ]، 1410 هـ، 1990 م، ص120.

5- محمد بيومي مهران: بنو إسرائيل، ج5، ص120.

وخلال حكم داود و سليمان عليهما السلام تمت السيطرة على معظم أنحاء فلسطين باستثناء المناطق الساحلية التي لم تلامسها المملكة إلا من مكان قريب من يافا، وبعده وفاة سليمان انقسم اليهود إلى مملكتين[1] مملكة إسرائيل ومملكة يهوذا وبهذا الانقسام (بدأ عصر جديد في تاريخ اليهود،لم يعرف الإسرائيليون فيه الأمن والسكينة اللتين طالما تمتعوا بهما على أيام سليمان عليه السلام)[2].

3- وفي **عهد الانقسام** جرت حروب بين هاتين المملكتين، وبل وراحت كل واحدة منهما تستعدي القوى المجاورة في المنطقة على منافستها الأخرى ولكن الأمر لم يقف عند هذه الحدود من تصدع وحدة بني إسرائيل وانحلال سيادتهم على فلسطين، بل تعداه إلى زوالهم كشعب وتشريدهم من البلاد تشريدا جماعيا[3].

وكما نرى فإن سيادة اليهود على قطعة محدودة من أرض فلسطين انتهت قبل ميلاد المسيح عليه السلام بحوالي ستة قرون، وبعد خمسة وعشرين قرنا وبعض قرن يحاولون أن يعيدوا هذا التاريخ السخيف مرة أخرى، و ياله من تاريخ ويالها من عودة[4].

المطلب الرابع: فلسطين ملك للعرب والمسلمين وليس لليهود أي حق ديني أو تاريخي

سكن الإنسان أرض فلسطين منذ العصور الموغلة في القدم أي قبل حوالي مليون عام، وبنى أبناء فلسطين أقدم مدينة في العالم "أريحا" قبل نحو عشرة آلاف سنة أي سنة 8000 ق. م، وهاجر الكنعانيون من جزيرة العرب إلى فلسطين حوالي 2500 ق.م، وكانت هجرتهم واسعة بحيث أصبحوا السكان الأساسيين والأصليين للبلاد، وعرفت البلاد باسمهم، و أنشأوا معظم مدن فلسطين وقراها، والتي بلغت في الألف الثاني قبل الميلاد حوالي مائتي مدينة وقرية، ومنها مدن شكيم (نابلس وبلاطة) ، وبيسان وعسقلان وعكا وحيفا والخليل و أسدود و عاقر وبئر سبع وبيت لحم وغيرها.

ويرى ثقات المؤرخين أن عامة أهل فلسطين الحاليين وخاصة القرويين هم من أنسال الكنعانيين والشعوب القديمة مثل شعوب البحر"الفلسطينيون"، أومن العرب والمسلمين الذين استقروا في البلاد إثر الفتح الإسلام

1- محسن محمد الصالح: فلسطين دراسات منهجية في القضية الفلسطينية، ط1، مركز الإعلام العربي، الجيزة، مصر، 1424 هـ، 2003 م، ص64.

2- محمد بيومي مهران: بنو إسرائيل، ج5، ص100.

3- محمد الزغبي: العنصرية اليهودية، ج1، ص205.

4- سيد حسين العفاني: تذكير النفس بحديث القدس "واقدساه "، ط1، العصر للطباعة، توزيع مكتبة معاذ بن جبل، بنى سويف، مصر، 1421 هـ، 2001 م، ج3، ص149.

لها، وامتزجوا بأهلها الأصليين أي أن جذور الفلسطينيين تعود إلى 4500 سنة على الأقل، وهم لم يغادروها أو يهاجروها طوال هذه الفترة[1].

فالتاريخ يؤكد أن الفلسطينيين والعرب هم الملاك الأصليين للأرض المباركة وليس لليهود أي حق تاريخي والآثار والتنقيبات كلها تفيد ذلك[2]، وإذا استقرأنا أحداث التاريخ ونصوص التوراة والقرآن الكريم نجد أن أصحاب الملكية هم العرب والمسلمون لا غير وذلك منذ عهد إبراهيم عليه السلام إلى اليوم، ونكتشف أن اليهود دخلاء ومفترين فيما يدعونه من حقوق.

فالقرآن الكريم ينكر على بنى إسرائيل جعلهم إبراهيم عليه السلام يهوديا، فيقول تعالى:

﴿ يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ لِمَ تُحَآجُّونَ فِيٓ إِبۡرَٰهِيمَ وَمَآ أُنزِلَتِ ٱلتَّوۡرَىٰةُ وَٱلۡإِنجِيلُ إِلَّا مِنۢ بَعۡدِهِۦٓۚ أَفَلَا تَعۡقِلُونَ ﴿٦٥﴾ هَٰٓأَنتُمۡ هَٰٓؤُلَآءِ حَٰجَجۡتُمۡ فِيمَا لَكُم بِهِۦ عِلۡمٞ فَلِمَ تُحَآجُّونَ فِيمَا لَيۡسَ لَكُم بِهِۦ عِلۡمٞۚ وَٱللَّهُ يَعۡلَمُ وَأَنتُمۡ لَا تَعۡلَمُونَ ﴿٦٦﴾ مَا كَانَ إِبۡرَٰهِيمُ يَهُودِيّٗا وَلَا نَصۡرَانِيّٗا وَلَٰكِن كَانَ حَنِيفٗا مُّسۡلِمٗا وَمَا كَانَ مِنَ ٱلۡمُشۡرِكِينَ ﴿٦٧﴾ إِنَّ أَوۡلَى ٱلنَّاسِ بِإِبۡرَٰهِيمَ لَلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُ وَهَٰذَا ٱلنَّبِيُّ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْۗ وَٱللَّهُ وَلِيُّ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ﴾[3].

فإبراهيم عليه السلام كان مسلما ولم يكن يهوديا ولا نصرانيا لأن اليهود والنصارى لم يكونوا موجودين على عهده بل جاؤوا بقرون من بعد موته عليه السلام، فإبراهيم برئ من اليهود، ولا يمتّون له بأية صلة ، لا من ناحية العقيدة ولا من ناحية النسب ، فمن ناحية العقيدة فمحمد صلى الله عليه وسلم وأمته المسلمة هم الامتداد الحقيقي لخليل الرحمن عليه السلام، كما أن العرب هم أحفاد إبراهيم من ناحية النسب والجنس، أما اليهود فهم خليط من الشعوب والأجناس التي لا تجمعها إلا صلة العقيدة المحرفة.

1- محسن محمد الصالح: فلسطين، ص(61 – 62).

2- يقول المسيري في حوارات الصهيونية واليهودية،ج4، ص60:(وقد كتب أحد الأثريين الإسرائيليين ويسمى "زئيف هرتزوج" دراسة أثارت ضجة تبين أن معظم الأساطير التوراتية التي تستند إليها الصهيونية لا أساس لها من الصحة، وأنه لا توجد أي اكتشافات أثرية تؤيد الادّعاء الصهيوني، بل على العكس هناك العديد من الدراسات التي تبين أن الوجود العربي في فلسطين مسألة ممتدة عبر التاريخ لم تنقطع، ابتداء بالوجود الكنعاني ثم الآرامي بعد ذلك، مما يدل على أن هذه المنطقة أي فلسطين جزء من التشكيل السامي الحضاري الذي يتزعمه العرب والذين صبغوا فلسطين بصبغتهم بعد أن أصبحت جزءا عضويا من التشكيل الحضاري العربي الإسلامي، وثمة كثير من الدراسات، وخاصة دراسات مخطوطات البحر الميت التي يجب أن نعتني بها لأنها تقوض كثيرا من الادّعاءات الصهيونية).

3- سورة آل عمران: 65 – 68.

(إضافة إلى هذا فإن "اليبوسيين" هم أّول من بنى القدس وذلك من نحو ثلاثين قرنا قبل الميلاد، وكانت تسمى " أورشليم" أو مدينة "شالم " فالعرب الكنعانيون هم أول من سكن فلسطين عامة إلى أن جاءهم إبراهيم عليه السلام مهاجرا من موطنه الأصلي بالعراق غريبا، وقد دخل فلسطين هو وزوجه سارة وعمره كما تقول أسفار العهد القديم 75 سنة، ولما بلغ مائة سنة ولد له إسحق، ومات وعمره (175)سنة، ولم يمتلك شبرا من فلسطين، حتى إن زوجه سارة لما ماتت طلب من الفلسطينيين لها قبرا تدفن فيه، وبالجملة فإن المدة التي عاشها إبراهيم وإسحاق ويعقوب في فلسطين هي 230 سنة، وقد كانوا فيها غرباء لا يملكون منها ذراعا ولا شبرا، بل كانوا غرباء وضيوفا في هذه الأرض)[1].

وترك بنو إسرائيل فلسطين وذهبوا إلى مصر ومكثوا فيها أربعمائة سنة حيث رأوا من الإكرام ما رأوا، ثم عانوا من الظلم ما عانوا إلى أن عادوا مع موسى وهارون عليهما السلام، وبسبب تعنتهم وقساوة قلوبهم حرموا من دخول الأرض المقدسة مدة أربعين سنة، ثم دخلها الجيل الذي بعدهم بقيادة يشوع فتى موسى عليهما السلام[2].

وباعتراف أسفار التوراة (فإن فلسطين لم تخلص لبني إسرائيل في أي ظرف، حيث ظل سكانها القدماء من كنعانيين وأموريين وفلسطينيين وغيرهم فيها، وحيث كانوا في أحيان كثيرة يشتبكون معهم في نضال وينتصرون عليهم، وحيث ظلوا بعد إجلاء بنى إسرائيل المرة بعد المرة فيها كأصحاب البلاد الأصليين)[3]، جاء في سفر التكوين:« أبرام سكن في أرض كنعان، ولوط سكن في مد الدائرة، ونقل خيامه إلى سدوم »[4].

فالتوراة تعترف أن إبراهيم سكن في أرض كنعان أي أنهم هم الملاك الحقيقيين لهذه الأرض وإبراهيم اشترى منهم مغارة المكفيلية لِ يُدفن فيها هو وزوجه سارة، يقول كاتب سفر التكوين: « ودفنه إسحق وإسماعيل ابناه في مغارة المكفيلية، في حقل عفرون بن صوحر الحثي الذي أمام ممرا الحقل الذي اشتراه إبراهيم من بنى حثّ، هناك دفن إبراهيم وسارة امرأته»[5].

في الإصحاح السادس والعشرين أن الرب يوصي إسحق بأن يتغرب في أرض الفلسطينيين الذين كان يحكمهم أبو مالك فسكن إسحق هناك فنمت ثروته وتعاظمت فحسده السكان الأصليون فقالوا له:

1- سيد حسين العفاني: تذكير النفس بحديث القدس ، ج3، ص145.
2- عبد الوهاب عبد السلام طويلة: مغالطات اليهود، ص216 .
3- محمد عزة دروزة : تاريخ بني إسرائيل من أسفارهم ، ج1، ص6 -7 .
4- سفر التكوين:13 / 12.
5- سفر التكوين: 25/ 9 -10.

«اذهب من عندنا لأنك صرت أقوى منا جدا، فمضى إسحق من هناك ونزل في وادي جرار، و أقام هناك»[1].

وبعد خروج بني إسرائيل من التيه ودخولهم الأرض المقدسة لم يرحل سكان فلسطين بل سكن بنو إسرائيل معهم وتزوجوا منهم وزوجوا لهم وعبدوا آلهتهم، جاء في سفر القضاة:

« فسكن بنو إسرائيل في وسط الكنعانيين والحثيين والأموريين والفرزيين والحويين واليبوسيين و اتخذوا بنات لأنفسهم وأعطوا بناتهم لبنيهم وعبدوا آلهتهم »[2].

أي أن بنى إسرائيل امتزجوا بالفلسطينيين واختلطت دماؤهم وتوالدوا معهم ، وهذا في فترة حكمهم ثم شردوا بعد ذلك وتفرقوا في أنحاء العالم ، ومن بقى منهم دخلوا في الديانة المسيحية والإسلام فيما بعد.

والقرآن الكريم ذكر لنا أن موسى عليه السلام لما أمر بني إسرائيل بدخول الأرض المقدسة أن هذه الأرض لم تكن خالية من السكان بل فيها الجبارين، فلا يمكن أن يعطى الله أرض قوم لقوم آخرين، بل أمرهم سبحانه وتعالى بفتحها ونشر دعوة التوحيد وتطهير هذه الأرض من الشرك لأن معيار التفاضل في الإسلام هو التقوى:﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقۡنَٰكُم مِّن ذَكَرٖ وَأُنثَىٰ وَجَعَلۡنَٰكُمۡ شُعُوبٗا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓاْۚ إِنَّ أَكۡرَمَكُمۡ عِندَ ٱللَّهِ أَتۡقَىٰكُمۡۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٞ ١٣﴾[3].

وبنو إسرائيل لما عصوا أوامر الله سماهم القرآن فاسقين وضرب عليهم التيه في سيناء أربعين سنة حتى هلكوا ونشأ جيل مسلم دخل الأرض المقدسة بقيادة نبي الله يوشع بن نون عليه السلام، حيث نشروا الإسلام، فمكثوا في هذه الأرض ما شاء الله لهم أن يمكثوا ثم زال ملكهم لما حادوا عن منهج الله .

والقرآن الكريم يعتبر أن الأنبياء كلهم دينهم واحد هو الإسلام وأنبياء بني إسرائيل كانوا مسلمين من يعقوب إلى عيسى عليهم السلام، وهم حاملو لواء التوحيد، واليهود اليوم لا علاقة لهم بهؤلاء الأنبياء.

قال تعالى:﴿أَمۡ تَقُولُونَ إِنَّ إِبۡرَٰهِـۧمَ وَإِسۡمَٰعِيلَ وَإِسۡحَٰقَ وَيَعۡقُوبَ وَٱلۡأَسۡبَاطَ كَانُواْ هُودًا أَوۡ نَصَٰرَىٰۗ قُلۡ ءَأَنتُمۡ أَعۡلَمُ أَمِ ٱللَّهُۗ وَمَنۡ أَظۡلَمُ مِمَّن كَتَمَ شَهَٰدَةً عِندَهُۥ مِنَ ٱللَّهِۗ وَمَا ٱللَّهُ بِغَٰفِلٍ عَمَّا تَعۡمَلُونَ ﴾[4].

1- سفر التكوين :16/26 – 17.
2- سفر القضاة: 3/ 5 -6.
3- سورة الحجرات: 13.
4- سورة البقرة: 140.

وورثت الأمة المسلمة عهد إبراهيم عليه السلام بمبعث خاتم النبيين محمد صلى الله عليه وسلم، ومن ضمن ما ورثت الأرض المقدسة والشام قال تعالى:

﴿ سُبْحَٰنَ ٱلَّذِىٓ أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِۦ لَيْلًا مِّنَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ إِلَى ٱلْمَسْجِدِ ٱلْأَقْصَا ٱلَّذِى بَٰرَكْنَا حَوْلَهُۥ لِنُرِيَهُۥ مِنْ ءَايَٰتِنَآ ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴾[1].

(فالرحلة من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى رحلة مختارة من اللطيف الخبير، تربط بين عقائد التوحيد الكبرى من لدن إبراهيم وإسماعيل عليهما السلام إلى محمد خاتم النبيين صلى الله عليه وسلم، وتربط بين الأماكن المقدسة لديانات التوحيد جميعا، وكأنه أريد بهذه الرحلة العجيبة إعلان وراثة الرسول الأخير لمقدسات الرسل قبله، واشتمال رسالته على هذه المقدسات وارتباط رسالته بها جميعا، فهي رحلة ترمز إلى أبعد من حدود الزمان والمكان، وتشمل آمادا وآفاقا أوسع من الزمان والمكان، وتتضمن معاني أكبر من المعاني القريبة التي تنكشف عنها للنظرة الأولى)[2].

فالإسراء يعتبر إيذانا عن انتقال القيادة الروحية في العالم من أمة إلى أمة ومن بلد إلى بلد ومن ذرية إسرائيل إلى ذرية إسماعيل، فحملت الأمة الجديدة رسالتها وورث النبي العربي تعاليم إبراهيم وإسماعيل و يعقوب وقام يكافح لنشرها وجَمَع الناس عليها، فكان مِن وَصلِ الحاضر بالماضي وإدماج الكل في حقيقة واحدة أن يعتبر المسجد الأقصى ثالث الحرمين في الإسلام وأن ينتقل إليه الرسول في إسرائه، فيكون هذا الانتقال احتراما للإيمان الذي درج قديما في رحابه[3].

يبرز لنا في الأخير أنه من خلال تقصي آيات القرآن الكريم ونصوص التوراة أنه ليس لليهود أي حق تاريخي في الأرض المباركة، والتاريخ شاهد على ذلك فهي ملك للعرب من قبل أن يهاجر إليها إبراهيم عليه السلام، وكان بنو إسرائيل يعيشون فيها كغرباء ومهاجرين لا غير.

وقد حكمها بعد ذلك المسلمون طيلة أربعة عشر قرنا، حتى غزاها اليهود المعاصرون وهم ليسوا من أحفاد إبراهيم بل من جنسيات غير سامية متهودة، فأين الحق الذي يدعونه؟.

1- سورة الإسراء: 1.

2- سيد قطب: في ظلال القرآن، مج4، ج15، ص2212.

3- محمد الغزالي: فقه السيرة ،ص140.

المبحث الثاني: أوجه الاختلاف

من المؤكد أن الاختلاف بين القرآن والتوراة أكثر من الاتفاق، وكذلك فالوعد التوراتي مختلف عن الوعد القرآني، فالأول وعد باطل استهدف من خلاله كاتبوه تحقيق مآرب دنيوية ومصالح سياسية، أما الوعد الثاني أي القرآني فهو وعد حق وصدق معصوم مقدس لا يمكن أن يخلف لأن مصدره هو الوحي الصحيح الذي يتنزه عن الخطأ، ولذلك فوعد التوراة لم يتحقق ولن يتحقق أما وعد القرآن فهو مستمر ومتحقق كلما توفرت الشروط.

المطلب الأول : كذب وتناقض نصوص الوعد التوراتية

إن التوراة الموجودة بين أيدينا اليوم لا يمكن أن تكون هي التوراة التي أنزلها الله على سيدنا موسى، فهي مليئة بالتناقضات والاختلاف بين نصوصها، وهذا يتنافى وقداسة النص المعصوم الذي يجب أن يكون محكما لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه.

ونجد أن نصوص التوراة حاملة أسطورة الوعد بالأرض، تتضمن كثيرا من التناقضات في داخلها، مما يدل على أن هذا الوعد هو إفراز لمرحلة السبي البابلي، يتبع في تكوينه ظروفا دفعت إلى زج فكرة الوعد في التوراة التي لم تزل إلى ذلك الحين في طور التكوين[1].

1-حدود أرض الميعاد:

فمما يدل على التناقض بين النصوص هو أن هناك نصوص حددت الأرض الموعودة بفلسطين وأخرى ضاعفت هذه الأرض أضعافا مضاعفة، فوصلت بها إلى كل أرض لمستها أقدام اليهود وخصوصا شبه جزيرة سيناء بحجة أن تعاليم التوراة قد نزلت فيها على موسى والوجه البحري من مصر حتى نهر النيل بزعم أن بنى إسرائيل قد عاشوا في دلتا النيل بمصر فترة طويلة وأن موسى نشأ في مصر، ويبالغ بعضهم فيضيف إلى الأرض الموعودة أجزاء من سوريا والعراق بحجة أن هذه كانت تقع تحت حدود مملكة داود وسليمان وأن إبراهيم كان يقيم بأرض العراق[2].

فمثلا نأخذ هذين النصين للاستدلال على التناقض الحاصل في نصوص التوراة قال الرب لإبراهيم:

1- جواد بحر: انتماء فلسطين، ص372.

2- سعد الدين السيد الصالح: العقيدة اليهودية وخطرها على الإنسانية، ط2، دار الصفا، القاهرة، مصر، 1410 هـ، 1990 م، ص304.

« وأعطي لك ولنسلك من بعدك أرض غربتك كّل أرض كنعان ملكا أبديا »[1]، وهذا النص يتعارض مع نص سابق له والذي حدد الأرض المعطاة لأبرام بحدود الرؤية فقط، يقول صاحب سفر التكوين: « ارفع عينيك وانظر من الموضع الذي أنت فيه شمالا وجنوبا وشرقا وغربا، لأن جميع الأرض التي أنت ترى أعطيها لك ولنسلك إلى الأبد...قم وامش في الأرض طولها وعرضها لأني لك أعطيها »[2].

ويبدوا التعارض في هذين النصين واضحا تماما، فنص يعطي إبراهيم كل أرض كنعان ملكا أبديا، ونص يعطى إبراهيم أرض محصورة بحدود الرؤية، ونص يعطيه من الفرات إلى النيل، وفي الأخير وبعد هذه الوعود يموت إبراهيم ولم يملك من هذه الأرض سوى موضع القبر الذي دفن فيه هو وسارة:

« ودفنه إسحق وإسماعيل ابناه، في مغارة المكفيلية، في حقل عفرون بن صوحر الحثي، الذي أمام ممرا الحقل الذي اشتراه إبراهيم من بني حث[3]، هناك دفن إبراهيم وسارة امرأته »[4].

وهنا نلاحظ التناقض فكيف اشترى إبراهيم هذه القطعة الأرضية من بنى حث وهو مالك هذه الأرض حسب الحقيقة الدينية التوراتية المتمثلة في الوعد الديني الوارد في التوراة، أليست هي حسب نص سفر التكوين ملكا له ولذريته؟[5].

2-عموم وخصوص الوعد:

ثم إن الوعد كان لنسل إبراهيم وكان إسماعيل هو الموجود عند إعطاء الوعد والعهد وإسحق لم يولد بعد، فكيف ينحرف الوعد ويصبح لإسحق، ثم كيف يقول الرب لإبراهيم:« خذ ابنك وحيدك الذي تحبه إسحق »[6]وإسحق لم يكن وحيدا بل معه إسماعيل، (ولا يمكن القول بأن المقصود من لفظ "وحيدك" أي وحيدك بالمحبة، لأن إسماعيل كان موضع حب أبيه أيضا كما يظهر من مطالعة التوراة في أماكن كثيرة، بالرغم من كره زوجته سارة لإسماعيل)[7].

1- سفر التكوين: 17 / 8.

2- سفر التكوين: 13 / 14 – 17.

3- إن هذا يثير الدهشة فكيف يكون إبراهيم وهو الرجل الثري الكبير لا يملك من الأرض ما يستطيع أن يدفن زوجته، ويذكر سفر التكوين في السفر23 أن إبراهيم اشترى الحقل بأربعمائة شاقل فضة جائزة(رائجة)عند التجار أي أنها عملة سكّت خاصة للتعامل التجاري وهذا غريب لأنه من الثابت تاريخيا أن أرض كنعان لم تعرف سك النقود في زمن إبراهيم، انظر (ليوتاكسل: التوراة كتاب مقدس أم جمع من الأساطير،ط[ ]، ترجمة حسان ميخائيل إسحاق، دار وبلد النشر[ ]، ص114).

4- سفر التكوين: 25 / 9 – 10.

5-جواد بحر: انتماء فلسطين، ص384.

6- سفر التكوين:22/ 2.

7- رجا عبد الحميد عرابي: سفر التاريخ اليهودي، ص456.

إن أصحاب الاستحقاق للوعود الأولى، كانوا كل أبناء إبراهيم عليه السلام، وهم ثمانية حسب الإصحاح الخامس والعشرين من سفر التكوين نفسه، وهم سيدنا إسماعيل وسيدنا إسحق وأبناء قطورة الستة، أما سيدنا إسحق فهو الابن الوحيد الذي يدعي اليهود أنه يهودي، فعلى هذا فإن نصيب اليهود حسب هذه الدعوى هو فقط ثمن التركة، لأن لإبراهيم ثمانية أولاد، ولد يهودي حسب دعوى اليهود، وسبعة عرب، فإن كانت الأرض لنسل إبراهيم فعلا فإن سبعة أثمانها للعرب، والثمن الثامن سيكون من نصيب بنى إسحق يشترط أن يكونوا فعلا من بني إسحق عليه السلام وإلا فاليهود المعاصرون ليسوا من بنى إسحاق بالجملة[1]، وبالتالي يصبح الثمن الثامن للعرب.

3-تكذيب الواقع للوعود التوراتية:

وإضافة إلى تناقض النصوص- وهي كثيرة ونحن أشرنا هنا إلى بعضها فقط وإلا فقد تطرقنا إليها في الفصول السابقة- فإن الواقع يكذب تحقيق هذه النبوءات والوعود، فاليهود لم يملكوا طوال تاريخهم أرض الميعاد التي قال عنها الرب لإبراهيم:

« لنسلك أعطى هذه الأرض من نهر مصر - النيل - إلى النهر الكبير نهر الفرات »[2].

يقول ابن حزم:(ما ملك بنو إسرائيل قط من نهر مصر ولا نحو عشرة أيام منه، شبرا مما فوقه، وذلك من موقع النيل إلى قرب بيت المقدس، وفي هذه المسافة الصحاري المشهورة الممتدة والحضار، ثم رفح وغزة وعسقلان وجبال الشراة التي لم تزل تحاربهم طول مدة دولتهم، وتذيقهم الأمرين إلى انقضاء دولتهم، ولا ملكوا قط من الفرات ولا عشرة أيام منه، بل بين آخر حوز بني إسرائيل إلى أقرب مكان من الفرات نحو تسعين فرسخا، فيها قنسرين وحمص التي لم يقربوا منها قط، ثم دمشق وصور وصيدا التي لم يزل أهلها يحاربونهم ويسومونهم الخسف طول مدة دولتهم، بإقرارهم ونصوص كتبهم، وحاش لله عز وجل أن يخلف وعده، في قدر دقيقة من سرابه، فكيف في تسعين فرسخا في الشمال، ونحوها في الجنوب؟.

ثم قوله : "النهر الكبير"وما في بلادهم التي ملكوا نهر يذكر إلا الأردن وحده وما هو كبير، إنما مسافة مجراه من بحيرة الأردن إلى مسقطه في البحيرة المنتنة نحو ستين ميلا فقط، فوضح الكذب الفاحش في الأخبار المذكورة، وصح أنه ليس من عند الله عز وجل، ولا من كلام نبي أصلا، بل من تبديل وغد جاهل كالحمار بلاده، أو متلاعب بالدين وفاسد المعتقد، ونعوذ بالله من الخذلان)[3].

1- جواد بحر: انتماء فلسطين ، ص381.
2- سفر التكوين:18/15.
3- ابن حزم الأندلسي: الفصل، ج1، ص274 - 275.

مع افتراض صحة الوعود التوراتية وهو أمر مستحيل فأين نسل يعقوب عليه السلام، فاليهود الموجودون اليوم لا يمتون بصلة إلى أحفاد يعقوب، وإنما هم من جنسيات مختلفة متهودة ولا علاقة لهم بالجنس السامي ولا بإبراهيم عليه السلام فضلا عن أبناء إبراهيم وإسحق ويعقوب، فالوعود أعطيت لنسل إبراهيم وهؤلاء ليسوا من نسله عليه السلام ولا علاقة لهم بفلسطين .

(لقد ذاب الأسباط الاثني عشر واختلطوا في الشعوب الأخرى بالتحول أو الزواج باعتناق عقائد هذه الشعوب كما حدث في فارس أو بابل أو الإمبراطورية البيزنطية، أو أثناء الحروب الصليبية في العصور الوسطى، بل إن المؤكد أن اليهود الحاليين ينتسبون إلى يافث ثالث أبناء نوح، وإنهم من أصل أوروبي شرقي من قبائل الخزر التركية المنغولية التي كانت تعيش في أواسط آسيا ثم رحلت إلى المنطقة الواقعة بين بحر الأورال وبحر قزوين (بحر الخزر) و إن هؤلاء هم أجداد يهود القرن العشرين، وإنه من الخطأ القول بوجود جنس يهودي و إلا كيف يجمع بين يهود الفلاشا ويهود التاميل في الهند ويهود الصين والتركستان وكردستان واليمن و بولندا أو غيرها من يهود العالم)[1]، مما يعني أن المحاولات الصهيونية لتأكيد حق اليهود في العودة على أساس عرقي أو تاريخي فاشلة[2].

ومن هنا يظهر لنا جليا مما لا يدع مجالا للشك أسطورية هذا الوعد التوراتي، فكيف يمكن أن يكون من عند الله وهو يحمل تناقضات كثيرة، إضافة إلى انقراض الشعب الإسرائيلي الذي لم يعد موجودا اليوم كما أكدت الدراسات ، فاليهود اليوم ليسوا من نسل إبراهيم عليه السلام ، فهم بهذا لا يستحقون الوعد على افتراض صحته .

1- عبد الفتاح مقلد الغنيمي: شعوب إسرائيل وخرافة الانتساب للسامية، ط1، دار العربي، القاهرة، مصر، 2002 م، ص7- 8.

2-المسيري: حوارات الصهيونية واليهودية، ج4، ص61.

المطلب الثاني: الوعد بالتمكين والاستخلاف في القرآن للصالحين (عموم الوعد للصالحين)

وعد الله سبحانه وتعالى عباده المؤمنين بالتمكين والاستخلاف في الأرض في الحياة الدنيا وأن يدخلهم جنة النعيم في الحياة الآخرة وذلك ما تمسكوا بعقيدة التوحيد، وأقاموا شريعة الله، وهذه هي الخيرية التي تحدث عنها القرآن الكريم وهي خيرية مشروطة وعامة لكل البشر، وليست محصورة كما هو الحال في العهد القديم الذي يعطي بنى إسرائيل الأفضلية دون سواهم.

قال تعالى: ﴿ كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ ۗ وَلَوْ آمَنَ أَهْلُ الْكِتَابِ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُم ۚ مِّنْهُمُ الْمُؤْمِنُونَ وَأَكْثَرُهُمُ الْفَاسِقُونَ ﴿١١٠﴾ ﴾[1].

فالخيرية هنا هي خيرية وظيفة ومهمة، تقوم عل الالتزام بالإسلام، والحركة به، والدعوة إليه، من خلال الإيمان بالله والأمر بالمعرف والنهي عن المنكر[2].

عندما تتحقق الخيرية ينفذ الله سبحانه وتعالى وعده لعباه المؤمنين بالتمكين والاستخلاف والنصر، كما أنفذه للأمم السابقة التي توفرت فيها الشروط قال تعالى :

﴿ وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَىٰ لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّن بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا ۚ يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئًا ۚ وَمَن كَفَرَ بَعْدَ ذَٰلِكَ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ ﴿٥٥﴾ ﴾[3].

يقول الرازي :(أي وعد الله الذين جمعوا بين الإيمان والعمل الصالح أن يستخلفهم في الأرض فيجعلهم الخلفاء والغالبين والمالكين، كما استخلف عليها من قبلهم في زمن داود وسليمان عليهما السلام وغيرهما، وأنه يمكن لهم دينهم وتمكينه ذلك هو أن يؤيدهم بالنصرة و الإعزاز ويبدلهم من بعد خوفهم من العدو أمنا بأن ينصرهم عليهم فيقتلوهم و يأمنوا بذلك شرهم، فيعبدوني آمنين لا يشركون بي شيئا ولا يخافون، فمن كفر وارتد بعد هذا الوعد فألئك هم الفاسقون)[4].

فالمسلمون هم الوارثون لهذا الوعد الإلهي وهم المستحقون له بشرط أن يلتزموا بعهد الله سبحانه وتعالى، وهم متى خرجوا عن عهد الله ونقضوه، انتقل الوعد منهم إلى غيرهم.

1- سورة آل عمران: 110.

2- صلاح عبد الفتاح الخالدي: وعود القرآن بالتمكين للإسلام، ص158.

3- سورة النور: 55.

4- الرازي: مفاتيح الغيب، ج24،ص25.

قال تعالى:﴿ وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي ٱلزَّبُورِ مِنۢ بَعْدِ ٱلذِّكْرِ أَنَّ ٱلْأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِيَ ٱلصَّٰلِحُونَ ﴿١٠٥﴾ إِنَّ فِي هَٰذَا لَبَلَٰغًا لِّقَوْمٍ عَٰبِدِينَ ﴿١٠٦﴾﴾[1].

والأرض الموعودة في الآية جاء في تفسيرها ثلاثة أقوال:

1/**القول الأول:** أنها أرض الجنة يورثها الله عباده العاملين بطاعته المنتهين إلى أمره ونهيه من عباده دون العاملين بمعصيته منهم المؤثرين طاعة الشيطان على طاعته[2].

2/**القول الثاني:** أنها أرض الدّنيا التي سيورثها الله المؤمنين في الدنيا وهو قول الكلبي وابن عباس، والدليل هو قوله سبحانه:﴿ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي ٱلْأَرْضِ كَمَا ٱسْتَخْلَفَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ﴾[3]،وقوله تعالى :﴿ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِ ٱسْتَعِينُواْ بِٱللَّهِ وَٱصْبِرُوٓاْۖ إِنَّ ٱلْأَرْضَ لِلَّهِ يُورِثُهَا مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦۖ وَٱلْعَٰقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ ﴿١٢٨﴾﴾[4].

3/**القول الثالث:** أنها الأرض المقدسة ودليله قوله تعالى:﴿وَأَوْرَثْنَا ٱلْقَوْمَ ٱلَّذِينَ كَانُواْ يُسْتَضْعَفُونَ مَشَٰرِقَ ٱلْأَرْضِ وَمَغَٰرِبَهَا ٱلَّتِي بَٰرَكْنَا فِيهَاۖ وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ ٱلْحُسْنَىٰ عَلَىٰ بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ بِمَا صَبَرُواْۖ وَدَمَّرْنَا مَا كَانَ يَصْنَعُ فِرْعَوْنُ وَقَوْمُهُۥ وَمَا كَانُواْ يَعْرِشُونَ ﴿١٣٧﴾﴾[5]، ورثها بنو إسرائيل، ويرثها الصالحون، ثم بالآخرة يورثها الله أمة محمد صلى الله عليه وسلم عند نزول عيسى بن مريم عليه السلام[6].

ولا تعارض بين هذه الأقوال، فالصالحون إذا ورثوا الأرض فإن الأرض المقدسة داخلة في عموم الأرض وهم كذلك المستحقون لأن يدخلهم الله جنة النعيم، قال تعالى:

﴿ جَنَّٰتِ عَدْنٍ ٱلَّتِي وَعَدَ ٱلرَّحْمَٰنُ عِبَادَهُۥ بِٱلْغَيْبِۚ إِنَّهُۥ كَانَ وَعْدُهُۥ مَأْتِيًّا ﴿٦١﴾ لَّا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا إِلَّا سَلَٰمًاۖ وَلَهُمْ رِزْقُهُمْ فِيهَا بُكْرَةً وَعَشِيًّا ﴿٦٢﴾ تِلْكَ ٱلْجَنَّةُ ٱلَّتِي نُورِثُ مِنْ عِبَادِنَا مَن كَانَ تَقِيًّا ﴿٦٣﴾ ﴾[7].

1- سورة الأنبياء: 105-106.

2- الطبري: جامع البيان، ج16، ص434.

3- سبق تخريجها.

4- سورة الأعراف: 128.

5- سورة الأعراف: 137.

6- الرازي: مفاتيح الغيب، ج22،ص230.

7- سورة مريم: 61 – 63.

إن الوعد بالأرض يتضمن ضرورة التحكم في الأعراض والأعناق والأرزاق والهيمنة على البشر، ولذا اقتضت عدالة الله تعالى ألا يعطى مثل هذا الوعد، إلا لمن ملك مواصفات كافية لضمان العدالة والحق والخير حين التحكم بالبشر، وأن مفاهيم العدل والخير والحق ليست بالضرورة ذات صلة بنسب من الأنساب، وإنما يكون ضرورة لمن التزم بهذا المنهاج ضرورة تحقق العدل على الأرض[1].

فعلى الأمم التي تريد أن تنال حظها من هذا الوعد أن تصلح أنفسها الصلاح الذي بيّنه القرآن، فأما إذا لم يكن لها حظّ من ذلك الصلاح فلا حظّ لها من هذا الوعد وإن دانت بالإسلام ولله سنن نافذة بمقتضى حكمته و مشيئته في ملك الأرض وسيادة الأمم يؤتى الملك من يشاء، وينزع الملك ممن يشاء ويعز من يشاء ويذل من يشاء، من أخذ بنوع من تلك السنن بلغت به وبلغ بها إلى ما قدر له من عّز وذلّ وسعادة وشقاء وشدّة ورخاء، وكل محاولة لصدها عن غايتها - هو آخذ بها - مقضي عليها بالفشل سنة الله ومن ذا يبدّلها أو يحولها[2].

إذن فالتمكين هو للإسلام وللمسلمين وهم المستحقون له، وهذا التمكين له تبعات، وهذه التبعات هي الاستقامة على دين الله تعالى[3]:﴿ ٱلَّذِينَ إِن مَّكَّنَّٰهُمۡ فِي ٱلۡأَرۡضِ أَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُاْ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَمَرُواْ بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَنَهَوۡاْ عَنِ ٱلۡمُنكَرِۗ وَلِلَّهِ عَٰقِبَةُ ٱلۡأُمُورِ ﴾[4].

والأرض يرثها الصالحون نعمة ويرثها غيرهم فتنة ونقمة كل ذلك حسب مشيئة الحكيم الخبير[5]، ولكن في الأخير هي للصالحين بدون منازع.

نستخلص من كل ما مضى أن الله تعالى لا يعطى وعد لقوم بأرض من الأرض على المعنى الذي بينا إلا على وفق مواصفات العدل والحق والخير، ولا يمكن أن يعطى الوعد من الله تعالى بالأرض لنسل من الأنسال أو لعرق من الأعراق، ذلك أن الأنسال والأعراف لا تتضمن فلسفة تلتزم بالخير والعدل والحق[6].

يقول سيد قطب:

1- جواد بحر: انتماء فلسطين ، ص436.

2- عبد الحميد بن باديس: مجالس التذكير، ج1،ص400.

3-جمال عبد الهادي: ليس لليهود حق في فلسطين، ط4، دار الوفاء، المنصورة، مصر 1993 م، ص12.

4- سورة الحج: 41.

5- ابن باديس: مجالس التذكير ، ج1، ص399.

6- جواد بحر: انتماء فلسطين ، ص435.

(إن الاستخلاف في الأرض قدره على العمارة والصلاح، لا على الهدم والإفساد، والقدرة على تحقيق العدل والطمأنينة لا على الظلم والقهر، وقدرة على الارتفاع بالنفس البشرية والنظام البشري لا على الانحدار بالفرد والجماعة إلى مدارج الحيوان.

وهذا الاستخلاف هو الذي وعده الله الذين ءامنوا وعملوا الصالحات...، وعدهم الله أن يستخلفهم في الأرض كما استخلف المؤمنين الصالحين قبلهم ليحققوا النهج الذي أراده الله، ويقرروا العدل الذي أراده الله ويسيروا بالبشرية خطوات في طريق الكمال المقدر لها يوم أنشأها الله.

فأما الذين يملكون فيفسدون في الأرض، فينشرون فيها البغي والجور وينحدرون بها إلى مدارج الحيوان، فهؤلاء ليسوا مستخلفين في الأرض إنما هم مبتلون بما هم فيه، أو مبتلى بهم غيرهم ممن يسلطون عليهم لحكمة يريدها الله)[1].

المطلب الثالث: مصداق الوعد

إذا تأملنا البشارات والوعود التي وردت في كل من التوراة والقرآن ندرك أن الوعود تحققت للأمة العربية المسلمة، وبالتالي صدق الوعد القرآني ولم يتحقق لليهود أي شيء من وعود التوراة، فوعد القرآن هو وعد من عند الله أي وعد حق، أما وعد العهد القديم فهو وعد مزيف باطل من تحريف الكهنة الذين كتبوا التوراة .

يقول حسين فوزي النجار:(ولا نستطيع أن نجد مصداقا للوعد المقدس في تاريخ ذرية إبراهيم إلا في انتصار الإسماعيليين الذين اندمجت فيهم قبائل العرب، وكان منهم محمد خاتم الأنبياء من سلالة إبراهيم، فقد حقّق انتصار الإسماعيليين كل نبوءات عهد الرب مع إبراهيم ففي مدى لا يزيد على بضعة عشر عاما بعد توحيد الجزيرة العربية تحت لواء الإسلام، أصبحت سيادة الهلال الخصيب وما وراء الهلال الخصيب من بلاد النهرين وفارس ومصر وشمال إفريقيا لأولئك العرب العدنانية من نسل إسماعيل بكر إبراهيم وصاحب عهد الختان الذي عقده الرب مع إبراهيم، وليس لنا أن نقطع في عهود الرب إلا بما يؤيدها من أحداث التاريخ)[2].

فإذا افترضنا إذا صحة الوعود التوراتية فإننا سنجدها متحققة في أمة العرب الذين هم بنو إسماعيل وبنو عيسو وغيرهم من أبناء إبراهيم عليه السلام.

1- سيد قطب: في ظلال القرآن، مج 4، ج 18، ص2529.

2- حسين فوزي النجار: أرض الميعاد، ص156.

ولابن حزم رأي في هذه المسألة فيقول رادّا على المصدقين بوعود التوراة :(فإن قال قائل إنما عنى الله بهذا الوعد بني إسماعيل عليه السلام قلنا : وهذا أيضا خطأ، لأن هذا القدر المذكور هنا من الأرض - الأرض الموعودة في التوراة - أقل من جزء من مائة جزء مما ملّك الله عز و جل بني إسماعيل عليه السلام وأين يقع مابين مصب النيل عند " تنيس " وبين الفرات و" كابل " مما يلي الهند ومن ساحل اليمن إلى ثغور " أرمينية " وأذربيجان فيما بين ذلك ؟ والحمد لله رب العالمين)[1].

إن الوعد المتحقق لأمة الإسلام هو وعد الله الموجود في القرآن الكريم وليس وعد التوراة المزيفة، والتي نذكر نصوصها لا على سبيل الاستدلال وإنما على سبيل الافتراض بصحتها نذكرها، وإذا افترضنا صحتها فالناقد يجد تناقضها ويعلم يقينا أنها لا ترقى لأن تكون وحيا سماويا.

فمثلا عندما نذكر نصا يجعل أمة بني إسرائيل هي الأمة التي ورثت العهد الذي أعطاه الرب لإبراهيم عندما قال له: "فأجعلك أمة عظيمة "[2]، فإن هذه البشارة لم تتحقق لبنى إسرائيل وإنما تحققت لأبناء إسماعيل وأمة محمد عليهما الصلاة والسلام.

تلقى اليهود وعدا بتكثير نسلهم وبإعطائهم الأرض من النيل إلى الفرات ولم يتحقق لهم ذلك أبدا عبر التاريخ الطويل بينما(نجد مجد العرب باسم الإسلام قد أظل معظم العالم القديم وامتدّ من الصين شرقا إلى إسبانيا غربا ومن جنوب أوروبا شمالا إلى تخوم الصحراء الكبرى جنوبا، في إمبراطورية عظيمة لم يعرف التاريخ قبلها دولة باتساعها هذا من جهة التاريخ .

أما من جهة العدد فالعرب - الآن -يزيدون عن الثلاثمائة مليونا، ويمتد وطنهم على شمال إفريقيا والشام والعراق وجزيرة العرب بالإضافة إلى الصومال والسودان بمساحة تصل إلى 12 مليون كيلومتر مربع، بينما اليهود يبلغ تعدادهم حوالي العشرين مليونا مشتتين في أنحاء العالم مع أنهم ليسوا من نسل إبراهيم عليه السلام، فأيهما الأمة العظيمة التي تنطبق عليها نبوءة التوراة بأن يجعل الرب من إبراهيم أمة عظيمة؟ العرب أم اليهود؟)[3].

لقد تحقق وعد الله للمسلمين فهو سبحانه لا يخلف الميعاد، والمسلمون الصادقون منذ خلق آدم إلى قيام الساعة هم الموعودون بالتمكين في الأرض والاستخلاف فيها، وهم الذين كذلك الذين تعهد الله لهم بأن يدخلهم الجنة.

1 - ابن حزم: الفصل، ج1، ص275.
2- سفر التكوين : 12 / 2.
3- رجا عبد الحميد عرابي: سفر التاريخ اليهودي، ص 459.

وأمة محمد صلى الله عليه وسلم هي آخر الأمم المسلمة، وهى الوارثة للوعد والعهد والبشارة متى التزمت بعهد الله، وهى التي تحققت فيها دعوة سيدنا إبراهيم عليه السلام وابنه إسماعيل لما رفعا قواعد البيت الحرام بقولهما:﴿رَبَّنَا وَٱبْعَثْ فِيهِمْ رَسُولاً مِّنْهُمْ يَتْلُواْ عَلَيْهِمْ ءَايَـٰتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَـٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَيُزَكِّيهِمْ ۚ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿١٢٩﴾﴾[1].

وعند بعثة النبي صلى الله عليه وسلم ظن المشركون أنهم قادرون على هدم الإسلام فكادوا له وأعانهم في ذلك اليهود، وكان الرسول صلى الله عليه وسلم هو الصادق المصدوق يعد أصحابه بالنصر والتمكين، وكان المنافقون يسخرون من هذه الوعود ويحقرون من شأنها:﴿وَإِذْ يَقُولُ ٱلْمُنَـٰفِقُونَ وَٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ مَّا وَعَدَنَا ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ إِلَّا غُرُورًا ﴿١٢﴾﴾[2].

أما المؤمنون الواثقون فيقول الله عنهم: ﴿ وَلَمَّا رَءَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلْأَحْزَابَ قَالُواْ هَـٰذَا مَا وَعَدَنَا ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَصَدَقَ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ ۚ وَمَا زَادَهُمْ إِلَّآ إِيمَـٰنًا وَتَسْلِيمًا ﴿٢٢﴾ ﴾[3].

ففي مكة حين اشتدّ إيذاء المشركين للمسلمين ذهب خباب بن الأرت إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم يشكوا إليه ويستنجد به ويطلب منه الدعاء والنصرة، فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم : (كان الرجل فيمن قبلكم يحفر له في الأرض فيجعل فيه، فيجاء بالمنشار فيوضع على رأسه فيشق باثنتين، وما يصده ذلك عن دينه، ويمشط بأمشاط الحديد مادون لحمه من عظم أو عصب وما يصده ذلك عن دينه، والله ليتمّنّ هذا الأمر حتى يسير الراكب من صنعاء إلى حضر موت لا يخافن إلا الله، أو الذئب على غنمه ولكنكم تستعجلون)[4].

قال عدى بن حاتم:(كنت عند النبي صلى الله عليه وسلم فقال لي:"يا عدى هل رأيت الحيرة ؟"، قلت:" لم أرها وقد أنبئت عنها"، فقال:" فإن طالت بك حياة لترينّ الظعينة ترتحل من الحيرة حتى تطوف بالكعبة لا تخاف أحدا إلا الله "قلت فيما بيني وبين نفسي فأين دعّار طيء الذين قد سعّروا البلاد، " ولئن طالت بك الحياة لتفتحنّ كنوز كسرى"، قلت كسرى بن هرمز، قال:" كسرى بن هرمز، ولئن طالت بك حياة لترينّ الرجل يخرج ملء كفيه من ذهب أو فضة يطلب من يقبله منه، فلا يجد أحدا يقبله منه ".

1- سورة البقرة : 129.
2- سورة الأحزاب : 12.
3- سورة الأحزاب : 22.
4- رواه البخاري: كتاب المناقب، باب علامات النبوة، رقم (3612).

قال عدي : فرأيت الظعينة ترتحل من الحيرة حتى تطوف بالكعبة لا تخاف إلا الله، وكنت فيمن فتتح كنوز كسرى بن هرمز، ولئن طالت بكم الحياة لترونّ ما قال النبي أبو القاسم صلى الله عليه وسلم يخرج ملء كفه)[1].

وعندما كان الصحابة يحفرون الخندق اعترضت لهم صخرة كسرت حديدهم وشقت عليهم، فذهب سليمان الفارسي رضي الله إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم يخبره عن هذه الصخرة التي اعترضت عملهم وأعجزت معاولهم، فجاء النبي صلى لله عليه وسلم وأخذ من سلمان المعول ثم ضرب الصخرة ضربة صدعتها، وتطاير منها شرر أضاء خلل الجو الداكن، فكبر رسول الله عليه الصلاة والسلام تكبير فتح وكبر المسلمون، ثم ضربهاالثانية، تفتت الصخرة تحت ضربات الرجل الأيّد الموصول بالسماء الراسخ على الأرض ونظر النبي صلى الله عليه وسلم إلى صحبه، وقد أشرق على نفسه الكبيرة شعاع من الثقة الغامرة والأمل الحلو، فقال يحدث صحبه عن السنا المنقدح بين الحديد المعول وحدة الصخرة[2]:

("فإني حين ضربت الضربة الأولى رفعت لي مدائن كسرى وما حولها، ومدائن كثيرة حتى رأيتها بعيّني"، قال له من حضره من أصحابه:"يا رسول الله ادع الله أن يفتحها علينا" ، ويغنمنا ديارهم ويخّرب بأيدينا بلادهم"، فدعا رسول الله صلى الله عليه وسلم بذلك، "ثم ضربت الضربة الثانية فرفعت لي مدائن قيصر وما حولها حتى رأيتها بعيني"، قالوا:" يا رسول الله ادع الله أن يفتحها علينا ويغنمنا ديارهم ويخّرب بأيدينا بلادهم"، فدعا رسول الله صلى الله عليه وسلم بذلك، "ثم ضربت الثالثة فرفعت لي مدائن الحبشة وما حولها من القرى حتى رأيتها بعيّني"، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم عند ذلك:" دعوا الحبشة ما وَدَعوكم واتركوا الترك ما تركوكم")[3].

والأحاديث الواردة في هذا الموضوع كثيرة، وكلها كانت تبشر بانتصار المسلمين والتمكين لهذا الدين وقد تحققت في معظمها.

وبالتالي صدق الله وعده لعباده الصالحين وصدق نبيه صلى الله عليه وسلم بما لم يكن يعلمه أحد، ولا يرى شيئا من أسبابه، بل يرى إلا ما هو مناف له، لكن العاقبة للمتقين[4].

1- رواه البخاري ،كتاب المناقب، باب علامات النبوة، رقم (3595).

2- محمد الغزالي: فقه السيرة، بتخريج محمد الناصر الدين الألباني، ط1، دار الهناء الجزائر، ت[ ]، ص300.

3- رواه النسائي: السنن الصغرى، ط1، مكتبة المعارف، الرياض، السعودية ت[ ] بتخريج محمد ناصر الدين الألباني، رقم(3176)، وانظر فقه السيرة، ص300 (قال الألباني حديث حسن).

4- ابن باديس: مجالس التذكير، ج1، ص398.

المطلب الرابع: عنصرية الوعود التوراتية

تعتبر نصوص العهد القديم أسفار منحازة للشعب المختار بامتياز، فواضعها أو واضعوها يقصدون بها رفع مكانة اليهود وجعلهم أبناء الله وأحباؤه الذين اختارهم الرب ليكونوا له خاصة من بين الشعوب ويعطيهم الوعود والعهود وينزل عليهم البركات، ويملكهم الأرض ومهما فعلوا فهو لا يتخلى عليهم كما يزعمون.

كرست نصوص العهد القديم بشكل واضح أفضلية العنصر اليهودي وتميزه على من عداه من العناصر البشرية الأخرى، وقد دارت معاني تفردهم وتميزهم كما وردت في الأسفار حول "النقاء القومي" وتفردهم "بالانتساب إلى سام"، تفردهم "بالإله" و"الوعد بالأرض المقدسة" وذلك في خصوصية شعبهم[1].

انطلق اليهود من هذه العقيدة لتحقيق مخططاتهم على أساس أنهم أصحاب العقيدة صحيحة من عند الله، وأنهم ورثة الأرض عن الأنبياء اليهود -في زعمهم - إبراهيم وإسحق وداود وسليمان عليهم السلام، لأنهم من سلالتهم وأنهم شعب الله المختار.

و بدأوا باغتصاب أرض فلسطين تمهيدا لاغتصاب أرض المسلمين كلها وأعلنوا مرحليا عن حدود دولتهم " من النيل إلى الفرات " واتخذوا عاصمة لهم بيت المقدس أورشليم، وزعموا أنهم جادون في البحث عن هيكل سليمان الذي وسموه باليهودية[2].

(والحقيقة أن المنحى الاصطفائي الإلهي كان قد قرر على عهد نوح لقد حدث الكتاب المقدس أن نوحا قد سكر ذات مرة وتعرى نائما فأبصر ابنه الأصغر أبو كنعان بعورته، فلما استيقظ علم نوح ما وقع لابنه، فقال ملعون كنعان عبد العبيد يكون لإخوته، وهكذا حلت اللعنة بكنعان ليكون من ثمة رمزا للشر ولتستهدفه المحن، وتحل به وبعقبه المشأمة، فجرثومة الانحياز الإنجيلي لصالح سلالة ضد أخرى يبدأ في الواقع من هذا المنطلق الكتابي)[3]، أدرك كتبة التوراة الخطأ في عالمية العهد لنوح وبنيه فسارعوا لتصحيحه، وبدأ التصحيح بلعن (كنعان بن حام) ومباركة (سام بن نوح) وذريته من بعده، فاختلقوا قصة ذات مضامين وأبعاد سياسية ليحرموا بها الشعوب الأخرى وخاصة أهل فلسطين من حقهم في عالمية العهد، واختزاله فيمن زعموا أنه (سام بن نوح) من بين أبناء نوح الثلاثة[4].

1 - علي عبد الجليل: معالم عنصرية في الفكر اليهودي، ط1، دار أسامة، عمان، الأردن 2002 م، ص14.

2- جمال عبد الهادي: ليس لليهود حق في فلسطين ، ص16.

3- عشراتي سليمان: الكتاب المقدس،ص68.

4-مصطفى إنشاصي: عالمية العهد والوعد لنوح وإبراهيم في التوراة، 2009م.

فالعنصرية واضحة هنا تماما حيث بدأوا بعملية غربلة وتصفية واستدراك للأخطاء العقدية التي دونوها في التوراة للوصول إلى الجنس الإسرائيلي الذي ينفرد بالوعد والعهد دون سائر البشر الذين لم يعد لهم أي حق سوى أنهم عبيد لليهود خلقوا على هيئة بشر ليكونوا لائقين لخدمة الجنس السامي الإسرائيلي.

(لقد تم استبعاد كنعان عنوة وتم جعله عبد العبيد لإخوته وذلك بناء على جرم لم يرتكبه، واختلق المؤلف - مؤلف السفر- الحجة الواهية التي بسببها تم انتقاء سام لتقتصر الحقوق التاريخية و الحلولية على أحفاد سام، ثم استبعد من أحفاد سام نسل هاران أخو ناحور والد إبراهيم أبو الأنبياء، وذلك باستبعاد أحفاده من أبناء لوط بعدما حملت منه ابنتيه ، وبالتالي استبعد الكلدانيين قوم هاران، و استبعد نسل الزنا المؤابيين من أبيهم مؤاب والعمونيين من أبيهم عمون، ولا يدخل كل هؤلاء جماعة الرب إلى الأبد بل لعنوا كما لعن الكنعانيون من قبل، ثم تمّ استبعاد من نسل إبراهيم نسل إسماعيل وتم انتقاء نسل إسحق ورغم وعد الرب بجعله أمة كبيرة فقد نبذه إبراهيم وعزله، واستجاب لنداء الرب بأن يقدم إسحق قربانا للرب ويحرقه، فلما أطاعا الرب باركهما ووعدهما بإكثار نسل إسحق تكثيرا كنجوم السماء وكالرمل الذي على شاطئ البحر، وهو ما لم يحدث مطلقا، فاكتسب نسل اسحق الشرعية الإلهية وتم استبعاد إسماعيل)[1]، وليس هناك حجة واضحة تدعو إلى تحول الوعد من البكر إلى الصغير، أما إن كانت حجة اليهود بأن الرب حول الوعد من إسماعيل إلى إسحق لأن إسماعيل ابن الجارية، فلماذا انصرف الوعد من عيسو وانحصر في يعقوب علما بأنهما من أم واحدة لا فرق بينهما من تلك الناحية[2].

وبعد هذه الغربلة للشعوب والأمم وحرمانها من البركات والوعود وبعد صب اللعنات عليهم يصل بنا كاتب العهد القديم إلى يعقوب الذي سرق حق أخيه عيسو بحيلة ومكر وصارع الرب وقدر عليه على زعمه كما أسلفنا، ليصبح يعقوب هو أب الاسرائليين الذين اختارهم الرب من بين الشعوب ويلتصق بهم ويكونوا هم وارثوا العهد والوعد الذي مّر عبر سلاسل طويلة حتى وصل إليهم بالحيل والمكر والخديعة والذي لعبت فيه النساء دورا مهما خاصة سارة ورفقه وراحاب الزانية، وهكذا في كل عصر يستعملون النساء والجنس والجوسسة والحيل وكل الطرق مهما كانت للوصول إلى تنفيذ مخططاتهم.

(لهذا صار كل هذا لاهوتا للانتقاء و الاستبعاد وأكل حقوق الآخرين، والتي يؤيدها الإله ويبارك كل من يسلب حقوق الآخرين وهكذا فعل يعقوب حيث بارك أفرايم على حساب منسى الذي هو البكر، وهو ما فعله صموئيل الذي رشح داود للملك مفضلا إياه على كل إخوته الكبار، والذي ينتسب كذلك

1 -أحمد عزت سليم: لاهوت العنصرية الإسرائيلية، ص94-95.

2- محمد بن علي آل عمر: عقيدة اليهود، ص219.

إلى أحفاد يهوذا أصغر التوأمين فارص وزارح، وصولا إلى سليمان الذي وهبه داود الملك وهو أصغر أبنائه، وهذا الاستبعاد والانتقاء يقود في النهاية إلى العنصرية الإسرائيلية التي ترتكز بؤرتها على نسل يعقوب)[1].

إن محرري التوراة قاموا بعمليات غربلة مستمرة للآباء الأوائل منذ آدم وحتى يعقوب كي ينتهوا إلى تحديد شعب الله المختار، فاستبعدوا إسماعيل الابن الأكبر لإبراهيم وتركوا الخشبة لإسحق، ومن ثم طمسوا نصيا عيسو بكر إسحق، وتركوا خشبة التاريخ ليتمسرح عليها يعقوب وأبناؤه من بعده، وحتى يعقوب فقد غيروا اسمه إلى إسرائيل وكأنهم أرادوا حجب اسمه الذي يشير ذهنيا إلى أخيه عيسو وأبيه إسحق، فإسرائيل بداية جديدة، ولليهود فحسب تعود الديانة الحنيفية، وأتباعها فقط هم شعب الله المختار، ولهم فقط يعود حق امتلاك الأرض الموعودة[2].

جاء في سفر التثنية قول الرب:« لأنك أنت شعب مقدس للرب إلهك إياك قد اختار الرب إلهك لتكون له شعبا أخص من جميع الشعوب الذين على وجه الأرض »[3].

إذا فالتوراة أعطت الأفضلية المطلقة لبني إسرائيل وأعطتهم صفة القداسة التي بلغوا بها شأنا بحيث أصبحوا بمثابة الابن البكر للرب الذي لن يتخلى عن بكره مهما فعل، حتى بلغ الأمر بالرب أنه يأمر شعبه المختار أن يفني الشعوب ويستولي على أراضيهم ، ويستعبدهم ليفي بوعده لهم.

جاء في سفر الخروج قول الرب لموسى: « ثم قل لفرعون هذا ما يقوله الرب: "إسرائيل هو ابني البكر، قلت لك أطلق ابني ليعبدني ولكنك رفضت إطلاقه، لذلك سأهلك ابنك البكر"»[4].

وفي سفر يشوع:« وحرموا كل ما في المدينة من رجل وامرأة، من طفل وشيخ، حتى البقر والغنم والحمير بحد السيف... وأحرقوا المدينة بالنار مع كل ما بها »[5].

وسفر يشوع مليء بهذه النصوص التي تتحدث عن عمليات الإبادة التي قام بها يوشع لسكان فلسطين، واليهود اليوم يقتبسون من هذه الأساطير الموجودة في هذا السفر ويدّرسونها لأبنائهم في المدارس لتمتلئ قلوبهم بهذه العقيدة الفاسدة التي تحمل الحقد والاحتقار للشعوب وما حدث لفلسطين ولبنان والدول العربية التي احتلتها إسرائيل هو انعكاس لهذه الأفكار والعقيدة العنصرية.

1- أحمد عزت سليم: لاهوت العنصرية الإسرائيلية ، ص95.

2- إسماعيل الصمادي: نقد النص التوراتي، ج1، ص139.

3- سفر التثنية:7 / 6.

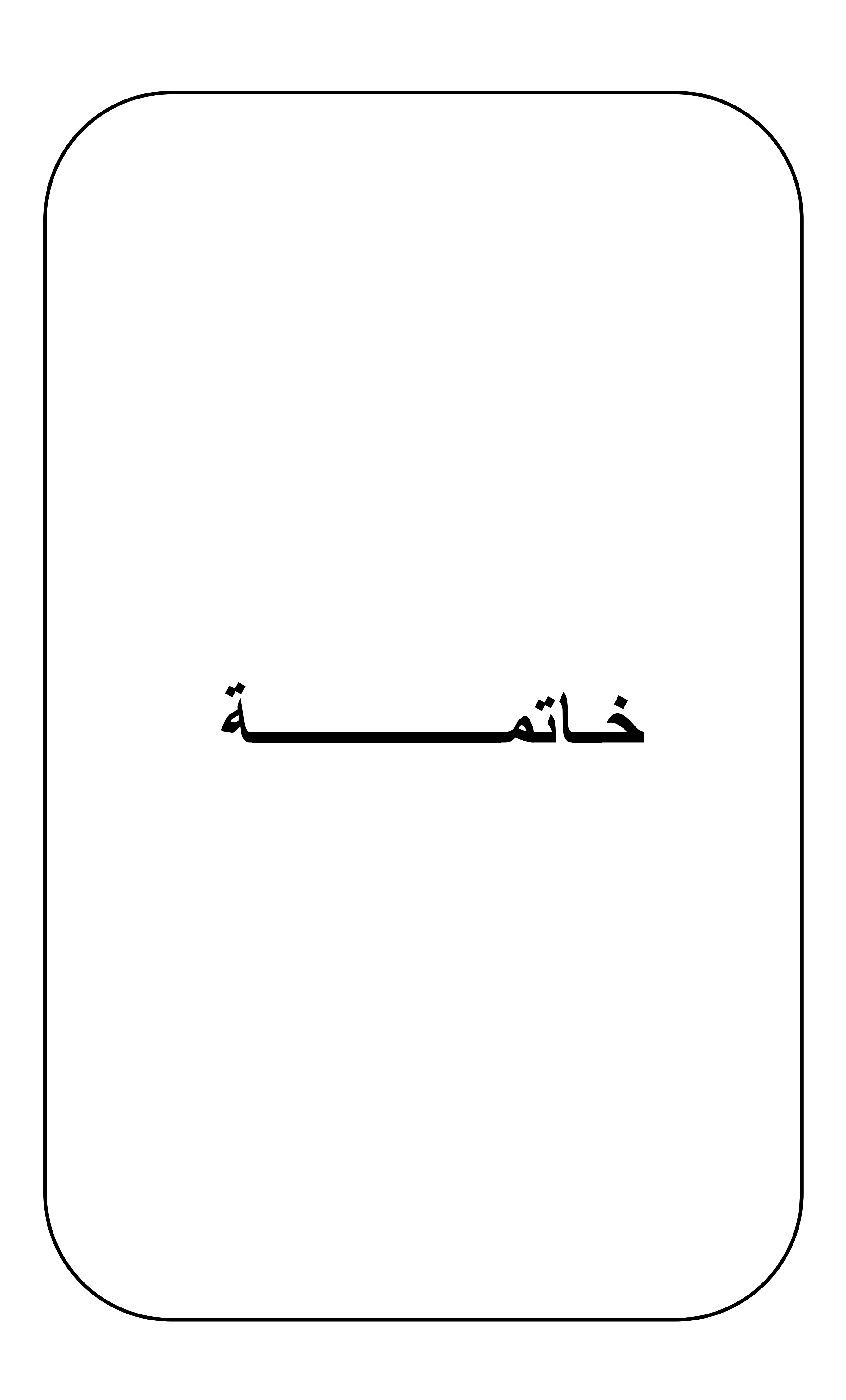
4- سفر الخروج:4 / 22 – 23.

5- سفر يشوع: 21/6-24.

(إن سياسة إسرائيل تقوم على نصوص توراتية تدعوا إلى طرد جميع سكان الأرض التي تطؤها أقدام إسرائيل، وتحرم تحريما تاما توقيع أي معاهدة سلام مع سكان تلك الأرض، وتدعو بإلحاح إلى إقامة المذابح والمجازر لهذه الشعوب وإبادتها إبادة كاملة بما في ذلك النساء والشيوخ والأطفال، وبل حتى البهائم من الأبقار والأغنام والحمير يجب إبادتها وقتلها إذا ما دفعها الرب إله إسرائيل ليد ابنه البكر (إسرائيل)، فهل يرجى سلام مع إسرائيل ؟)![1].

فالخداع و الإقصاء والحيرم (الإبادة) هي السبل التي اتبعها العنصر المقدس ليحصل على الوعد، وهذا هو الذي تحقق به الوعد الزائف، وهو السبيل الوحيد الذي يتبعه اليهود ليحافظوا على ما اكتسبوه، وأكبر دليل على ذلك هو الجرائم التي قامت بها إسرائيل وتقوم بها في فلسطين والتي كان ضحاياها بالآلاف، وهذه الجرائم ما هي إلا تجسيد لنصوص التوراة.

1 - محمد علي البار: المدخل لدراسة التوراة والعهد القديم ،ص334.



خـاتمـــــــــــــة

الخاتمة

توصلت من خلال هذا البحث إلى عدة نتائج تؤكد كلها بطلان وعود التوراة من جوه عديدة أعرض أهمها في النقاط التالية:

1. التوراة كتاب أساطير تم تدوينه خلال مرحلة السبي على أيدي الكهنة، لأن التوراة الأصلية ضاعت نسختها واندثرت من على وجه الأرض، فقام اليهود بكتابة نسخ اعتمادا على ما يحفظون من مرويّات وأضافوا إليها من خرافات وعقائد الأمم الوثنية التي عايشوها في العراق والشام وبلاد فارس وغيرها، وكل هذه المصادر جعلوها في قالب على حسب ما أملت لهم أهواؤهم ورغباتهم، ثم نسبوها بعد ذلك إلى الرب وأضفوا عليها صفة القداسة بالرغم من انقطاع سندها وذهاب أصلها.
2. تناقض نصوص التوراة وتعارضها مع معطيات العلم الحديث والتاريخ والمكتشفات الأثرية يجعلنا لا نسلم بمضمونها ومحتواها، وبالتالي فالوعد التوراتي لا نقبله ولا نسلم لليهود بصحته.
3. وصف التوراة للذات الإلهية بصفات غير لائقة واحتواؤها على عبارات التجسيم والتجسيد له، كما أنها تحتوي على عبارات الإسفاف وغياب العصمة للأنبياء عليهم السلام، مما يجعل التعويل على نصوص العهد القديم ككتاب مقدس غير منطقي ومستحيل عقلا.
4. تأكيد القرآن الكريم على أن الإسلام هو الدين الحق وأن الأنبياء عليهم السلام دينهم واحد ودعوتهم واحدة من آدم عليه السلام إلى محمد صلى الله عليه وسلم، وأن اليهود ليس لهم نصيب في ميراث الأنبياء ومقدسات الإسلام.
5. أحق الناس بموعود الله هم الصالحون أتباع الرسالة الإلهية القائمة على الحق والعدل والخير، أما الظالمين الفاسقين المحرفين لجوهر الدين فليس لهم إلا الخسران في الدنيا والآخرة، وبما أن محمد صلى الله عليه وسلم هو آخر الأنبياء والمرسلين وأمته آخر الأمم فهم الأحق بميراث الأنبياء والجديرين بأن يتحقق لهم ما وعد الله وذلك يكون لهم فقط متى حققوا شروط الاستخلاف والتمكين.
6. فساد اليهود وإفسادهم واستكبارهم على الحق صفة ملازمة لهم عبر العصور وهذا محل اتفاق بين القرآن الكريم وأسفار التوراة.
7. الأرض المقدسة ملك للعرب منذ قديم الزمان وليس لليهود حق تاريخي أو ديني وبنو إسرائيل لم يحكموها إلا فترة وجيزة في عهد داوود وسليمان عليهما السلام كانوا فيها على الإسلام، وبعد هذه الفترة خرج اليهود من فلسطين بعد زيغهم وكفرهم وكثرة آثامهم، ولم يملك اليهود في هذه الأرض ولا موضع شبر بل كانوا ضيوفا طوال فترة حكمهم.
8. انقراض بني إسرائيل الذين هم نسل يعقوب عليه السلام كما أثبتت الدراسات، لأن يهود اليوم خليط من جنسيات مختلفة لا تربطهم أي علاقة عرقية أو دموية بإبراهيم عليه السلام، فالمطالبة

بأرض الموعد على أساس عرقي وجنسي متعذر لانقراض النسل الإسرائيلي، أي أن ادّعاء الحق على أساس العرق باطل.

9. وعد الله تعالى في القرآن الكريم هو وعد عام ومفتوح لكل من حقق صفات الصلاح والاستقامة على دين الله تعالى، أما وعود التوراة فهي وعود كاذبة استهدف من خلالها كاتبوا العهد القديم تحقيق أطماع سياسية والتقعيد لنظرية شعب الله المختار.

10. وعد القرآن هو وعد مقدس مصدره الوحي الصحيح، أما وعد التوراة فهو أسطورة لا حقيقة له.

والحمد لله رب العالمين

الفهــــارس

فهـــرس الآيات

فهرس الأحاديث النبويـة

فهرس الأسفار

فهرس الآيات:

المائدة	يَٰقَوۡمِ ٱدۡخُلُواْ ٱلۡأَرۡضَ ٱلۡمُقَدَّسَةَ ٱلَّتِي كَتَبَ ٱللَّهُ لَكُمۡ	21–26	15، 111، 113،162
	لَقَدۡ أَخَذۡنَا مِيثَٰقَ بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ وَأَرۡسَلۡنَآ إِلَيۡهِمۡ رُسُلٗاۖ	70-71	143
	لُعِنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنۢ بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ	78-82	145، 160
الأنعام	وَوَهَبۡنَا لَهُۥٓ إِسۡحَٰقَ وَيَعۡقُوبَۚ كُلًّا هَدَيۡنَا	84-87	71-73
	قُلۡ تَعَالَوۡاْ أَتۡلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمۡ عَلَيۡكُمۡ	151-153	142
الأعراف	يَٰقَوۡمِ ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنۡ إِلَٰهٍ غَيۡرُهُۥٓ	59	59
	قَالَ مُوسَىٰ لِقَوۡمِهِ ٱسۡتَعِينُواْ بِٱللَّهِ وَٱصۡبِرُوٓاْ	128-129	27، 106، 159،183
	وَأَوۡرَثۡنَا ٱلۡقَوۡمَ ٱلَّذِينَ كَانُواْ يُسۡتَضۡعَفُونَ	137	106، 120، 158،183
	وَوَٰعَدۡنَا مُوسَىٰ ثَلَٰثِينَ لَيۡلَةٗ وَأَتۡمَمۡنَٰهَا بِعَشۡرٖ	142-145	108
	وَٱتَّخَذَ قَوۡمُ مُوسَىٰ مِنۢ بَعۡدِهِۦ مِنۡ حُلِيِّهِمۡ	148	145
	ٱلَّذِينَ يَتَّبِعُونَ ٱلرَّسُولَ ٱلنَّبِيَّ ٱلۡأُمِّيَّ	157	152،168
	وَإِذۡ قِيلَ لَهُمُ ٱسۡكُنُواْ هَٰذِهِ ٱلۡقَرۡيَةَ	161-162	118
	وَإِذۡ تَأَذَّنَ رَبُّكَ لَيَبۡعَثَنَّ عَلَيۡهِمۡ إِلَىٰ يَوۡمِ ٱلۡقِيَٰمَةِ	167-170	149، 161
	وَإِذۡ نَتَقۡنَا ٱلۡجَبَلَ فَوۡقَهُمۡ كَأَنَّهُۥ ظُلَّةٞ	171	141
الأنفال	وَٱذۡكُرُوٓاْ إِذۡ أَنتُمۡ قَلِيلٞ مُّسۡتَضۡعَفُونَ فِي ٱلۡأَرۡضِ	26	27
التوبة	وَمَا كَانَ ٱسۡتِغۡفَارُ إِبۡرَٰهِيمَ لِأَبِيهِ إِلَّا عَن مَّوۡعِدَةٖ	114	19
هود	فَقَالَ ٱلۡمَلَأُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِن قَوۡمِهِۦ	27	60
	وَأُوحِيَ إِلَىٰ نُوحٍ أَنَّهُۥ لَن يُؤۡمِنَ مِن قَوۡمِكَ	36-43	61
	وَنَادَىٰ نُوحٞ رَّبَّهُۥ فَقَالَ رَبِّ إِنَّ ٱبۡنِي مِنۡ أَهۡلِي	45-49	61
	وَلَقَدۡ جَآءَتۡ رُسُلُنَآ إِبۡرَٰهِيمَ بِٱلۡبُشۡرَىٰ قَالُواْ سَلَٰمٗا	69-73	72، 75
يوسف	إِنِّي تَرَكۡتُ مِلَّةَ قَوۡمٖ لَّا يُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ	37-40	77
الرعد	إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُخۡلِفُ ٱلۡمِيعَادَ	31	21

إبراهيم	رَّبَّنَآ إِنِّيٓ أَسۡكَنتُ مِن ذُرِّيَّتِي بِوَادٍ غَيۡرِ ذِي زَرۡعٍ	37	67
	فَلَا تَحۡسَبَنَّ ٱللَّهَ مُخۡلِفَ وَعۡدِهِۦ رُسُلَهُۥٓ	47	21
الحجر	إِنَّا نَحۡنُ نَزَّلۡنَا ٱلذِّكۡرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ	09	13
الإسراء	سُبۡحَٰنَ ٱلَّذِيٓ أَسۡرَىٰ بِعَبۡدِهِۦ لَيۡلٗا	01	177
	عَسَىٰ رَبُّكُمۡ أَن يَرۡحَمَكُمۡ	8-4	162 ،147
	وَأَوۡفُواْ بِٱلۡعَهۡدِۖ إِنَّ ٱلۡعَهۡدَ كَانَ مَسۡـُٔولٗا	34	20
الكهف	قُل لَّوۡ كَانَ ٱلۡبَحۡرُ مِدَادٗا لِّكَلِمَٰتِ رَبِّي	109	12
مريم	فَلَمَّا إِنَّهُۥ ٱعۡتَزَلَهُمۡ وَمَا يَعۡبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ	50-49	75
	وَٱذۡكُرۡ فِي ٱلۡكِتَٰبِ إِسۡمَٰعِيلَۚ	55-54	72
	جَنَّٰتِ عَدۡنٍ ٱلَّتِي وَعَدَ ٱلرَّحۡمَٰنُ عِبَادَهُۥ	63-61	183
طه	فَأَخۡلَفۡتُم مَّوۡعِدِي	86	18
	قَالُواْ مَآ أَخۡلَفۡنَا مَوۡعِدَكَ بِمَلۡكِنَا	87	18
	وَمَآ أَعۡجَلَكَ عَن قَوۡمِكَ يَٰمُوسَىٰ	91-83	109
الأنبياء	لَقَدۡ أَنزَلۡنَآ إِلَيۡكُمۡ كِتَٰبٗا فِيهِ ذِكۡرُكُمۡ	10	13
	وَٱذۡكُرۡ إِسۡمَٰعِيلَ وَٱلۡيَسَعَ وَذَا ٱلۡكِفۡلِ	85	72
	وَوَهَبۡنَا لَهُۥٓ إِسۡحَٰقَ وَيَعۡقُوبَ نَافِلَةٗۖ	73-71	63
	وَجَعَلۡنَٰهُمۡ أَئِمَّةٗ يَهۡدُونَ بِأَمۡرِنَا	73-72	75
	وَلَقَدۡ كَتَبۡنَا فِي ٱلزَّبُورِ مِنۢ بَعۡدِ ٱلذِّكۡرِ أَنَّ	105	107 ،26
	وَلَقَدۡ كَتَبۡنَا فِي ٱلزَّبُورِ مِنۢ بَعۡدِ ٱلذِّكۡرِ أَنَّ	106-105	183،65
الحج	ٱلَّذِينَ إِن مَّكَّنَّٰهُمۡ فِي ٱلۡأَرۡضِ أَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ	41	184
نّور	وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمۡ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ	55	182 ،107 ،26
الفرقان	تَبَارَكَ ٱلَّذِي نَزَّلَ ٱلۡفُرۡقَانَ عَلَىٰ عَبۡدِهِۦ	01	13
	وَلَقَدۡ ءَاتَيۡنَا مُوسَى ٱلۡكِتَٰبَ وَجَعَلۡنَا	36-35	104
	إِنَّ هَٰٓؤُلَآءِ لَشِرۡذِمَةٞ قَلِيلُونَ	54	105

الشعراء	قَالُوٓاْ أَنُؤۡمِنُ لَكَ وَٱتَّبَعَكَ ٱلۡأَرۡذَلُونَ	111	60
	وَإِنَّهُۥ لَتَنزِيلُ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ	192	13
النمل	وَلَقَدۡ ءَاتَيۡنَا دَاوُۥدَ وَسُلَيۡمَٰنَ عِلۡمٗاۖ	16-15	172
القصص	طسٓمٓ ۝١ تِلۡكَ ءَايَٰتُ ٱلۡكِتَٰبِ ٱلۡمُبِينِ	6-1	104
	وَنُرِيدُ أَن نَّمُنَّ عَلَى ٱلَّذِينَ ٱسۡتُضۡعِفُواْ	6-5	27، 158
	فَلَمَّا قَضَىٰ مُوسَى ٱلۡأَجَلَ وَسَارَ بِأَهۡلِهِۦٓ	35-29	104
العنكبوت	فَـَٔامَنَ لَهُۥ لُوطٞۘ وَقَالَ إِنِّي مُهَاجِرٌ إِلَىٰ رَبِّيٓ	27-26	64
الروم	وَعۡدَ ٱللَّهِۖ لَا يُخۡلِفُ ٱللَّهُ وَعۡدَهُۥ	06	21
الأحزاب	وَإِذۡ أَخَذۡنَا مِنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ مِيثَٰقَهُمۡ	07	59
	وَإِذۡ يَقُولُ ٱلۡمُنَٰفِقُونَ	12	187
	وَلَمَّا رَءَا ٱلۡمُؤۡمِنُونَ ٱلۡأَحۡزَابَ قَالُواْ	22	187
الصافات	وَلَقَدۡ نَادَىٰنَا نُوحٞ فَلَنِعۡمَ ٱلۡمُجِيبُونَ	82-76	62
	رَبِّ هَبۡ لِي مِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ	107-100	71
	وَفَدَيۡنَٰهُ بِذِبۡحٍ عَظِيمٖ	113-107	72
	وَلَقَدۡ مَنَنَّا عَلَىٰ مُوسَىٰ وَهَٰرُونَ	122-114	116
ص	وَٱذۡكُرۡ إِسۡمَٰعِيلَ وَٱلۡيَسَعَ وَذَا ٱلۡكِفۡلِ	48	72
الشورى	شَرَعَ لَكُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا وَصَّىٰ بِهِۦ نُوحٗا	13	59
الدخان	وَلَقَدۡ نَجَّيۡنَا بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ مِنَ ٱلۡعَذَابِ	33-30	158
الحجرات	يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقۡنَٰكُم مِّن ذَكَرٖ وَأُنثَىٰ	13	27، 176
الرحمن	وَٱلۡأَرۡضَ وَضَعَهَا لِلۡأَنَامِ	10	77
الحشر	لَأَنتُمۡ أَشَدُّ رَهۡبَةٗ فِي صُدُورِهِم مِّنَ ٱللَّهِ	15-13	163
	هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِي لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلۡمَلِكُ	23	15
الصف	وَإِذۡ قَالَ عِيسَى ٱبۡنُ مَرۡيَمَ يَٰبَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ إِنِّي رَسُولُ	09-06	151
	يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفۡعَلُونَ	03_02	20

الجمعة	مَثَلُ ٱلَّذِينَ حُمِّلُواْ ٱلتَّوۡرَىٰةَ ثُمَّ لَمۡ يَحۡمِلُوهَا	05	146
نوح	قَالَ رَبِّ إِنِّي دَعَوۡتُ قَوۡمِي لَيۡلٗا وَنَهَارٗا	10-05	59
القيامة	إِنَّ عَلَيۡنَا جَمۡعَهُۥ وَقُرۡءَانَهُۥ	17	09
النازعات	هَلۡ أَتَىٰكَ حَدِيثُ مُوسَىٰٓ	16-15	15

فهرس الأحاديث النبوية:

فهرس الأســفار:

	أبرام سكن في أرض	13	14-12	179،175
	خذ ابنك وحيدك	22	2	179
الخروج	فالآن إن سمعتم لصوتي وحفظتم	19	6-5	23
	اكتب لنفسك هذه الكلمات	34	27	126
	ثم قل لفرعون هذا ما يقوله الرب	4	23-22	191
	هاأنا مرسل ملاكا أمام وجهك	23	33-20	85
	فناداه الرب من الجبل قائلا	19	6-3	126 ،84
	وحدث في تلك الأيام الكثيرة	2	25-23	81
	إني قد رأيت مذلة شعبي	3	9-6	83
	ثم كلم الله موسى وقال له	6	9-2	83
	حدّث الشعب بجميع أقوال الّرب	24	8-3	126 ،86
	اكتب لنفسك هذه الكلمات	20	17_1	127
	كان جميع المعدودين ستمائة ألف	1	47	84
العدد	حتى متى يهينني هذا الشعب	14	35-26	162،91
	ولما سمع الكنعاني ملك عراد	21	3-1	92
	وكلم الرب موسى	20	24	91
	حتى متى اغفر لهذه الجماعة الشريرة	14	12_11	90
	كلم بني إسرائيل وقل لهم	33	65_51	93
	فتجندوا على مديان كما أمر الرب	31	12_7	93
	لكن كالب أنصت الشعب إلى موسى	13	33_27	89
	فصاحوا:" ليتنا متنا في أرض مصر	14	04_01	90
	فسقط موسى وهارون على وجهيهما	14	09_05	90
اللاويين	وإن كنتم بذلك لا تسمعون	26	46-27	128

	إذا سلكتم فرائضي وحفظتم وصاياي	26	12-3	128
التثنية	لأنك أنت شعب مقدّس للرب إلهك	7	6	23، 191
	فاحفظوا كل الوصايا التي أنا أوصيكم	11	9-8	128
	في عبر الأردن في أرض موآب	1	8-5	89
	فاحترزوا من أن تنغوي قلوبكم	11	17-16	125
	جاء الرب من سيناء وأشرق	33	2-1	167
	اسمع يا إسرائيل أنت اليوم عابر	9	6-1	158
	يقيم لك الرب إلهك نبيا	18	15	167
	وصعد موسى من عربات موآب	34	6-1	95
	وكلم الرب موسى في ذلك اليوم	32	52-48	94
	وجميع الوصايا التي أنا أوصيكم بها	8	1	128
	ولكن إن لم تسمع لصوت الرب	28	21-15	159
	وأوص الشعب قائلا	2	10- 4	159
يشوع	فأمر يوشع بن نون رجلين جاسوسين	2	1	97
	وقالت لهما فالآن احلفا	2	14-12	97
	وشاخ يشوع وتقدم في الأيام	13	6 -1	100
	موسى عبدي قد مات	1	5-1	96
	وصعد الشعب إلى المدينة	6	-20 25	98، 191
	فأعطى الرب إسرائيل جميع الأرض	21	45-43	101
القضاة	وعمل بنو إسرائيل الشّر في عيني الرب	6	6-1	132
	وقضى لإسرائيل	15	20	133
	عاد بنو إسرائيل يعملون	11	1	133
	ولكن إن لم تسمع لصوت الرب	3	7-5	160، 170

	وعاد بنو إسرائيل يعملون الشر	10	8-6	129، 132
	فسكن بنو إسرائيل في وسط	3	8-5	129،176
حزقيال	هاأنذا آخذ بني إسرائيل	37	28-21	138
عاموس	ها أيام تأتي	9	15-11	139
دانيال	أيها الرب الإله العظيم الموهوب	9	11-4	131
الملوك الأول	وأحب الملك سليمان نساء	11	13-1	134
	إن أباك قسّى نيرنا	12	15-3	134
الملوك الثاني	وكان أن بني إسرائيل أخطأوا	17	16-7	130
المزامير	ماذا يصنعه بي البشر	56	5-4	165
إشعياء	والأرض تدنست تحت سكانها	24	5	131
	لِد لنا ولد ونُعطى اْبنًا	9	7-6	138
إرمياء	إذ قد حرفتم كلام الإله	23	40-36	165
	بالكذب يتنبأ الأنبياء باسمي	14	14	164
	لذلك هاأنذا أنساكم نسيانا	23	40-39	131
	من أجل أن آباءكم قد تركوني	16	13-11	130
	وأنت فلا تخف يا عبدي	46	28-27	139
	أما بيت الملك وبيوت الشعب	39	9-8	136
هوشع	من أجل سوء أفعالهم أطردهم	9	17-15	131
ميخا	الذين يبنون صهيون بالدماء	3	12-10	136
ملاخي	من أيام آبائكم حدتم عن فرائضي	3	9-7	131
عزرا	اللهم إني أخجل وأخزى	9	12-6	130
صموئيل الأول	وكان لما شاخ صموئيل أنه جعل	8	5-1	170

أخبار الأيام الالثاني	هاأنذا جالب شرا على هذا الموضع	34	25-24	134
إنجيل متى	فاذهبوا وتلمذوا جميع الأمم	28	19	30
إنجيل لوقا	لا يأتي ملكوت الله بمراقبة	17	21-20	31
	مبارك الرب إله إسرائيل	1	73-68	30
	هاأنت ستحبلين وتلدين ابنا	1	33-31	30
رسالة إلى العبرانيين	بالإيمان تغرب إبراهيم في أرض الموعد	11	10-9	31
رؤيا يوحنا اللاهوتي	مبارك ومقدس من له نصيب	20	6	32

قائمـــة

المصادر

والمراجـــع

قائمة المصادر والمراجع:

1- الكتاب المقدس.

2- القرآن الكريـــم.

3- أبراهام مالمات، حييم تدمور: العبرانيون وبنو إسرائيل في العصور القديمة بين الرواية التوراتية والاكتشافات الأثرية، ترجمة رشاد الشامي، ط1، المكتب المصري لتوزيع المطبوعات، القاهرة، مصر، 2001م.

4- أبكار السّقاف: إسرائيل وعقيدة الأرض الموعودة، ط2، مكتبة مدبولي، القاهرة، مصر، 1997م.

5- عماد الدين إسماعيل بن كثير:تفسير القرآن العظيم،ط1،دار ابن الجوزي، القاهرة، مصر، 1430 هـ،2009م.

6- ابن كثير:البداية والنهاية، ط1، دار هجر، الجيزة، مصر، 1417هـ، 1997م.

7- ابن كثير: قصص الأنبياء، ط2، دار الإمام مالك للكتاب، الجزائر، 1432هـ، 2011م.

8- أبو بكر جابر الجزائري: أيسر التفاسير لكلام العلي الكبير، ط 4، مكتبة العلوم والحكم، المدينة المنورة، السعودية، 1423 هـ، 2002 م.

9- أحمد الحوفي: حجية التوراة، ط1، مؤسسة الخليج العربي، القاهرة، 1409هـ، 1989م.

10- أحمد بن عبد الله بن إبراهيم الزغبي: العنصرية اليهودية و آثارها في المجتمع الإسلامي والموقف منها، ط1، مكتبة العبيكان، الرياض، السعودية، 1418 هـ، 1998 م.

11- أحمد حجازي السقا : نقد التوراة - أسفار موسى الخمسة ، السامرية ، العبرانية ، اليونانية - ، ط 1 ، مكتبة النافذة ، 2005 م .

12- أحمد حسن فرحات: في علوم القرآن - عرض ونقد وتحقيق-، ط1 ، دار عمار، عمّان، الأردن 1421هـ -2001 م.

13- أحمد ربيع احمد يوسف: أرض الميعاد بين الحقيقة والمغالطة، ط[]، كلية الشريعة والقانون والدراسات الإسلامية، جامعة قطر، ت[].

14- أحمد سالم رحال: فلسطين بين حقيقة اليهود وأكذوبة التلمود، ط1 ، دار البداية، عمّان، الأردن، 1429هـ، 2008م.

15- أحمد سوسة: أبحاث في اليهودية والصهيونية، ط1، دار الأمل، أربد، الأردن، 2003م.

16- أحمد سوسة: العرب واليهود في التاريخ، ط2، العربي للإعلان والطباعة والنشر، دمشق، سوريا، ت[].

17- أحمد شلبي: اليهودية ، ط8 ، مكتبة النهضة المصرية ، القاهرة ، مصر، 1988 م.

18- أحمد شلبي:المسيحية، ط8، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، 1984م.

19- أحمد عزت سليم: لاهوت العنصرية الإسرائيلية، ط 1، المكتب المصري للمطبوعات القاهرة، مصر، 2011 م.

20- أحمد عيسى الأحمد: داود وسليمان في العهد القديم والقرآن الكريم دراسة لغوية تاريخية مقارنة، ط1، دار الطبع[ ]، 1410 هـ، 1990م.

21- أحمد مختار رمزي: عقائد أهل الكتاب دراسة في نصوص العهدين، ط1، دار الفتح، عمان، الأردن، 1428 هـ، 2008 م.

22- أحمد مصطفى المراغي: تفسير المراغي،ط1، مطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده، مصر، 1365 هـ، 1946م.

23- إسرائيل فنكل شتاين، نيل إشر سيلبرمان: التوراة اليهودية مكشوفة على حقيقتها، ترجمة سعد رستم، ط2، الأوائل للنشر، دمشق، سوريا، 2006م.

24- إسماعيل ناصر الصمادي: نقد النص التوراتي (التاريخ التوراتي المزيف)، ط 2، دار علاء الدين ، دمشق ، سوريا ، 2009 م.

25- أندريه لالاند:موسوعة لالاند الفلسفية، ترجمة خليل أحمد خليل،ط2،منشورات عويدات، بيروت ،باريس، 2001م.

26- باربارا براون: نظرة عن قرب في المسيحية، ترجمة مناف حسين الياسري، دار الطبع [ ]، كندا، 1993م.

27- بشير كردوسي : نقد التوراة بين الفكر الإسلامي والفكر الغربي المعاصر، رسالة ماجستير، معهد أصول الدين، جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية، قسنطينة، 1413 هـ، 1993 م.

28- تادرس يعقوب ملطي:من تفسير وتأملات الآباء الأولين(تفسير سفر الخروج)، ط1، دار الكتب العلمية ، القاهرة، مصر، ت[].

29- تأليف نخبة من الأساتذة: قاموس الكتاب المقدس، ط6، منشورات مكتبة المشعل، بيروت، لبنان، 1981 م.

30- تقي الدين أحمد بن تيمية: الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح، تحقيق على بن حسن بن ناصر وآخرون، ط2، دار العاصمة،الرياض، السعودية، 1419هـ، 1999م.

31- تقية عبد الفتاح: الميسر في علوم القرآن، ط 1، قصر الكتاب، الجزائر، ت[].

32- جار الله الزمخشري:الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل،ط1،دار الفكر،بيروت لبنان،1428-1429هـ،2008م.

33- جبر الهلول : المواثيق والعهود في ممارسات اليهود ،ط1 ، (مجد) المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع ،بيروت، لبنان.

34- جلال الدين المحلي، وجلال الدين السيوطي: تفسير الجلالين، ط3، دار الخير، دمشق، سوريا، 1423هـ – 2003م.

35- جمال الدين بن منظور: لسان العرب، تحقيق -ياسر سليمان أبو شادي ومجدي فتحي السيد - ،ط1، المكتبة التوفيقية ، القاهرة ، مصر ، ت[].

36- جمال عبد الهادي محمد مسعود و وفاء محمد رفعت جمعة: ذرية إبراهيم عليهم السلام والمسجد الأقصى، ط1، دار الوفاء، المنصورة، مصر، 1986م.

37- جمال عبد الهادي: ليس لليهود حق في فلسطين، ط4، دار الوفاء، المنصورة، مصر 1993 م.

38- جواد بحر: انتماء فلسطين بين دعاوي التوراتيين وحقائق الماضي والحاضر ، ط1 ، مركز دراسات المستقبل ، الخليل ، فلسطين ،1427 هـ، 2006 م.

39- جوستاف لوبون: اليهود في تاريخ الحضارات الأولى، ترجمة عادل زعيتر، ط1، مكتبة النافذة، الجيزة، مصر، 2009م.

40- حسن الباش: القرآن والتوراة (أين يتفقان وأين يغترفان) ، ط1، دار قتيبة، بيروت لبنان، 1998م.

41- حسن ظاظا: الفكر الديني اليهودي - أطواره ومذاهبه- ، ط4 ، دارا لقلم ، دمشق،سوريا ، والدار الشامية، بيروت، لبنان، 1420 هـ ، 1990 م.

42- حسن عوض: بداية ونهاية دولة إسرائيل رؤية تاريخية ودينية،ط2،دار هاجر، بنها، مصر، 2002م.

43- حسن نعمة:ميثيولوجيا وأساطير الشعوب القديمة ومعجم أهم المعبودات القديمة،ط1،دار الفكر،بيروت، لبنان،1994م.

44- الحسين بن أحمد الزوزني: شرح المعلقات، ط1،دار الفكر،2005م.

45- حسين فوزي النجار:أرض الميعاد، ط2، دار المعارف، القاهرة، مصر، 1983م، 1403هـ.

46- ربيع عبد الرؤوف الزواوي: المفسدون في الأرض اليهود، ط1، دار الإيمان، الإسكندرية، مصر، 2002م.

47- رجا عبد الحميد عرابي: سفر التاريخ اليهودي، ط 1، دار الأوائل، دمشق، سوريا، 1425 هـ، 2004 م.

48- رحمت الله الهندي: إظهار الحق، ط1، الرئاسة العامة لإدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد، الرياض، المملكة العربية السعودية، 1410 هـ، 1989 م.

49- رشاد الشامي: موسوعة المصطلحات الدينية اليهودية،ط1،المكتب المصري، لتوزيع المطبوعات، القاهرة مصر، 2002 م.

50- رشاد عبد الله الشامي: الرموز الدينية في اليهودية، ط1، مركز الدراسات الشرقية، جامعة القاهرة، مصر، ت[].

51- روجيه جارودي:الأساطير المؤسسة للسياسية الإسرائيلية ، ترجمة محمد هشام ، ط4 ، دار الشروق ، القاهرة ، مصر ، 1422 هـ – 2002 م.

52- روجيه غارودي: فلسطين أرض الرسالات السماوية، ترجمة قصي أتاسي وميشيل واكيم، ط1، دار طلاس للدراسات والترجمة والنشر، دمشق، سوريا، 1991م.

53- ريجينا الشريف:الصهيونية غير اليهودية جذورها في التاريخ الغربي،ترجمة أحمد عبد الله عبد العزيز،ط1،المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب،الكويت،1985م.

54- زكي شنودة: المجتمع اليهودي، ط1، مكتبة الخانجي، القاهرة، مصر، ت[ ].

55- سعد الدين السيد الصالح: العقيدة اليهودية وخطرها على الإنسانية، ط2، دار الصفا، القاهرة، مصر، 1410 هـ، 1990 م.

56- سعدون محمد الساموك : مقارنة الأديان، ط1، دار وائل، عمان، الأردن 2004م.

57- سعود بن عبد العزيز الخلف: دراسات في الأديان اليهودية والنصرانية، ط1، أضواء السلف، الرياض، المملكة العربية السعودية، 1418 هـ، 1997 م.

58- سفر بن عبد الرحمن الحوالي:القدس بين الوعد الحق والوعد المفترى-الموقف الإسلامي من مشروع السلام العربي اليهودي-، ط1، مكتبة السنة، الدار السلفية لنشر العلم، القاهرة، 1414هـ.

59- سمير مرقس: رسالة في الأصولية البروتستانتية والسياسة الخارجية الأمريكية، ط1، مكتبة الشروق، القاهرة، 1422هـ، 2001م.

60- سيد القمني: إسرائيل- التوراة..التاريخ..التضليل-، ط1، دار قباء، القاهرة، 1998م.

61- سيد حسين العفاني: تذكير النفس بحديث القدس "واقدساه "، ط1، العصر للطباعة، توزيع مكتبة معاذ بن جبل، بنى سويف، مصر، 1421 هـ، 2001 م.

62- سيّد قطب: في ظلال القرآن، ط7، دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان، 1391 هـ، 1971م.

63- شاكر مصطفى سليم: قاموس الأنثروبولوجيا، ط1، جامعة الكويت،1981م.

64- شمس الدين بن خلكان :وفيات الأعيان،تحقيق إحسان عباس،ط1، دار صادر،بيروت ،لبنان، 1414هـ،1994م.

65- شهاب الدين القرافي: الأجوبة الفاخرة عن الأسئلة الفاجرة، تحقيق بكر زكى إبراهيم عوض، ط2، مكتبة وهبة، القاهرة، مصر، 1427 هـ ، 2006 م.

66- صابر طعيمة: التراث الإسرائيلي في العهد القديم وموقف القرآن الكريم منه، ط1، دار الجيل، ببيروت، لبنان، 1999 هـ، 1979 م.

67- صابر طعيمة:التراث الإسرائيلي في العهد القديم وموقف القران الكريم منه، ط1، دار الجيل، بيروت، لبنان، 1399هـ، 1979م.

68- الصادق بن عبد الرحمن الغرياني: مدونة الفقه المالكي، ط1، دار ابن حزم، بيروت، لبنان، 1429هـ، 2008م.

69- صالح الرقب: ليس لليهود حق ديني في فلسطين،مجلة الجامعة الإسلامية، غزة، مج6، العدد الأول، 1998 م.

70- صلاح عبد الفتاح الخالدي: حقائق قرآنية حول القضية الفلسطينية، ط2، منشورات فلسطين المسلمة، لندن،1416هـ، 1995م.

71- صلاح عبد الفتاح الخالدي:وعود القرآن بالتمكين للإسلام، ط1، دار القلم، دمشق، 2003م.

72- طارق السويدان: فلسطين التاريخ المصور، ط1، مطابع الخط، الكويت، 1425هـ، 2004 م.

73- عباس محمود العقاد: الموسوعة الإسلامية (إبراهيم أبو الأنبياء)، ط1، دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان، 1970م.
74- عبد الحميد بن باديس: مجالس التذكير من كلام الحكيم الخبير ، ط1 ، دار الّرشيد ، الجزائر ، 1430 هـ ، 2009م.
75- عبد الرحمن بن خلدون: المقدمة، تحقيق أحمد جاد، ط1، دار الغد الجديد، القاهرة، مصر، 1428هـ، 2007م.
76- عبد الرحمن بن ناصر السعدي: تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان،ط1، المكتبة التوفيقية، القاهرة، مصر، ت[].
77- عبد الرؤوف بن المناوي: التوقيف عل مهمات التعاريف،تحقيق عبد الحميد صالح حمدان،ط1،عالم الكتب، القاهرة، مصر، 1410هـ، 1990م.
78- عبد الستار قاسم:إبراهيم والميثاق مع بني إسرائيل في التوراة والإنجيل والقرآن، ط2، (Passia) الجمعية الفلسطينية الأكاديمية للشؤون الدولية، القدس الشريف، 1994م.
79- عبد العزيز مصطفى كامل:حمّى سنة 2000، ط3، دار الطبع[]، مصر، 1420هـ، 2000م.
80- عبد الفتاح مقلد الغنيمي: شعوب إسرائيل وخرافة الانتساب للسامية، ط1، دار العربي، القاهرة، مصر، 2002 م.
81- عبد الله بن سليمان بن منيع: بحث في الوعد وحكم الإلزام بالوفاء به ديانة وقضاء، مجلة البحوث الإسلامية، الرئاسة العامة للبحوث العلمية والإفتاء، الرياض، السعودية، 1413هـ.
82- عبد الله بن عبد الرحمن السليماني: عنصرية أهل الكتاب في تحريف اسم الذبيح، ط1، مؤسسة الأقطاب للتجارة، 1427هـ، 2006م.
83- عبد المعز عبد الستار: اقترب الوعد الحق يا إسرائيل، ط1، دار الشروق، مصر، 2009م.
84- عبد الوهاب المسيري: الصهيونية واليهودية(حوارات) ، تحرير سوزان حرفي، ط1، دار الفكر، دمشق، سوريا، 2009م.
85- عبد الوهاب المسيري: موسوعة اليهود واليهودية والصهيونية(المختصرة)، ط3 ، دار الشروق، القاهرة، مصر، 2006 م.
86- عبد الوهاب النجار: قصص الأنبياء، ط3، دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان، ت[].

87- عبد الوهاب عبد السلام طويلة : الكتب المقدسة في ميزان التوثيق ، ط1 ، دار السلام ، 1410 هـ، 1990م.
88- عبد الوهاب عبد السلام طويلة:مغالطات اليهود وردها من واقع أسفارهم، ط1، دار القلم، دمشق، سوريا، 2005م.
89- عبد الوهاب محمد المسيري : موسوعة اليهود واليهودية والصهيونية ،ط1 ، القاهرة ، 1999م.
90- عدنان حداد: الخطر اليهودي على المسيحية والإسلام (قراءة توراتية في نفسية اليهود وتفكيرهم عبرالعصور)، ط1، دار البيروني، بيروت، لبنان، 1997م.
91- عشراتي سليمان: الكتاب المقدس والواقعة الإسرائيلية قراءة في ابستمولوجية الأرض والميثاق، ط1، دار الطبع[ ]، وهران، 1999م.
92- عفيف عبد الفتاح طبّارة: اليهود في القرآن تحليل علمي لنصوص القرآن في اليهود، على ضوء الأحداث الحاضرة مع قصص أنبياء الله " إبراهيم ويوسف وموسى عليهم السلام "، ط10، دار العلم للملايين، بيروت، لبنان 1984م.
93- عقيد أحمد عبد الوهاب: فلسطين بين الحقائق والأباطيل،ط1، مكتبة وهبة، القاهرة، مصر، 1392هـ، 1972م.
94- علي بن محمد السيد الشريف الجرجاني: معجم التعريفات، تحقيق محمد صديق المنشاوي، ط1، دار الفضيلة، القاهرة، مصر، ت[].
95- علي خليل: اليهزدية بين النظرية والتطبيق مقتطفات من التوراة والتلمود، ط1، اتحاد الكتاب العرب، دمشق سوريا، 1997م.
96- علي عبد الجليل: معالم عنصرية في الفكر اليهودي، ط1، دار أسامة، عمان، الأردن 2002م.
97- عماد علي عبد السميع حسن: الإسلام واليهودية دراسة مقارنة من خلال سفر اللاويين، ط1 ،دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، 1425هـ، 2004م.
98- غازي كامل السعدي: الأعياد والمناسبات والطقوس لدى اليهود، ط1، دار الجليل للدراسات والنشر والأبحاث الفلسطينية، عمّان، الأردن، 1994م.
99- فرج الله عبد الباري: اليهودية بين الوحي الإلهي والانحراف البشري، ط1، دار الآفاق العربية، بلد وتاريخ الطبع[ ].

100- فؤاد حسن علي: التوراة الهيروغليفية، ط1، دار الكتاب العربي، القاهرة، ت[].
101- لخضر شايب: قصة الذبيح بين الروايات الكتابية والإسلامية، ط1، مؤسسة الرسالة، بيروت، لبنان، 1421هـ، 2001م.
102- لواء أحمد عبد الوهاب: إسرائيل حرفت الأناجيل واخترعت أسطورة السامية،ط2،مكتبة وهبة،القاهرة،مصر،ت[].
103- لواء أحمد عبد الوهاب: رسالة من التوراة إلى مؤتمر السلام إبطال مزاعم إسرائيل الدينية والتاريخية في فلسطين، ط1، مكتبة التراث الإسلامي، القاهرة، مصر، 1992م.
104- ليلى حسن سعد الدين: مثل الذين حملوا التوراة ثم لم يحملوها كمثل الحمار يحمل أسفارا، ط1 ، دار الفكر، عمّان، الأردن، 1405 هـ، 1984 م.
105- ليوتاكسل: التوراة كتاب مقدس أم جمع من الأساطير،ط[ ]، ترجمة حسان ميخائيل إسحاق، دار وبلد النشر[ ].
106- المؤلف أمريكي غير مذكور[] : التوراة تاريخها وغاياتها، ترجمة سهيل ديب ، ط1، دارالنفائس، بيروت، لبنان.
107- مجد الدين محمد بن يعقوب الفيروزآبادي: القاموس المحيط ، ط8 ، مؤسسة الرسالة ، بيروت، لبنان، 1426 هـ ، 2005 م.
108- مجمع اللغة العربية: المعجم الوسيط، ط4، مكتبة الشروق الدولية القاهرة مصر، 1425 هـ، 2004 م.
109- محسن محمد الصالح: فلسطين دراسات منهجية في القضية الفلسطينية، ط1، مركز الإعلام العربي، الجيزة، مصر، 1424 هـ، 2003 م.
110- محمد أبو زيد أبو زيد:أرض الميعاد (نظرة قرآنية في العهود التوراتية)،مجلة التراث العربي،العدد 85.
111- محمد السعدي: دراسات في الأناجيل الأربعة والتوراة، ط1، دار الثقافة، الدوحة، قطر، 1405 هـ، 1985 م.
112- محمد الطاهر بن عاشور: التحرير والتنوير، ط1، الدار التونسية للنشر، تونس 1984 م.
113- محمد الغزالي: فقه السيرة، بتخريج محمد الناصر الدين الألباني، ط1، دار الهناء الجزائر، ت[ ].
114- محمد الغزالي: قذائف الحق، ط1، دار القلم، دمشق،سوريا، 1411هـ،1991م.

115- محمد بن أحمد الأنصاري القرطبي: الجامع لأحكام القرآن، ط1، دار البيان العربي، القاهرة،مصر،1429هـ، 2008م.

116- محمد بن حرير الطبري جامع البيان عن التأويل آي القرآن، تحقيق عبد الله بن عبد المحن التركي، ط1، دار هجر، القاهرة، مصر، 1422 هـ – 2001م.

117- محمد بن حزم الأندلسي: الفصل في الملل والأهواء والنحل، ط1، دار الحديث، القاهرة، مصر،1431هـ، 2010م.

118- محمد بن عبد الرحمان العريفي: نهاية العالم، ط1، دار التدمرية، الرياض، السعودية ، 1431 هـ، 2010 م.

119- محمد بن محمد أبو شهبة: المدخل لدراسة القرآن الكريم، ط1، مكتبة السنة، القاهرة 1412 هـ، 1992 م.

120- محمد بيومي مهران: بنو إسرائيل، ط1، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، مصر، 1999م.

121- محمد بيومي مهران: دراسات تاريخية من القرآن الكريم، ط 2، دار النهضة العربية، بيروت، لبنان، 1408 هـ، 1988 م.

122- محمد خليفة حسن أحمد: تاريخ الديانة اليهودية، ط1، دار قباء، القاهرة، مصر.

123- محمد رشيد رضا: تفسير المنار، ط2، دار المنار، القاهرة، مصر، 1367هـ.

124- محمد سيد طنطاوي: بنو إسرائيل في القرآن والسنة، ط2، دار الشروق، القاهرة، مصر، 1420هـ، 2000م.

125- محمد عبد السلام منصور: الوعد الإلهي في العهد القديم بعودة فلسطين للفلسطينيين، المؤرخ العربي، العدد 43، 1410هـ www.al-maktabeh.com.

126- محمد عبد العليم الدسوقي: انتفاء الحق الديني والتاريخي لليهود في أرض فلسطين بموجب ما جاء في التوراة والإنجيل وفي آي التنزيل، مجمع البحوث الإسلامية بالأزهر الشريف، القاهرة ، مصر.

127- محمد عبد الله الشرقاوي: في مقارنة الأديان بحوث ودراسات، ط 2، دار الجيل بيروت، لبنان، 1410هـ، 1990 م.

128- محمد عبد الله المهدي البدري : القرآن الكريم - تاريخه وعلومه - ط 1 ، دار القلم ، دبي ، 1404 هـ ، 1984 م.

129- محمد عبد الله دراز : النبأ العظيم ، ط 1 ، دار القلم ، الكويت ، 1413 هـ ، 1993 م.

130- محمد عثمان شبير: صراعنا مع اليهود في ضوء السياسة الشرعية،ط1، مكتبة الفلاح، الكويت،1407هـ، 1987م.
131- محمد عزة دروزة: تاريخ بني إسرائيل من أسفارهم،ط1،مطابع شركة الإعلانات الشرقية، مصر، ت[].
132- محمد عزت الطهطاوي: الميزان في مقارنة الأديان وثائق وحقائق، ط1، دار القلم، دمشق، سوريا، 1413هـ، 1993م.
133- محمد على التهانوي: موسوعة كشاف اصطلاحات الفنون والعلوم ، تحقيق علي دحروج ، ط 1 ، مكتبة لبنان ناشرون ، بيروت ، لبنان ، 1996م.
134- محمد على الصابوني: صفوة التفاسير، ط1، دار الفكر، بيروت، لبنان، 1421 هـ، 2001 م.
135- محمد علي البار : الله جل جلاله والأنبياء عليهم السلام في التوراة والعهد القديم (دراسة مقارنة)، ط1، دار القلم ، دمشق ، سوريا ، 1410هـ،1990م .
136- محمد علي البار: المدخل لدراسة التوراة والعهد القديم، ط1، دار القلم، دمشق، سوريا، 1410 هـ، 1990 م.
137- محمد عمارة: هذا هو الإسلام، ط1، مكتبة الشروق الدولية، القاهرة، مصر، 1426هـ،2005م.
138- محمد متولي الشعراوي: قصص الأنبياء، جمع منشاوي غانم جابر، ط []، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان،توزيع مكتب التراث الإسلامي، القاهرة، ت[].
139- محمد محمد عيسى:العقيدة اليهودية بين الوحي الإلهي والفكر البشري، مجلة الشريعة والدّراسات الإسلامية، مج 28، العدد68.
140- محمود بن عبد الرحمان قدح: موجز تاريخ اليهود والرد على مزاعمهم الباطلة، مجلة الجامعة الإسلامية، المدينة المنورة، العدد 107.
141- مسلم بن الحجاج: صحيح مسلم، ط1، دار الحديث، القاهرة، 1412هـ، 1991م.
142- مصطفى إنشاصي: عالمية العهد والوعد لنوح وإبراهيم في التوراة، 2009م.
143- منّاع القطان: مباحث في علوم القرآن، ط 9، مؤسسة الرسالة، بيروت، لبنان، 1402 هـ – 1982 م.

144- موريس بوكاي: التوراة والإنجيل والقرآن والعلم ، ترجمة حسن خالد، ط3، المكتب الإسلامي، بيروت، لبنان، 1411 هـ، 1990 م.

145- النسائي: السنن الصغرى، ط1، مكتبة المعارف، الرياض، السعودية ت[ ] بتخريج محمد ناصر الدين الألباني.

146- نصر الله أبو طالب: انحدار من بعد اصطفاء (بنو إسرائيل بفلسطين أحداث وعبر)، ط2، دار ومكان الطبع []، 1428 هـ، 2007 م.

147- وليم بيكر: سرقة أمة، ترجمة سهيل ذكار، ط1، دار حسان للطباعة والنشر،دمشق 1985م.

148- وليم مارش: السنن القويم في تفسير العهد القديم، ط []، مجمع الكنائس في الشرق الأدنى، بيروت، لبنان، 1973م.

149- وهبة الزحيلي: مكانة القدس في الأديان السماوية، ط1، دار المكتبي، دمشق، سوريا، 1421هـ، 2001م.

150- وول ديورانت:قصة الحضارة، ترجمة محمد بدران، ط1، دار الجيل، بيروت، لبنان،1412هـ، 1992م.

151- يوسف القرضاوي :القدس قضية كل مسلم ، ط[]،دار الطبع[]، www.al-mostafa.com .

152- يوسف الكلاّم:تاريخ وعقائد الكتاب المقدس،بين إشكالية التقنين والتقديس، ط1، دار صفحات للدراسات والنشر، دمشق، سوريا، 2009م.

153- يوسف رشاد: التوراة العدّو اللدود للسامية، ط1، دار الكتاب العربي، (دمشق-القاهرة)، 2008م.

فهرس

المــواضــيــع

فهرس المواضيع:

ملخص البحث باللغة العربية

ملخص البحث:

أقام اليهود دولتهم في فلسطين بناء على ادّعائهم الحق في هذه الأرض، فالصهاينة يعتقدون أن الله أعطاهم أرض الشام بوعد مقدس وذلك منذ زمن بعيد يرجع إلى إبراهيم والأنبياء من بعد عليهم السلام، ولذلك هم يرون أن الكيان الصهيوني الذي أوجدوه ما هو إلا تحقيق لنبوءة توراتية مقدسة.

وعند قراءة التوراة نجد أن صفحاتها امتلأت بالحديث عن هذا الوعد الذي دفع الساسة الصهاينة يعتقدون بمضمونه ويسعون إلى تحقيقه بكل الوسائل منتهكين بذلك كل الخطوط الحمراء من قتل وتدمير وانتهاك لحقوق الإنسان، فشرد شعب بأكمله واحتلت أراض عربية وإسلامية كثيرة.

فتناولت الدراسة هذه الوعود التوراتية مقارنة بنصوص القرآن المشابهة لها، وكان الهدف من وراء هذه المقارنة هو الوصول إلى مكامن الاتفاق والاختلاف بين وعود التوراة ووعود القرآن وكذلك تهدف الدراسة إبطال الوعود التوراتية، فالقرآن هو خاتم الكتب وهو المقوم لما حرّف والحاكم على محتواها بالصحة والبطلان، خاصة وأن القرآن تكلم عن اليهود ورد على الكثير من عقائدهم.

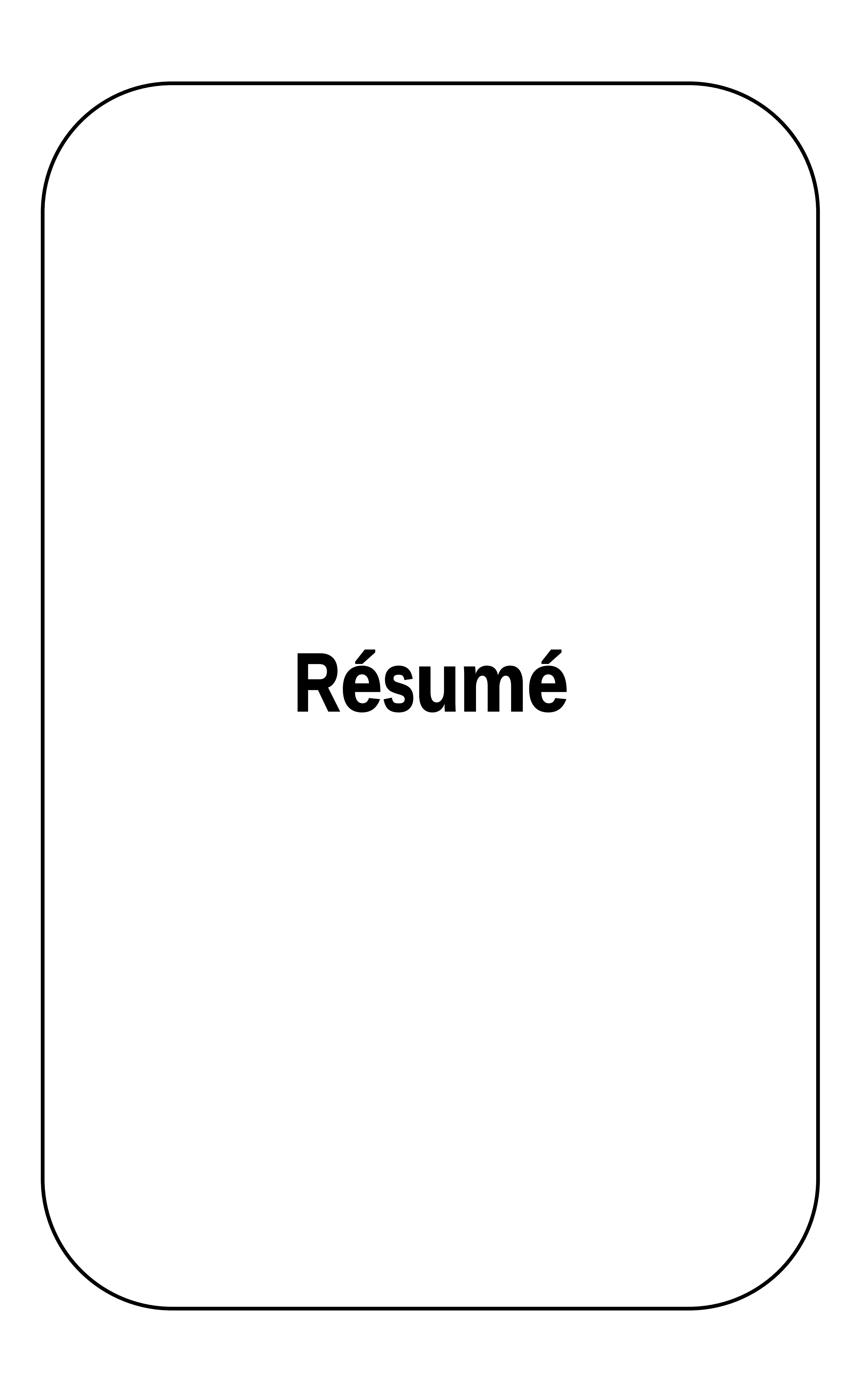
وقد توصل الباحث إلى عدة نتائج تؤكد بطلان الوعود التوراة أهمها:

ـاتفاق القرآن والتوراة على أن الوعود جاءت مشروطة بالصلاح والوفاء بعهود الله تعالى واليهود لم يكونوا أهلا للحصول على وعود الله تعالى لاتصافهم بالفساد والإفساد والاستكبار على الحق، حيث أنهم وقعوا في الشرك وعبدوا الأوثان وتركوا شريعة التوراة ولم يعملوا بها فتعرضوا للعقوبات والمحن، حتى حكم علهم بالشتات والتفرق بين الأمم.

ـالتوراة التي بين أيدينا اليوم لا يمكن أن يعتمد عليها ككتاب سماوي من عند الله وذلك لما أصابها من التحريف والتغيير من طرف أحبار اليهود، بالإضافة إلى أنها منقطعة السند وتحمل في ثناياها أخطاء علمية وتاريخية وجغرافية جسيمة كما أن هناك غياب تام لمعاني التنزيه للذات الإلية والعصمة في حق الأنبياء.

ـعدم انطباق الوعود التوراتية على يهود اليوم لأنهم ليسوا من بني إسرائيل لأن المقصود بالوعد هم نسل يعقوب عليه السلام وهو ما لا يتوفر في اليهود الذين ينتمون إلى جنسيات مختلفة لا تجمعهم أي قرابة جنسية، كما أن الوعود كانت مرتبطة بفترة زمنية وقد انقضت وانتهت.

ـالمسلمون هم الأحق بالتمكين في الأرض ووراثة المقدسات باعتبارهم ورثة الرسالات السابقة وأتباع خاتم النبيين ورسول رب العالمين الذي بشرت به الكتب الأنبياء والكتب السماوية السابقة.



Résumé

Résumé

Les Juifs ont construit leur État en Palestine en prétendant que c'est leur droit absolu d'avoir une terre. Les Sionistes croient que Dieu leur a promis la terre du Levant et cela depuis fort longtemps, un temps qui remonte à l'époque du prophète Abraham (Que le Salut d'Allah soit sur lui) et les autres prophètes (Que le Salut d'Allah soit sur eux) qui sont venus après lui. Ils croient donc que l'État sioniste qu'ils ont établi n'est que la concrétisation d'une prophétie biblique sacrée. La lecture de la Torah nous permet de découvrir qu'elle est truffée de passages concernant cette prophétie qui a poussé les hommes politiques sionistes à la croire et à la réaliser par tous les moyens, violant ainsi toutes les lignes rouges : ils tuent, détruisent et spolient les doits de l'homme. Ils ont alors massacré tout un peuple et ont envahi plusieurs terres arabes et islamiques.

Cette étude a donc analysé ces prophéties bibliques et nous les avons comparées avec les textes du Coran qui leurs sont similaires. L'objectif de cette comparaison est de rechercher les accords et les désaccords entre les promesses qui sont dans la Torah et celles qui sont dans le Coran. Elle vise également à démentir les promesses de la Torah parce que le Coran est le dernier des Livres Sacrés et il a corrigé les falsifications et a jugé les Livres Sacrés qui lui sont antérieurs. Il a surtout parlé des Juifs et a répondu à plusieurs de leurs croyances. Le chercheur est parvenu à moult résultats qui prouvent la nullité des promesses de la Torah, entre autres :

- Le Coran et la Torah sont d’accord que les promesses étaient soumises aux conditions de la droiture et de la fidélité aux pactes avec Dieu mais les Juifs n’étaient pas dignes des promesses de Dieu étant des corrompus et corrupteurs et des injustes qui sont tombés dans la mécréance et adoraient les idoles délaissant ainsi les règles de la Torah. Ils ont donc subit des châtiments et des épreuves et Dieu les a dispersés entre les nations.
- On ne peut pas accepter la version de La Torah de nos jours comme un Livre Sacré étant donné qu’elle est falsifiée et complètement changée par les Prêtres des Juifs. Du reste, sa source n’est pas fondée et elle pleine de fautes scientifiques, historiques et géographiques graves. Elle est aussi vide du sens de considération pour le Dieu et de l’infaillibilité pour ses prophètes.
- Les promesses de la Torah sont incompatibles avec les Juifs d’aujourd’hui parce qu’ils ne sont pas les Fils d’Israël et ces promesses concernent seulement la descendance de Jacob (Que le Salut d’Allah soit sur lui). Une condition qui manque chez les Juifs qui appartiennent aux différentes nationalités et n’ont aucun lien de parenté qui les réunit. Aussi, ces promesses touchent une seule époque et cette époque est déjà écoulée.
- Le droit d’hériter cette terre et les autres sacralités revient aux Musulmans parce qu’ils sont les héritiers des Messages précédents et les disciples du Sceau des prophètes et le Messager d’Allah (Que la Salut d’Allah soit sur lui) que les prophètes et les Livres Sacrés antérieurs ont prédit la venue.

Université d'Alger 1

Faculté des Sciences Islamiques

Département des croyances et religions

-



La Promesse Divine entre La Torah et le Noble Coran

-Etude comparative-

Mémoire de en vue de l'obtention du diplôme Magister en sciences Islamiques

Débat de la Commission :

Classe scientifiques	Nom de professeur
président	**Dr.** CHafia Seddik
Prévu	**Dr.** Messaoud Haifi
membre	**Dr.**Mouhmmed Maghrabi

Préparé par : Abdellah Zeghdane

Année académique:

1433/1434AH correspondant à 2012/2013 AD

REPUBLIQUE ALGERIENNE DEMOCRATIQUE ET POPULAIRE

MINISTERE DE L'ENSEIGNEMENT SUPERIEUR ET DE LA RECHERCHE SCIENTIFIQUE

Université d'Alger 1

Faculté des Sciences Islamiques

Département des croyances et religions

La Promesse Divine entre La Torah et le Noble Coran

-Etude comparative-

Mémoire de en vue de l'obtention du diplôme Magister en sciences Islamiques

Spécialité : étude comparée des religions

Préparé par : Abdellah Zeghdane

Sous la supervision du Dr : Messaoud Haifi

Année académique:

1433/1434AH correspondant à 2012/2013 AD

REPUBLIQUE ALGERIENNE DEMOCRATIQUE ET POPULAIRE
MINISTERE DE L'ENSEIGNEMENT SUPERIEUR ET DE LA RECHERCHE SCIENTIFIQUE
Université d'Alger 1
Faculté des Sciences Islamiques
Département des croyances et religions

La Promesse Divine entre La Torah et le Noble Coran

-Etude Comparative-

Mémoire de en vue de l'obtention du diplôme Magister
En sciences Islamiques
Spécialité : Étude Comparée Des Religions

Préparé par :
Abdellah Zeghdane

Année Académique :
1433/1434 AH Correspondant à 2012/2013 AD